

دار خشبة

منتدى مكتبة الاسكندرية



دار الكتب الاهلية
ميدان الادورا

الاولى لبسة

اهداءات ٢٠٠٢

أد/ مصطفى الصاوي الجويني
الاسكندرية

درینى خشبه

الأوزي

لشاعر الخلود « هوميروس »

الثنى ٣٠

الناشر
مكتبة دار الكتب الأهلية
بميدان الأوبرا

مطبعة الرسالة
القاهرة — ١٩٤٥

إلى اليونان الحديثة المجاهدة

مقدمة

...وها هي ذى قصة الأوديسة ... أو الحلقة الثالثة من روائع الأدب اليونانى التى أخذت على عاتق تقديمها بطريقتى الخاصة لقرائى الأعزاء فى جميع الأقطار العربية ... أولئك القراء الذين أكرموني فقبلوا كتابى السابقين : أساطير الحب والجمال عند الإغريق ، وقصة طروادة ، متضمنة إلياذة هوميروس الخالد ، الذى فُتِنْتُ به ، فلم أبال أن أقدم طُرفتيه المجيدتين لقراء الأدب الرفيع فى أقل من ستة أشهر ، ليستقيا طريقتيما وسط تلك الزحمة الصاخبة من مئات الكتب فى الأدب الرخيص .

ها هي ذى قصة الأوديسة إذن ... كما رويتها ، وهذبت حواشيها ، منذ عشرين سنين ، جارياً فيها على المنوال الذى اخترته فى تقديم كتابى السابقين ... ذلك المنوال الذى ما زلت أراه أسلم الطرق لتحبيب روائع الأدب القديم إلى نفوس القراء فى هذا الزمن المتزرف العجول للكل .

وبعد ... فلقد قلت أكثر ما كفت أصبو . إلى قوله عن هوميروس فى المقدمة الطويلة التى صدرت بها لقصة طروادة ، وذكرت فيها الشيء الكثير عن قصة الأوديسة ، والذى لا أزال أرجوه هو أن يوفقنى الله إلى إصدار ما أعددت له للطبع من روائع الأدب اليونانى الذى كان فى إحيائه إحياء أوروبا الحديثة ، والذى لا بد لمصر الحديثة ، بل للعالم العربى الحديث ، من الإلمام به ، إن كان فى نيتنا خلق أدب عربى حديث .

جَن مِينرثاوتيلماكت :

أنشد يا هوميروس !
وظل في فم الأبد قيثارته المُرنة ، ونأيَه المطرب ، وعوده الآن ،
ونغمته الحلوة الحنون !
أنشد يا شاعر العصر الخالي .
وحلَّ في الأسماع موسيقى مدوية ، وفي العيون دموعاً جارية ، وفي
القلوب رحمة ومحبة ، وانفج عرائس الشعر من لدنك سلطاناً ، وحكمة
ونياناً ، وسريراً وصولجاناً .
تغنَّ يا شاعر أولب !
ولترسل من جنتك نعمةً تنتظم الأفلاك ، ورنَّةً تجلجل في الأفق ،
وأهةً تزلزل قلوب الجبارين !

سقطت إليوم^(١) ونزح المغير بخيله ورجله . فتعالى يا عرائس الفنون
فانتقدي أوديسيوس في ذلك البحر اللجي يذرعه ؛ موجة تلبسه وموجة
تخلعه ، لا يعرف لمملكته ساحلا فيرسو عليه ، ولا شاطئاً فيقصد إليه ...
يخبط في البيم على غير هدى ، ويرسل عينيه في الماء والسماء على غير
بصيرة ... زرقاة متصلة في العلو والسفل ، وتيه لا نهائي يخبط في أحشائه
أسطول السادة المنتصرين ...

والأقدار وحدها تعلم لماذا ضل أوديسيوس بجنوده في ذلك العباب ،
وقد عاد كل أقرانه إلى هيلاس بعد طول الفأى وشحط المزار ، إلا هو
والإلهم ، ممزقين في دار الغربة كل ممزق ، يتجشمون المصائب والأهوال ،
ويتخبطون بين موج كالجبال ، ويخلصون من بحر إلى بحر ، ومن روع
إلى روع . فإذا أرسوا على أرض وظنوا أنهم نجوا ، أوزعهم فيها غير
الذى رجوا ...

ولقد رقت قلوب الآلهة ، وودوا لو أدركوا برحتهم أوديسيوس ...
إلا نبتيون الجبار ، رب البحار ، الذى يضمحل للبطل في أعماقه كل كراهة
وكل بغضاء ، والذى آلى أن يصب على رأسه كل تلك الأرزاء ..

وحدث أن كان نبتيون في حرب مع الأثيوبيين ، فاتهزها الآلهة
فرصة سانحة ، وعقدوا مجلس الأولم في ذروة جبل إيدا ، وتفضل الإله
الأكبر ، ريوس^(١) ، فافتتح الجلسة بكلمة ملخصة توجع فيها لما يلقاه
بنو الإنسان من صروف الحداث ، واستطرد فذكر مأساة أجاممنون
المستكين وما اقيه على يدى زوجه وعشيقتها الأثيم إيجستوس من غدر
وغيلة ، ثم أحمى باللائمة على هؤلاء البشر البائسين الذين يقولون إن كل
ما يصيبهم من خير وضير هو من عند الآلهة ، وما هو إلا من عند
أنفسهم ... ولسكن لا يفهمون !

ثم نهضت مينرفا ربة الحكمة ، ذات العينين الزبرجديتين ،
فأيدت ما قال أبوها سيد الآلهة ، وأثنت عليه ، ثم ذكرت أوديسيوس ...
« ذلك التعس المسكين الذى تخبطه^(٢) وسحبته البحر ، وقضى عليه - دون

أقرانه جميعاً — أن يشقى هذا الشقاء الطويل ، عند عروس الماء الفاتنة كاليسوفى جزيرة أوجيجيا ، ثمانية أعوام أو يزيد . ما ذنبه ؟ ما جريرته ؟ لماذا يُنفي هذا العبد الصالح فى أقصى الأرض يا أبى ؟ إنه خير عبادك أجمعين . أن كر كم ضحى الأضهيات باسمك ، وقدم القرابين من أجلك ، وحارب أعدائك ، وجاهد شائتيك ! لقد نمت إلى أن كاليسو تحاول جاهدة أن تستميل قلب البطل ، وأن تنسيه وطنه إيثاكا ... يا للهول ! كيف يا أبتاه ! وهذه الزوجة التاسعة بنلوب ٢ ! بنلوب المحزونة المرزاة ! بنلوب التى صبرت وصابت طوال هذه السنين على ما كثرها الدهر به من بُعد زوجها ؛ بنلوب التى حافظت على طهرها وإخلاصها ؛ أتظل هكذا سجيناً فى قصرها المنيّف الباذخ ، ويظل هذا القصر محاصراً بعشاقها الحانين من أمراء الأقاليم ؟ ! أى ! يا سيد الأولب ! ألا تدرك برحمتك أوديسيوس ، وترده إلى وطنه ليدود هذه الكلاب التى ولغت فى حوضه ، وكادت تخوض فى عرضه ؟ تداركه يا أبى ؛ تداركه بعطفة واحدة منك ، وإنك على إنقاذه لقوى ممكن .

واستجاب لها سيد الأولب ، وقضى أن يعود أوديسيوس إلى إيثاكا ؛ لكنه ذكرها رب البحار نيتيون ، وذكرها بما بينه وبين البطل من ترات وثرات ، « سبها هذه الفعلة الجنونية التى فعلها أوديسيوس بواحد من السيكلويس^(١) ، أبناء نيتيون إذ اقتلع عينه الواحدة التى كان ينعم بسبيلها بزينة الحياة ... إطمئنى يا بنية وقرى عينا ... إننا نحن الأعلون ، وسيرى نيتيون أنه لن يغلب الآلهة مجتمعة أبداً ... »

(١) سيأتى ذكر ذلك فى الكتاب العاشر من الأوديسة .

وشاعت الغبطة في أعطاف مينروا ، وتضرعت إلى مولاهما أن ينفذ
ولده هرmez إلى جزيرة أوجيجيا ، فيأمر عروس الماء كالسوا أن تعد
مركباً عظيماً لأوديسيوس ورفاقه ، ليعودوا عليه إلى أوطانهم؛ ثم ذكرت
أنها ستمضي من فورها إلى إيتاكا حيث العشاق المآفين يحاصرون قصر
نلوب ، وحيث ابن أوديسيوس المنكود ، تليماك ، يشهد خراب مملكة
أبيه ولا يستطيع أن يحرك ساكناً ، لصغر سنه ... « إلى سألها إحساسه ،
وأفتح عينيه على ما ينبغي ... سأجعله يخرج من هذه العزلة المعبية لبحث
عن والده ، فإنه لم يعد طفلاً بعد ... » .

وانطلقت مينرقا فربطت نعلها السحريتين ، على قدميها الجميلتين ،
وحملت رمحها العظيم الذي تقطر المنايا من سنانه ، ووضعت تاجها المرصع
على رأسها الكبير ، وأطلقت ساقها للريح ، حيث كانت بعد لحظة على
مقربة من قصر أوديسيوس ، فهبطت من السماء إلى الأرض ؛ وفي لحظة
اقلبت فاتخذت شكل الآدميين ، وتخايلت في جسمان الأمير منتس^(١)
وطيلسانه ، ثم تقدمت فدخلت ردهة القصر الواسعة ، حيث اجتمع
العشاق المجانين من أجل ولية ، وتلفتت يمنة ويسرة ، ورأت الفتى
الصادر السام الحزين تليماك ، وقد تعقدت فوق جبينه هموم ... وهموم ،
وتغضنت ملء أساريره آلام ... وآلام .

وما هو إلا أن لحها تليماك حتى أخذه من هيتها شيء عظيم ... فهب
للقائها مسرعاً ، ثم مد إليها مصادفاً وهو لا يعرف من هي ، وقال :

(١) يروى أن منتس كان بحاراً غنياً وكان يحمل هوميروس في رحلته الواسعة
من غير أجر ، ولذلك كآأه هوميروس فعلمه اسمه بذكره في الأوديسة .

« مرحباً مرحباً بانقر يب المكرم ! هلم فشارك في ذلك القري ، ولنتحدث بعدها فيما أقدمك إيانا . مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً ! ... » ودلف نحو الصالة المزخرفة ، وتمتعه ميترفا ، وفي يمينها رحبها الجبار الذي يقدر من سانه الشرر ؛ حتى إذا بلغا العمود الأكبر الذي أسندت إليه مئآت الرماح ، والذي كان أوديسيوس يسند إليه رماحه وعدة حربه ، تناول تليماك الرمح وأسنده بعد جهد ، حيث برز بكل عظمته وكل جلاله بين رماح العشاق الفاسقين . وتقدم نحو أريكةٍ وبيرةٍ منعزلة ، وسأل ميترفا فاستوت عليها ، وكأنا ثمة بآمن من أن يستمع إليهما أحد .. وأقبلت جارية فيثانة رائعة تحمل طستاً وإريقاً من الذهب ، وصبت الماء على بدي العيف ويدي تليماك ؛ ثم مصت فأحضرت مائدة نسقت عليها الورود والرياحين ، ونشط النادل^(١) يحمل أطباق الطعام والفاكهة والحلوى ، فيأتي بها ملأى ويمضي بها فارغة .. والندمان^(٢) فيما بين ذلك يجذب الزق^(٣) إليه ويسقي .. ثم يسقي .. وشرع العشاق المحرمون بدورهم يلهمون ما لذ وطاب من أكل وشراب ... حتى إذا انتهوا شرع فيميوس بابه واطلق يغنى .

واتهز تليماك فرصة انصراف القوم إلى لهوهم وشرابهم فسأل الضيف قائلاً :

« يا أعز الأصدقاء ! أرايت إلى أولئك العساق ، لو أن رب البيت

(١) النادل خادم المائدة .

(٢) الندمان ساقى الشراب .

(٣) الزق قربة الخمر .

هنا ، أكانوا يلهون لهوهم هذا أو يفسقون فسوقهم هذا ؟ كلا ! لقد كانوا إذن أسرع إلى الهرب ، منهم إلى ذلك الطرب ؛ ولكن ... أواه ! ... أين هو ! أين أوديسيوس العظيم الذى انقطعت عنا أخباره ويئست من أوبته دياره . ولكن حدثنى بربك من أنت ؟ ومن أى الأقاليم قدمت ؟ ومن رجال البحر الذين ألقوا مراسيهم عند إيثاكا ؟ أغريب أنت أيها السيد ؟ أم كنت فيما خلا من الزمان من أصدقاء أئى وأحبائه ؟ »

وقالت مينرفا ذات العينين الزبرجديتين :

« ليهداً بالاك يا بنى ، فإنى مجيبك على كل ما سألت . إنك ترى الآن منتس أمير (جزيرة الطافيان) البحارين ، وسليل الخيالوس الكبير . ولقد أبحرنا من جزيرتنا ميممين شطر جزيرة النحاس من أجل ذلك المعدن الثمين ، وسفائننا ملقبة مراسيها بالقرب من غابات (نيوس) . ولقد كننا ولا نزال من أحب ضيفان أبيك وأودهم إلى وؤاده ، فلما سمعنا بما حل به من شدة ، وببيته من لأواء ، إستوحينا آلهتنا نفخبرتنا أنه لا بد عائد إلى وطنه سالماً غانماً ، وأنه لا بد منتقم من هؤلاء الفجار الأشرار .. ولكن خبرني بأربابك ، أفى الحق إنك لأنت ابن أوديسيوس العظيم ؟ إن ملاحك تشبه ملاحه ، وإنك لقريب الشبه منه جداً ، وإن هذا البريق الذى يشع من عينيك هو نفسه الذى كان يشع من عيني أوديسيوس ، يا للآلهة ! كم سمرت إلى أبيك قبل أن يشد رحاله إلى طروادة ! فهل يُقدَّر لى أن أسمرَ إليه مرة أخرى ؟ إننى من

وقتها إلى اليوم لم أره ، وهو كذلك لم يرني ... ألا ما أشوقني إليه !
ما أشوقني إليه ! ... »

وشاع بارق من الأمل في نفس تليماك فقال : « ويحك أيها الصديق !
إنني أنا ابن أوديسيوس ما في ذلك ريب ، والعالم كله شهيد على ذلك » .
ثم اختلطت الزرقة بالخضرة في عيني ربة الحكمة وقالت : « على
رسلك يا تليماحوس ! إذن فما هذه الولاثم وتلك السُّمط ؟ وهذا الزحام
من أين أقبل ؟ إنني لأُقلب ناظري في القوم فلا أرى شريفاً ذا حسب
يستاهل أن يُحتفى به أو يقام له وزن ! »

ويبتئس تليماك ويحيب : « أيها العزيز ... لقد هاجرت الفضيلة
من هنا في إثر المهاجر العظيم ، وكأنها آلت ألا تعود إلا معه ! وكان هو ،
تداركته السماء ! يلقها هؤلاء بنظرة واحدة تكفي لتزول منها الجبال ...
وأبتاه ! لقد أطمع العاديات فينا بطول نأيه . فيا للنوى ! إننا لا ندرى
اليوم أين مقره ولا أيان مستودعه . ولو قد خر تحت أسوار اليوم لاجتمع
الإغريق من كل حذب هنا ... هنا ... في حاضرة إيثاكا ليذرفوا
دموعهم من أجله ، وليقيموا له نصيباً عالياً رفيع الذرى شاهق الأوراق ،
وليكتبوا اسمه الكريم في صحائف صدورهم بمداد أبدى من التبجيل ...
ولكن ! .. وا أسفاه ! ... لقد انتصر انتصار الأبطال ، ثم مضى
على وجهه وراء البحار في فجاج الثبج ، وغدونا لا تحلم العين بنظرة مفردة
منه ، ولا الأذن بلفظة عذبة من لسانه المبين ! ... تباركت يا آلهة
الأولب ! ماذا عندك من الأقضية الخبوءة لي ؟ الذئاب ! إي يا آلهة

هذه الذئاب ! وحوش البرية التي اجتمعت من كل فج ... من الجزائر
المتناثرة في البحر ، ومن المدائن المترامية في البر ... من ساموس ودلشيوم
وزاكنشوس ! ومن كل إقليم وكل مصر ... كلهم يرابطون حول هذا
القصر ولا يستحيون ... الفساق ! الأوشاب العراييد ! يطلبون يد
الزوجة الوفية ... الأم المسكومة ... ينلوب ! ينلوب الباكية الحزونة
المصدعة ! كثر أوديسيوس الذي لا يفنى ! يطلبون يدها ولا يرحون
وفاءها وبكاءها ولأواءها ... فلا تستطيع أن تردم لمجزها ، ولا تستطيع
أن تحببهم وهي لا تدري من أمر زوجها ... وهم طوال هذه السنين يريغون
نعاء أبي ، فكهين في أشربات وآكال ، حتى أقفر الزرع وجف الصرع ،
وما أحسهم مبقين على شيء ... حتى على ! »

واشال الحنان في فم مينرفا ، إذ هي تحبب الفتى الحزون :
« ويح لك أيها الفتى ! رحمتك يا بني الصغير ! أواه ! لو أن أباك
هنا اليوم ليزود أولئك المناكيد ! وحق السماء لو أنهم رأوه وهو يلعب
رحميه أو يداعب سهامه لأجفلوا وولوا مدبرين ! إن له اسهاماً مسومة
سقاها أبي بعد إذ رفض أن يسمها إيلوس بن مرمريس ^(١) ...
وهو لو صوبها إلى أولئك المعاليك لأبادهم . . يا رحمتك له ! إن أحداً غير
— الآلهة — لا يعلم إن كان لا يزال حياً يرزق أو هو قد ابتلعه اليم
أو عاجلته المنون ... تلياك ! يا ابن أعز الناس على ! إصغ إلى ، وع الذي

(١) أورد ها هوميرس أسطورة لم نر أن نوردتها تحفماً .

أقول : إنك لست طفلاً بعد ! فلم لا تشمر عن ساعد الجد وتبحث بنفسك عن أبيك ! لم ترضى أن يطلع شرف بيتك هؤلاء الفجار ؟ لم لا تسلكهم بنفسك في أمر أمك ؟ ولم لا تصرفهم عن هذه الدار إلى بيت جدك ليطلبوا إليه يد ابنته إن شاءوا ؟ أليس أبوها أليق لهذا الشأن من كل رجل سواه ما دام أوديسيوس لم يؤب ؟ لِمَ يربضون هنا كسباع الفلاة يوهون ثروتك ويأكلون مالك ويذهبون بالأخضر واليابس مما ترك أبوك ؟ إستمع لما أقول يا تليماك ! نبي القوم فليجتمعوا لك ، ولتسمعهم كلمتك ، ولتضارح أمك إن هي أرادت منهم بعلا فلتنصرف إلى بيت أبيها فهو أولى بهذا الأمر من كل أحد . ثم انهض أنت يا ابن أوديسيوس ! فابحث عن أوديسيوس . أعد ما استطعت من سفين وزاد ، وميرة وعتاد ، ولتبهر على بركة الآلهة ، فلتذهب أولاً إلى (بيلوس) حيث الحكيم الباسل نسطور ، ثم إلى إسبارطة حيث صاحب هذه الداهية منلوس^(١) ... أقلع بعلسكك إلى هذين فسائلهما أين مضى أبوك فقد تقع منهما له على خبر ... ولتكن لك أسوة في الفتى الجريء المقدم أورست الذى قتل قاتلى أبيه^(٢) ، وفيهم أمه ... بوركت يا أورست ! بوركت يا أورست ! هلم يا تليماك فقد تعود بأبيك حياً فيرد الشرف والمجد إلى هذا البيت ؛ وقد تعود به ميتاً فترفع ذكره ، وتقيم قبره ، وتخلد في العالمين أثره ! والآن ، فلا نهض أنا إلى رجالى وسمنى . فلقد بعدت طويلاً عنهم ... وكلى يقين يا بنى أن تقدر نصيحتى وعلى الآلهة فلتتوكل ! » .

(١) روج هابن أخت ينلوب والتي كانت سبب حرب طروادة .

(٢) أجامنون .

وحين انتهت مينرقا من هذا الحديث ، حذجها تليماك وقال : « أيها الصديق حبا ، ويا أبر الأوفياء سمعا ! لقد أيقظت في ضميرك أنت أحييته . فألف شكران لك ... أبداً لن أنسى كلذك : أنا ابن أوديسيوس ! فلأبحث عن أوديسيوس » وحاول الفتى أن يقدم لمحدثه هدية سنية تكون تذكار هذا اللقاء ، ولكن مينرقا شكرته وأبت أن تأخذ شيئاً « فإذا نجحت في مسعاك يا بني فسوف أعود ، وسوف أقبل أية هدية منك ! »

ثم انطلقت ربة الحكمة ، ذات العينين الزبرجديتين . ولشد ماذهل الفتى ووقف مسبوهاً مشدوهاً حين رأى هذا الأمير (منتس) ينتفض انتفاضة هائلة فيكون نسرأ قشعماً يضرب الهواء بجناحيه ، ثم يعلو و يعلو ... فيكون في السماء ويغيب عن ناظريه !

ولم يحس الفتى يوماً بما أحس به الساعة من هذه الذكريات الملحة على فؤاده تهيج فيه الشوق إلى لقاء أبيه ، وجدد الثقة عنده وأكدها فيه يقينه أن إلهاً يساعده ، هو هذا الضيف الذي أرسل جناحيه وغاب في السماء .

وانطلق تليماك حيث جلس الفساق يستمعون إلى أعاني فيميوس ، وحيث وجد أمه في العشرة العليا تستمع هي الأخرى إلى تلك الأعاريد بين قيانها من وراء ستار صفيق وتبكي ... وتسأل فيميوس أن يتغنى غير هذا الغناء غناء لا يثير شجوها وشجنها ... وتثور الدخوة في قلب الفتى فيصيح بأمه : « علام العويل يا أماه ؟ وما وقوفك هذا الموقوف تسترقين الغناء ؟ وما اعتراضك على المغنى ؟ دعيه فليتنن مايشاء ،

فلقد غدونا سخرية القضاء وهُزِّواً المقادير . ولقد ذهب أوديسيوس وذهبت معه كرامة هذا البيت ، وإنى لصاحبها بعده ... فادخلي ، وايدخل معك قيانك ، ولتقمن جميعاً بشؤون المنزل ولتُخْلِنِ إلى مغزلك ومنسجك ، ودعى كل ما عدا ذلك للرجال ... لى ... لى أنا وحدى : سيد هذا القصر ! »

وأثرت مقالة الان فى نفس أمه ، فاثنت مع قيانها إلى مخدعها بالطابق العلوى ، حتى إذا دخلت إلى نفسها ذرفت من الدمع على أوديسيوس ما شاء لها حزنها أن تذرف . أما تليماك فقد انطلق وسط القوم ونادى بأعلى صوته : « أيها الفساق ! يا عشاق أمى ! خذوا فى لهوكم ، وتمتعوا قليلاً أو كثيراً ، فإذا كان الغد فاجتمعوا فى الساحة الكبرى ، فإن لى كلاماً معكم ... سأطلب إليكم أن تشدوا رحالكم من هنا ! أسمعون ! لقد طالما ألتفتم لنا زاداً وعتاداً ... ألا فلتلتمسوا الزاد والعتاد من عند أنفسكم ؛ ولتقيموا أفراحكم وولائمكم فى غير هذا المكان ؛ فإن أبيتم فإنى مستعين بالآلهة عليكم ، ولتقتص منكم السماء بما جرحتم ... » .

وما كاد يعرغ من قائلته حتى عضوا على أصابعهم لمفاجأتهم بهذا الكلام الخشن الذى لم يعتادوه . ونهض أنتينوس من مجلسه وقال : « تليماخوس ! لقد حق لك أن تخاطبنا بهذه الشجاعة ، ولكن ... يا لشؤم اليوم الذى تتوجك السماء ملكاً فيه على إيثاكا ... عرش آبائك وأجدادك ! » .

ويجيب تليماك : « ليس أحب إلى من الملك حين تخلعه على السماء ... »

غير أن أمره إليكم اليوم إن كان قد قضى أوديسيوس ... أما أنا ...
فلا أريد إلا أن أكون سيد هذا القصر ... ولا غرو ... فإن هذا من
حقى ! » .

وأجابه يوريماخوس : « إن من حَقِّك أن تقول ما تشاء يا أخانا
تليماخوس .. أما مُلك إيثاكا فالسما وحدها تؤتية من تشاء . ولكن
قل لنا بربك من هذا الضيف الذى كان معك الساعة ؛ هل من قبل
أبيك أقبل ؟ أم إن له عليكم لَدِينَا ؟ إن أحداً منا لم يلقه ولم يره ، ولسكننا
لحناء من بعد ، عليه سماء النجاة والجلال . من أين أقبل يا تليماخوس
وفيم قدم ؟ ... » .

وأصلح تليماك من شأنه وقال : « أيها السيد يوريماخوس ! إن يقضى
أن أبى قد انتهى ... ولن تغرينى هذه الكلمات المعسولة التى يتشدد بها
المنجمون ... أما هذا الضيف ... ف ... هو من أصدقاء أبى أطبعاً ، وقد
أقبل لمجرد الضيافة ، وهو الأمير منتس أمير البحارين وسيد تافوس ،
وابن سيد هذا الزمان ، الملك الشجاع أنخيالوس . »

قَالَهَا تليماخوس وهو أعرف الناس بضيفه ؛ ثم انثنى كل إلى حميمه ،
وانثنى تليماك إلى مخدعه بالطابق العلوى . حيث كانت مربيته يوريكليا
تنتظره ، وتوقد له الشموع والسرّج . يالها من أنثى طيبة تخلص لمولاها
وتحنو عليه ... لسرعان ما خلع ملابسه فعطرتها وحفظتها ! ... ولسرعان
ما هيأت له فراشه الوثير ...

وقضى تليماك ليلة نابغية ممقطة بالهواجس والأفكار .

تيماتك يبادل العشاق

موت أورورا^(١) ، ابنة العجر الوردية مشرق الأفق ، فهب ابن
أوديسيوس من سرقة ، وأصلح من شأنه ، وتقلد سيفه^(٢) ، ثم انقل
مختالاً ، كأحد آلهة الأولمب من باب محده ، وجمل يقلب عينيه في هذه
الخيام المضروبة التي تملأ حديقة القصر ، والتي يشوى فيها أولئك الفجار
الأشرار عشاق ينلوب ؛ وتلبث قليلا وفي القلب لظى ، وفي النفس كاوم ؛
ثم صاح بالملأ فهبوا مسرعين ، وأخذوا ينسبون إلى الردهة الكبرى ،
حتى إذا انتظم عقدهم والتأم شملهم تقدم هو متهدجا نحو عرش أبيه ، وفي يمينه
رمح ظامى إلى تلك الدماء النجسة التي تتدفق في أبراد تلك الذئاب ، وعن
جانبيه كلباه الضاريان ، وفي عيني كل منهما جمرتان . وكانت مينرفا نفسها
تضفي على الشاب سيما ، النبل ، وترقرق فوق ناصيته أمواها من العظمة
والحد ، لتقذف منه الرعب في قلوب أعدائه ، حتى لبهرهم أن يروا في
تيماتك ذاك الضرغامه المختال .

وما كاد العتي يستوى على عرش آبائه الصيد ، وأجداده الصناديد ،
حتى نهض شيخ يحمل فوق كاهله السنين الثقال ، وتشتعل في رأسه
شبية التجار يب وجلائل الفعال . وكان هو إيجيتوس بعينه ... إيجيتوس

(١) ربة الفجر في الميثولوجية اليونانية وإحدى نابات أبولو وهادي عربته
— الشمس — عند ما تبزع من أبواب المشرق .

(٢) في الأصل (صفيحته) وهي السيف العريس Faulchion

المسكين الذى بعث بولده أنتيفوس فى أسطول عظيم وجند لجب - ليشارك
فى حرب اليوم مع أوديسيوس ، فنازل وناضل ، وكر وفر ، وجال وصال ،
وصمد وانتصر ... ولسكنه ... وأسفاه !... لم يعد إلى أوطانه فى العائدين ؛
بل صحب أوديسيوس فى رحلته المشثومة وراء البحار حيث أكله السيكلوب
الوحش فيمن أكل . وقف إيجيتوس بين أبناء له ثلاثة ، أحدهم من
عشاق ينلوب ، ثم قال :

« أبها الرفاق ! يا أبناء إيثا كا النبلاء ! إنها أول مرة منذ أن بارح
أوديسيوس بفلات أكبادنا ندعى فنجتمع مثل هذا الاجتماع . فندأ
الذى دعا إليه ، وماذا يبتغى ؛ أنفحة من نفحات الشباب ، أم زفرة من
زفرات الشيب ، أم خبر من جيشنا الهالك يبشر بعود ؟ اينهض
باركته السماء فليحدثنا عما دعانا إليه » .

وتناول تليماك صولجانه من قواسه ، وتقدم حتى كان فى وسط القوم ،
وجهر فقال .

« أنا أيها السيد الوقور صاحب هذه الدعوة ! أنا تليماخوس بن
أوديسيوس ، صاحب هذه الدار وصاحبكم ومولاكم من قبل ... لقد
دعوتكم لأشكو إليكم بئى وحرزى ... لا لأزف إليكم بشريات الجيش
المفقود الذى لا يعلم مصائره إلا نربوس ! لقد فقدت والدى ، ووالد
الايثاكيين جميعاً ، ثم أنا اليوم حبيس هذه الدار ، أسير هؤلاء العشاق^(١)

(١) يلاحظ القارىء أن الاجتماع كان عاماً ولم يكن قاصراً على العشاق فقط ،
بل ضم جمهوراً من أهل إيثاكا كذلك .

الذين يطمعون في الزواج من أمي ، غير متقين في عرضي إلا ، ولا راعين
لأبي ذمة ، يُذبحون الذم^(١) ، ويريفون^(٢) الزاد ، ويعاقرون ابنة العنب ،
ولا يبالون أن يهلك الزرع والضرع ، ما داموا يبيتون و بطونهم ملأى ،
ويبيت غيرهم على الطوى ... ! لقد استباحوا هنا كل شيء ، ما دام
لا أوديسيوس هنا فيردعهم ، ولا حول لي فأغل أيديهم ، ولا ضمائر
فيصيخوا إلى قولي ، ويرحموا ضعفي ، ويذهبوا من فورهم إلى جدي
فيحطبوا إليه ابنته إن أرادت أحدهم بعلا ، فهو بها أولى وبشأنها
أحق ... إنكم ضـ عفاء أيها الإيثاكيون الأوفياء ... ولو
استطعتم لرددتهم عني غائلتهم ... فلقد طفح الكيل ، وحزب الشر ،
وعم الأذى ... والآن ، أوجه إليهم قولي . . ، ولن أستحي أن أصارحكم
مرة أخرى أيها العشاق ... اخجلوا إذن ! ولتصبغ الفضيلة وحنانكم
بحمرة الحياء ! أذكروا ما عسى أن يُعيركم به جيرانكم ! واحشوا قارعة تحل
عليكم من أربابكم ... واتقوا يوم تلقونهم تودون لو تلقفتكم الصواعق ...
يا قوم ! أستحلفكم بسيد الأولب ، بربة العدالة ثيميس ، إلا ما تركتموني
أقضى البقية الباقية من أيامي في شقوتي وحدي ! هل أجزم أبي مرة مع
أحد منكم فأتهم اليوم تأخذوني بجريرته ؟ فيم إذن مقامكم هنا ؟ وفيم
إذن تستنزفون آخر قطرة من خمرى دون مقابل ؟ ! إذهبوا ! إذهبوا ،
ودعوا تلميخوس البائس تحز في نفسه أشجانه ، وتبرى اصطباره بلواه ! ! » .

(١) اللاشة .

(٢) يدسمون .

ودق الأرض بصو لجانه ، وانفجر يبكي ، وكأنما انهمرت دموعه في نفوس القوم ، فوجها وجوماً شديداً ، ولم ينبس أحدهم ببنت شفة . حتى نهض أنتنيموس آخر الأمر فقال :

« لله بيانك يا تليماخوس ! لقد كنت مصقفاً حقاً ! ولكنك لم تصب كبعد الحقيقة حين قصرت علينا اللوم ، وحين لا ملوم إلا أمك ! لقد خدعنا جميعاً طوال سنوات ثلاث كادت أن تتم أربعاً ، إذ رسائلها تترى علينا ، تُحيي في نفوسنا الآمال ، وتذكّي فينا الأملاني ! لقد كانت وعودها تترادف كالبروق الخُلْب ، وتترأى كالسراب المضل ! لقد اتخذت لها منسجاً وطعقت تعمل عليه وهي تغر ربنا ، ونقول : « أيها الإغريق : لقد قضى أوديسيوس ما في ذلك ريب ، وكلكم تطعمون أن تفوزوا بزوجته ، ولكن أبي ليرتس رجل شيخ ، وهو يدب بخطى وثيدة إلى حافة القبر ، أفليس أخلق بي وبكم أن تنتظروا حتى أنسج له هذا الثوب ، لتكون منه أكفانه ، وحتى لا أكون مضغة في فم الإغريقيات إن تركته برغم ثروته الطائلة وليس له كفن يضم رفاته » . ولقد أجبنا سؤالها وتلبثنا طويلاً ، نرجو لو تفرغ من نسج هذا الكفن ، بيد أنها كانت تنقص بالليل ما تنسجه بالنهار ، وهكذا دواليك ، ظلت تخادعنا تلك السنين الثلاث ، حتى فضحت سرها إحدى وصيفاتها ، إذ حدثتنا به ، واستطعنا أن نضبطها وهي تنقض غزلها أنكاثاً في ضوء المشاعل ، في جنح الليل ، فأجبرناها على إتمامه بالرغم منها ... هذه هي الحقيقة يا قوم ! والآن ! فلترسل أمك أيها الفتى إلى أبيها ، وليختر لها من بيننا بعلاً ،

أو فلتختر هي لها بهلا ... أما إذا عكفت على ختلها بفا ، فلتتق أن
 شيئاً منه لم يعد يجوز علينا ، مهما ظنت أنها أحذق من تير و ، أو أكيس
 من ألكمينا ، أو أبرع من ميسينيه^(١) ... حسبها ما خدعتنا ! وإنا
 نقاسمك ياتليماك أننا لن نبرح عاكفين على ما شكوت ، من ذبح لنعمك ،
 وإراغة لزدك ، ومعاقرة لخرك ، حتى تختار لنفسها ؛ أو ... فلتعف
 هذه الدار ، ولينصب معين خيرها . »

وشاعت الكبرياء في كل جارحة من جوارح تليماحوس فقال :
 « أتيديوس ! ماذا أصابك ؟ ! كيف تسألني أن أقهر أمي التي غدتني
 ونسأتني على غير ما ترضاه ؟ كيف أطردها من قصر بعلمها الذي لا يعلم
 غير الله إن كان حياً أو ميتاً ؟ لبئس ما أجزيها به ، ولشد ما أغضب أبي
 وأثير غضب الآلهة عليّ إن فعلته ! ! إنها ستدعو إيرينيس كي تنتقم لها
 مني ، وستنصب على لعنات الناس جميعاً ؟ ! ويحك أيها الرجل ! ان
 أقولها أبداً ... بل اذهبوا أنتم فسلوها ما تشتم ؛ فإما أجابت طلبتكم ،
 وإلا فانصروا غير مأجورين ... اذهبوا .. فأولموا ولائكم في غير هذا
 القصر ، وأربغوا من زادكم ، وأنفقوا مما تحبون !! أما إن رأيتم أنه أحلى
 لكم أن تأكلوا مال غيركم ، فإني سأهتف أبداً بالآلهة أن تقتصر لي
 منكم ، فهي محيطة بكم ! .. »

وما كاد يفرع تليماك من مقالته حتى أرسل سميذ الأولاد نسرين

عظيمين طفقاً يضر بان الهواء بخوافيهما ، ثم جعلاً يَدَّ وَّمان فوق الملاء ،
ويقدحان الشرر من أعينهما ... نذيرَي ردى ، وصيحة منوف . ثم
انطلقا نحو المدينة وغابا في ظلام البعد .

وشده القوم ، وريعت أفئدة العشاق ، وأخذوا يتخافتون ... ثم
نهض فيهم القديس هاليتير بن نسطور المعروف بورعه وصدق نبوءته ،
فقال :

« أيها الناس ! يا أبناء إيشاكا ! اسمعوا وعوا ! ليحذر العشاق العاميد
ما يخبيء لهم الغيب من شر أو شك أن ينقذف على رؤوسهم ! إن أوديسيوس
حي يرزق ، وإنه عائد إلى وطنه ، بل إنه ليُغذِّ السير إلى هنا ! وإنه ليحمل
الموت الأحمر إلى خصومه ، والخير الأخضر إلى مواطنيه ! أنا هاليتير ،
قد يسكم الذى لا يكذب قد أنبأته قبل أن يبحر إلى طروادة بذلك النبأ
وأنه عائد إلى وطنه بعد أن ينتصر على أعدائه ، ويذيقهم ضعف ما صنعوا ،
ولن يجديهم أن يتوبوا أو يندموا ... وليأتينكم نبؤة بعين حين ! » .

وسخر القوم منه واستهزأوا به ، وقام يوريماك يرجه بهذه الكلمات :
« انقلب إلى دارك أيها العجوز الخرف ! هلم إلى أحفادك السكالي
فتنبأ لهم بما ينبغي أن يأخذوا حذرهم منه ! لقد قصف اللنون
عود أوديسيوس الفينان . فليتة قصف عودك كذلك ! طير ؟ ها !
إن الطير طالما يستنسر في سماء إيشاكا ؟ إن أكبر الظن أنك تطمع في
منحة من ابن مولاك تليماك ... واسكن اصغ إلى ؟ لتكن لك منحة منا
إن تنبأت له عما يكاد يذهب بك وبه من بطشتنا إن لم يختار لنفسه !

أسمعت ؟ لقد بصحننا له أن يرسل أمه إلى بيت أبيها ليختار لها الكفء الذى ترضي ، فلم ينتصح . وأنا أرسلها كلفة صريحة فى غير مدين ، أننا لن نهرح عاكفين على ما نحن فيه من هذا الخير ، حتى تخضع بنلوب ، فنمضى مأجورين ... وثق ، أيها الشيخ المهيب الخرف أن نبوء أنك لن تفرغنا ، بل هى نضاعف سخطنا عليك ، وبغضاءنا لك ... ألا ما أطيب الإقامة هنا ؟ ! لنزدد بنلوب عناداً ، فإننا لا نزداد إلا جلاداً ... » .

ونهض تليماك فقال :

« على رسلك يا يوريماخوس ! وعلى رسلكم أيها العشاق جميعاً ... لقد أرسلتها كلفة حق فلم تستمعوا لها ! أبداً لن أضرع إليكم مرة أخرى ... الآلهة بيني وبينكم ، والإغريق أجمع أعلم بأمرى وأمركم ؛ غير أن لى طلبية إليكم بوجهى لو أنلتمونى إياها ... فهل تسمعون لى بمركب وعشرين بحاراً فأقلع من فورى هذا إلى بيلوس ثم إلى أسبرطة ، عسى أن أسمع خبراً عن أبى ، أو ألتقف نبوءة من سيد الأولب الذى بيده ملكوت كل شيء ... إني إذا أيقنت أن أبى لا يزال حياً فقد أوفق إلى العثور عليه ولو بعد حين ، أما إذا استيقنت من هلاكه فإني عائد إلى إثاكا ، فقيم له نصيباً يتفق وهذا الجد الباذخ والذكر التليد ، ثم يكون لى مطلق الحرية فى منح أحدكم يد أمى فتكون زوجته الخالصة إلى الأبد ، بعد أن أتم لأبى كل المراسيم الجنائزية ، لتقر روحه العظيمة ، وتسكن إلى ربها فى ظلال هيدز^(١) . »

(١) اسم الدار الآخرة فى الميثولوجيا .

وكان في المجتمعين رجل تبدو عليه مخايل النبل ، وتعتقد في رأسه
حمرات الشيب ، تهالك على نفسه حين وقف ينافح عن تليماك ، فإذا هو
الشيخ منظور ، الذي كان أوديسيوس قد استخلفه على أهله قبل إبحاره
إلى طروادة ، لصداقة قوية كانت تجمع بينهما .. قال منظور :

« إسمعوا إلى يا أهل إيثاكا ! ما لكم اليوم قد نسيتم آلاء ملككم
أوديسيوس عليكم ، وهو الذي كان يرعاكم كأب ، ويفدق عليكم من
فيضه العميم ؟ ما لكم قد تقاعستم دون هؤلاء العشاق الذين يذهبون
بخير مولاكم ويأكلون مال ابنه بغير الحق ، وهم قُلٌّ وأتم كُتْر ، آمنين
مطمئنين ، لا يرهبون أوبة معاجئة من البطل الشريد ... ؟ » .

وهاجت كلمة الرجل كوامن العشاق فهب أحدهم وهو ليوكريتوس ،
يقول :

« رويدك يا منظور ! أيها الثرثرة العجول ! كيف تجرؤ أيها الرجل
فتثير الشعب على العشاق وهم سادتك ؟ هل أعجبتك كثرتهم يا منظور ؟
إذن فأبشر بعجزهم دون ما ابتغيت ، وثق أن ملك إيثاكا نفسه لن
يستطيع معهم شيئاً إذا حاول إخراجهم من بيته هذا ، إذا قدر له يوماً
أن يعود ؛ إنه إذا فعل مسيدوق وبال أمره ، ولن تنال منا حماقتك
ولا نبوءات هاليتير ، وبنلوب نفسها لن تسر بأوبة أوديسيوس ؛
ولكن اسمع أيها الشيخ ، إنه لن يضيرنا أن يذهب تليماخوس فيذرع البحر
باحثاً عن والده ، وله أن يتخير من السفن ما يشاء ... » .

وتفرق القوم ، وأهرع العشاق إلى حيامهم ، وانقلب تليماك إلى

سيف البحر ، حيث وقف فوق صخرة ناتئة يناجى مينرفا :

« أيتها الربة المباركة ! يا إلهة الحكمة مينرفا ! يا من كنت أمس ضيفة مكرمة تحت سقف هذا البيت ؛ أصلى لك ، أنا تليماخوس التيس ، وأبتهل أن تباركينى وتسددى خطواتى ، وأن تكونى رائدى الأمين فى عباب هذا البحر ، وأن تشدى أزرى وتكونى معى إلباً على هؤلاء الفساق العرايد ، وأن تشرقى فى ظلماتى البعيدة ، وأن تحلى أمداً وسلاماً على ... يا مينرفا ، يا مينرفا ، إستجيبى يا ربة العدالة ... » .

واستجابت مينرفا ، وأقبلت فى صورة الأمين منظور حتى كانت قبالة تليماك ، ثم شرعت تكلمه كلماتٍ هن أرواح من أنفاس المعجر ، وأندى من نسائم الورد ، وأعذب من قطرات الندى :

« السلام عليك يا تليماخوس ! السلام عليك حين ثبت أنك ابن أوديسيوس الوفى وفرع دوحته الوارف ، وحين تبدو فيك بدوات من - و له وطوله وقوة بأسه ، وحين تطلع على بركة السماء وفى عناية الآلهة ورعاية سيد الأولمب ؛ ؛ فى رحلة إن تكون عبثاً ... أنت ابن أبيك يا تليماك ... أتى بك من بنلوب .. وآية ذلك هذه الروح القلقة التى تشيع فيك من أجله ، وهذا الجبروت الذى هو نفحة منه ، وذلك الصوت الجبار الذى يتلجج فى فك كأنه فيض من لسانه ، وذلك الذكاء الوقاد الذى هو قبس من ذهنه العظيم . بشراك يا تليماك ! لا يمزك خبال أعدائك . فقد أوشك القضاء أن ينقض على رؤوسهم فيحط بهم ... أنا ... أنا هذا الشيخ المهتم ، صديق أبيك وأمينه منطور ، سأكون معك ، وسأخدمك »

وأصهر عليك ، وأفديك ، .. لكن لتمض الآن فلتعد للرحلة ما هو حَسْبُها
من زاد وعتاد ، ونجبة أولى بأس من رجالك الأقوياء ، وسأنتقى أنا نفسي
أشدّهم مراساً وأصدقهم غزيرة ... إمض على بركة الآلهة ... إمض ..
إلا وقت لدينا فنضّيعه . هلم .. » .

وسكنت ميترفا ... ولكن حرارة كلماتها أشرفت بالآمال في نفس
تليماك ، وذهب وقلبه يخفق بألف أمنية ... إلى القصر . حيث رأى
العشاق يُذبحون ويعدون نار الشواء ، وحيث قفز أنتينوس للقائه ساحراً
مستهزئاً :

« تليماك ! ناشدتك الآلهة إلا ما شاركتنا غداءنا واطرحت بغضائك
هنيئة ! هلم ! تحسّ من هذه الخرق قرفاً أيها الصديق . لا يشغلك أمر
هذه الرحلة .. فقد أمرنا أن يعد لك الآخيون سفينة عظيمة وقدرأ من
الزاد كبيراً ، وعصبة من الرجال أولى قوة ... وستبحر قريباً فتذرع
البحار وراء أبيك . هلم ... هلم . »

ولكن تليماك عبس عبوسة فائمة ثم قال :

« أنتينوس ! إليك عني فما أستطيع مشاركة خصومي السفلة غداءهم ،
ولا لي قلب فأشرب الذخَب من يدك ! لا بورك لكم هذا الذَّبْح الذي
لا يحل لكم ، والذي استبحتموه من غير حق ، إذ أنا طفل أحبو ...
أجل ! لأستعجلن لكم الخراب ولأسعين في حتفكم ، ولأذهبن إلى
بيلوس فأنتصر إذ غزني النصر في إيثاكا ! أيها الذئاب ! حتى سفاتي
وعتادي تنكرونها علي ! » .

وكان اللثيم قد أمسك بيمين تليماك كالمصافح المستهزئ ، ولكن تليماك جذبها ساخطاً ، وترك السكّاب تغمره وتلهزه ، وتستهزئ بهذا العون الذى يرجوه من بيلوس ، وتلك الجحافل التى يأمل أن يجردها عليهم من أسبرطه ... « ومن يدري ؟ فقد بهتدى إلى إيفير الثمرة ، فيجد فى أعشابها بقلة يدس لنا منها فى كؤوسنا فتريحه منا ... » ... « بل من يدري ؟ فلقد يبتلعه اليم كما ابتلع أوديسيوس من قبل ، وتكون هنالك الطامة ! إنا إذن نقسم هذا المتاع وتلك الصياغ ، ثم مهر أحدنا الذى تختاره بيلوب بعلاً لها ، بهذا القصر المنيف ! » .

تركهم تليماك ، ومضى قُدماً إلى غرفة أبيه بالطابق العلوى ، حيث كنوره التى لا تقدر ، من عدة للحرب وذهب مدّخر ، وخرة معتقة . وروح أذفر ، وخز وديباج ، ودُرّ وجوهر ، ومغافر^(١) أعدت لليوم المنتظر . يوم يعود أوديسيوس فيظفر ويقهر ، ويظهر بيته من ذاك الدهر ..

ووجد عندها حارستها يوريكيا فصاح بها :

« ربيبة ! يوريكيا ! هيا ! صبي من خمر فى زقافى ! من مدامتك التى ادحرتها لأبى .. لا ... لا .. ليس من صفوتها يا ربيبة ، احتفظى بصفوتها له ، املئى اثنى عشر دِنًا ، وهىئى عشرين جِوالًا من دقيق ، هيا .. أعدّوها كلّها لتحمل إلى سفينتى بعد أن تنام الملكة . لا يعلمن أحد بأمر رحلتى إلى بيلوس وأسبرطه ... حتى ولا أمى ! سأرحل ثمة ... سأسمع أخبار ... »

وصمت تليماك هنيهة ... واستعبرت ربيبته يوريكيا ، وأرسلت هذه

(١) القدر والمعرة زردية لينة الخارب تحت القوس .

الكلمات على أجنحة من الحنان ، وفي أنسام من الرحمة :
 رويدك يا بنى ! أى سفر وأى نوى !؟ لقد انتهى أوديسيوس وانتهى
 معه كل شيء ! وهو اليوم رفات سحيق فى رمس عميق فى بلد لا نعرفه !
 أأسافر يا تليماك ليأتمر هؤلاء الذئاب ، وقد يسلطون عليك من يفتالك ،
 ثم يستصفون كل مالك بعد ذلك ؟ حاشاك يا بنى ! لتبقى معنا نحن الذين
 أحبيناك واصطفيناك ! فيم تذر عباب هذا البحر ولا رجاء لك فى مطمح .
 ولا ثقة لك فى شيء ؟ » .

وأجاب تليماك فى رفق :

« رويدك أنت يا ربيبة ! إني لم أعتزم شيئاً من تلقاء نفسى ... إنها
 السماء هى التى توحى إلى ! ولكنى أستحلفك بكل أربابك ألا تقصى
 شيئاً مما اعتزمته على أمى إلا بعد أحد عشر يوماً أو اثني عشر يوماً من
 رحيلى ... فإنها لو علمت بسمرى لأظلمت فى عينيها مباهج الحياة وذهبت نفسها
 على حسرات » .

وأقسمت يوريكليا بكل أربابها ، وانثنت تهين دنان الخمر وأحمال
 الدقيق .

أما مينرفا ! أما ربة العدالة والحكمة الخالدة ، ذات العينين
 الزبرجديتين ، فقد يمت شطر البحر وقصدت إلى المرفأ ، حيث لقيت
 نويون بن فرونيوس سيد الملاحين ، وسألته إحدى جواريه المنشئات ،
 فأعد لها واحدة من خيارها . وما كادت ذكاء تلج فى خدر الأفق ،
 وما كاد الشفق يبكى فيصبغ بدموعه جبين السماء ، حتى كان الملاحون قد

هياؤا القلوع ونشروا الشراع ، وخبروا مجاذيفهم وأحضروا عُددهم ،
وتزودوا من السلاح ؛ وكانت مينرفا نفسها تستحثهم ، فسرعان أن تهادت
السفينة ، ورقصت نشوى فوق هامات الشبح

وذهبت مينرفا ، في صورة منظور وفي طيلسانه فأشرفت على عصابة
العشاق ؛ وتمتت بكلمات فانتشر الظلام فوق خيامهم ، ولعب النعاس
ملء جفونهم ، وكانت الكؤوس لا تزال تقهقه في أيديهم ، فسقطت عن
غير عمد لتسقى الأرض من تحتهم شرابا !

وظفقتوا ، تحت طائف الكرى ، ينسلون إلى خيامهم ...

وأدلفت مينرفا بنحو القصر لتلقى تليماك :

« تليماك ! هلم ! البدار ! أنت هنا وكل رفاقك في الفلك المشحون
ينتظرونك ! هلم ! يجب ألا نضيع وقتنا سدى »

ونهض تليماك ! وسارت مينرفا ، وسار هو في أثرها حتى كانا عند
سيف البحر ، وحتى أشرفا على السفينة .

« مرحباً يا رفاق ! هلموا فاحملوا هذه الدنان وتلك الأحمال إلى

السفينة ! لا أحد يعلم أمر رحلتنا حتى ولا أمي ! إلا ربيتي ! »

وامتثل الملاحون أمر سيدهم ، ثم تقدمت مينرفا فركبت السفينة
ومن ورائها ابن أوديسيوس وجلست هي عند الدفة ، ونشط البحارة فهياًوا
للركب ، وحدجت المغرب ربة العدالة بعينها الزبرجديتين فهبت النسيمات
رخاءً ، ورقصت تحتها الأمواج من طرب ، وانتصب تليماك واقفاً يحث
رجالہ ؛ واضطرب الماء تحت السفينة واصططخب ، وصب القوم

«دانا من الحر تقدمه الآلهة وقرابانا لمينرفا ونحمة لا تبید !
واحلو لك الليل وتیدجى غيبه ؛ ثم احجاب ظلامه عن فجر مبین !

فی بیـلوس . . .

تليماك يسأل نسطور عن أبيه

بررت ذكاء من لجة المشرق فصبغت آرادها^(١) الذهبية جبين
الأفق النحاسي ، وسكبت الأضواء الجميلة لتهدى إلى السبيل السوى ،
وألقت السفينة مراسيها تلقاء بيلوس ، مدينة نليوس^(٢) ؛ حيث وجدوا
القوم على الشاطئ يقربون القرابين باسم پوسيدون ، ذى الشعر
اللاروردي ، وقد جلسوا فى صفوف تسعة ، وفى كل صف خمسمائة
تميش عتيد . وذبحت كل فئة قرابينها : تسعة عجول سمان ذوات خوار ،
وأكلوا الحوايا^(٣) ، وضخوا بالسواعد والأفخاذ ؛ ثم أقبل تليماك وبين يديه
مينرفا تنهادى وتقول :

« تليماخوس ! تشجع يا بنى ، ولا تجعل للاستحياء سبيلا إلى نفسك ،
وتقدم إلى أمير هذه البلدة الصنديد ، نسطور ، فقد تكون لديه أخبار
عن أبيك ، وقد يحاول لك الشكوك التى تخامرک ، وثق أنه لن يخفى عليك
من أمره خافية ، فقد تقدمت به السن ، وهو اليوم أحكم الناس . »

(١) أشعة الشمس .

(٢) نليوس هو ابن پوسيدون (نبتون) إله البحار والد أعواء أو بيسوس

(٣) الأمعاء وما إليها .

ويقول تلميذك :

« أواه يا منطور ! ما أحسبني أقوى على لقاء الرجل ، وأنا من تعرف من قلة الشأن ورقة الحال أنا الفتى الحدّث . أننى لى بلبقاء الشيخ ذى التجارب ؟ »

وتجيبه ذات العينين الزرجديتين .

« لا عليك يا بنى ! إن هى إلا كلمات تقولها وعلى الله قصد السبيل ! العالم كله يعرف أنك نشأت فى ظروف قاهرة ما كان لك بها يدان ! »
ودلته مينرفا ، ودلف فى إثرها تلميذك ، حتى كانا فى وسط القوم ،
وحيث جلس نسطور العظيم بين أبنائه ، وحيث اشتغل أهله بالشواء ،
وهب الجميع للقائهما . وتقدم ابن نسطور الأكبر ، بيرستراتوس ،
فصاحفهما هاشاً ، وتلقاهما باشاً ، وأجاسهما فوق الفراء الملبثوث إلى جنب
أبيه ، وأحياه الأصغر تراسميديس ، وقدم لـه سكبلة مصغرة من حوىة ، ثم
كأساً ذهبية من خر معتقة ، تذوقها قبل أن يحجى بها ، ثم قال
مخاطباً مينرفا :

« مرحباً بك أيها الصيف المكرم ! لقد شرفت فى عيد نيتيون ،
وبودنا لو أفرغت باسمه ما فى هذه الكأس من خر صلاة له وزكاة !
ورجو لو أشركت فى التقدمة زميلك ، فما أحسبه إلا محباً للآلهة ،
خائباً لها »

وتبسمت مينرفا ، وتناوات الكأس فى وقار ، وأرسلت هذه الصلاة

باسم رب البحار :

« نبتيون العظيم تقدس اسمك ، وأحاط باليابسة ملكوتك .. يا منقذ الضالين ومغيث للمتضرعين ، أدرك بلطفك التائبين إليك ، ونجهم من دأمائك ببركة أسمائك ، مولاي وتقبل من نسطور ومن ذريته ، وتقبل من جميع أهل بيلاوس أضيائهم ، ثم تفضل يا مولاي فسدّد خطي تليباخوس وخطاي إلى ما أقنعنا فوق هذا المركب الشاحب من أجله ... آمين آمين ! »

وتناول تليباخوس الكأس بدوره ، ثم أفرغ ما فيها ، وتمتم بصلاة قصيرة ؛ وما كاد يفرغ حتى تفرق المدعوون من أهل بيلاوس طاعمين شاكرين ، إلا مينرقا وصاحبها ، وإلا نسطور وولديه ثم قال نسطور :

« أما وقد فرغنا من غدائنا فماذا أيها الوافدون ؟ من أنتم ؟ ومن أين حملكم هذا البحر ؟ أتجار أنتم ؟ أم قرصان تملأون الشطآن ذعراً وفرعاً ؟ »

واستجمع تليماك شجاعته ، ونفخت فيه مينرقا من روحها ، وتكلم فقال :

« على هينتك يا ابن نليوس العظيم ، يا غر هيلاس ؛ إني أنا ابن صديقك وصفيك أوديسيوس ، سعت إليك من أقصى الأرض أسألك عن أبي ! أبي ! صفيك وخليتك الذي صال معك تحت أسوار إليوم وجال ، ثم لا أحد يعرف من أنبائه اليوم شيئاً ! لقد انتهت إلينا أخبار الأبطال اليونانيين جميعاً وعرفنا مصارعهم ، إلا إياه . أين رقد ؟ وأنى

نوى ؟ وأيان قرت رفاقته إن كان قد شالت نعمامته ، أو مضى على وجهه في الأرض إن كان لا يزال حياً ... إن الآلهة نفسها لا تشاء أن تدلنا من أخباره على أثر . ولشد ما أخشى أن يكون قد نوى هناك ... في أعماق مملكة نيتيون ، مع الجميلة أمفريت^(١) . لذلك سعيت إليك يا نحر هيلاس كيما تحدثني عن أبي ، وكما تذكر لي بعض ما تعرف عما ألم به إن كنت قد شهدته ، أو تقص على ما عسى أن تكون قد سمعته من بعض حاشيتك التي تجوب هذه البحار . قل . تحدث يانسطور ، ولا تخف عني شيئاً ... قل ... إني أستحلفك بكل ما كان يفتديكم به في ساحة اليوم أن نقص على أنبياءه . لقد كان يحبك ويحلك ويوقرك ، فاجز ابنه بعض ذلك »

وكأنما رأى نسطور حالماً لذيذاً فقال :

« ويحك أيها الصديق الشاب ! ما أروع ما هئت ذكريات الماضي المفعم بالأشجان ! ذكريات السادة الذادة والمغاوير الصناديد ، الذين سقطوا تحت أسوار اليوم العتيدة فأروا ثرى الميدان بدمائهم ، وسطروا آية المجد بمهجهم ! إيه أخيلوس ياسليل الآلهة ؛ وبتروكلوس يامعجز الأنداد والأقران ؛ وأجاكس ! أجاكس الذي كان أمةً وحده ! لقد رقدوا جميعاً تحت قلاع بريام الجبار الشيخ ! ورقد معهم ولدي آه ياولدي ! أواه ياقطعة قلبي وفلذة كبدي وثمره حياتي وسؤددي ! يا أشجع الشجعان يا أنتيلوخوس ! أية قصة وأية مأساة ؟ ! يا رعاك الله أيها الشاب

(١) مملكة البحار وروجة نيتيون .

الحزون ! أنى لى أن أقص عليك أحداث سنين تسم كانت هموماً متصلة
وأحزاناً فاجعة وآلاماً تتسعر في جميع القلوب ! ؟ أى لسان ذرب يقص
فلا يمل ، وأى مقول رطب يحكى وما يعي ؟ ألا لو أنك آمت تسمع
الأعوام الطوال فما أحسب القصة تنتهى ! القصة التى لم تُجد فيها شجاعة
الألوف لولا خدعة أوديسيوس وحييلته ، وطول أناته وهمته !
ولكن حدثنى بربك أيها الشاب : إنك حقاً لولد أوديسيوس ؟
أجل ! إنك بملاحك وقسماتك غصن دوحته ، وإنك بكلماتك العذاب
عسلوج أرومته ! أوه ، أوديسيوس ! يا رفيق الشباب وحبیب القلب !
أشد ما تعتلج في النفس تلك الخاتمة الهائلة التى قضاها على الأرجيف (١)
سيد الأولمب ، غب انتصارهم ، وقبيل أوبتهم ! لقد حنقت مينرفا على
ولدى أتريوس إذ تنازعا فقال قائل منهما نضحى لربة العدالة عند سيف
البحر تلقاء اليوم ، ولكن الآخر أبى ، وأبحر على أن يقدم لها القرايين
في أرجوس ! يا للتعسين ! أجاممنون البائس ومنلوس المسكين ! إنهما لم
يصليا لمينرفا فحاق بهما غضبها ، وعبثاً حاولا بعد ذلك أن يترضاها !
اختلف الأخوان ونام الجند حتى مطلع الفجر ، ثم أقلع نصف الأسطول
في موج ثائر مضطرب من غضب الآلهة ، بقيادة أجاممنون ، وماهى
إلا سويغات حتى هدا اليم ونام الموج ؛ وبلغنا تندوس فذبحننا الأضحيان
باسم الآلهة ، وسبحنا الرب البحار نيتيون ، فتطامن العباب ؛ واسكننا ما كنا

ندرى ما تنسجه يد جوف^(١) حولنا ، بل لم يكن يخامرنا أقل شك في وصولنا إلى الوطن سالمين . ذلك أن أوجه النظر اختلفت ثمة ، ونشب بين القادة نزاع في الرأي : هل يقلعون من تندوس ، أو يتلبثون بها حتى تنجلي العاصفة التي شرعت تهب في عنفوان وشدة ؟ وهنا ، آثر ملاحو أبيك أن يعودوا أدراجهم بسفائنهم إلى طروادة ، وذلك مجاملة للقائد العام . بيد أنى لم أر هذا الرأي ، بل فررت من العاصفة بسفائنى إلى جزيرة لسبوس ، ولحق بنا ديوميدي ، ثم وصل منلوس في إثره ؛ وأرسينا ثمة ؛ وانتظرنا إذناً من السماء ، أو قل بارقة من الآلهة ، نقلع بعدها . وكانت العاصفة تشتد وترقص فوقنا ومن تحت أساطيلنا ، فلم نرُ بداً من المجازفة وإلا تكسرت جوارينا على الصخور وفوق الأواذى ، ... يا للهول ! لقد بلغت قلوبنا الحناجر قبل أن نصل إلى جيرىستوس ! حمداً لك يا نيبيتون وثناء عليك ؛ وقل أن نذبح باسمك ألف قرمان من كل عجل جسد وكبش حنيذ ! ولقد فاز ديوميدي فوصل بجنوده سالماً إلى أرجوس ، وكذلك فاز الجبابرة الميرميدون ، جنود أخيل ، بقيادة شبلة العظيم نيوپتوليموس ، فوصلوا إلى أوطانهم غانمين ، ووصل من بعدهم فيلوكتيتيس .. كذلك وصل أجاممنون وليته لم يصل ! لا ريب أنك سمعت بما حاق به ! لقد قتله الحجر إيجستوس^(٢) ، ولسكنه دفع روحه ثمناً لفعلته ؛ إن العيش لم يطب لابن أجاممنون حتى ثار لأبيه ، فانقض كالصاعقة على قاتله وغاله بيده !

(١) روس أوجوييتز كما يسميه الرومان وهو كبير الآلهة

(٢) يحمد الفارنى شرح ذلك في كتابنا إلى (إسكيلوس والمسرح اليوناني)

إن شاء الله .

يا للفخار أيها الصديق الشاب حين تنتقم لأبيك فتسجل اسمك في سجل
الخالدين ! » .

وشاع العجب في نفس تليماك ، فقال :

« وبك نسطور ! إنه سيكون انتقاماً عادلاً بحق السماء ، وستغنى
الأجيال القادمة بقصته ، وسيرويه الخلف عن السلف . كم ذا وددت
لو مكنت لى الآلهة فى أعناق هذه العصابة الماجرة من العشاق الآثمين
الذين يدلون على "بمدهم وعدهم" ، والذين يقذفون فى وجهى بالإهانة
تلى الإهانة ... وأسفاه ! ليت شعرى لم لا تؤيد الآلهة حتى على باطلهم ؟
لقد نفذ اصطبارى وكلت حيلتى ... فماذا أعمل ؟ »

وقال نسطور : « أيها الصديق ، لقد أذكرت منى غافلاً . ويحك
تايماخوس ! لقد تناقل الناس ما كان من حماقة هذه الطغمة التى تستبيح
عرض أوديسيوس ، وتستنزف ثروته ... ولكن ، من يدري ؟ هل
أمنوا أن يعود يوماً فيستأصل شأقتهم ، ويدبل منهم ، وتكون له
الكرة عليهم ؟ لقد كان أبوك العظيم حبيب مينرفا وصفيها ، وهى لا بد
آخذة بناصرك كما أخذت بناصره من قبل ، وهى لا بد مدركتك
وشيكاً ، وحائلة بين أعدائك وأعداء أبيك ، وبين هذه الزيجة المحرمة »
ويجب تليماك :

« ألا من يدري ؟ إنه لا أمل لى فى ذلك قط ! آه أيتها الأحاسيس
الغريبة التى تجيش فى قلبى ! الآلهة فقط هى القادرة على تحقيقك
بمعجزة ! »

وهنا ، حدجته ميفرفا بنظرة هائلة من عينيها الزبرجديتين ، وقالت له :
« تليماحوس ! أية كلمة هائلة زل بها لسانك ؟ ١٩ ما أيسر على الآلهة
أن تقول للمستحيل كن فيكون ، أنا نفسي كم تجشمت أهوالا في أسفاري
ثم عدت بعناية أرباني سالماً إلى أرض الوطن ؟ بل كم من أناس ظنوا
أنهم نجوا من الموت في يم غشيم بموج كالأطلل ، فلما وصلوا إلى البر
حاققت بهم منايهم كما حاققت به منيته أجاممنون ، حين خر صريعاً بيد
إيجستوس الأثيم ، وبد زوجه الملكة^(١) الفادرة الفاجرة الزنيم احقاً ، إن
الآلهة لا تملك أن تحول بين المرء وبين المنون ما دام قد جاء أجله ، مهما
يكن حبيبها وأعر عبادها عليها : »

وعبس تليماك عبوسة خفيفة ، وقال :

« مهما يكن من الأمر فلندع هذا الآن يا منطور ! إنني لا أملك مطلقاً
في عودة أبي ، ولكنها أفضية من السماء ومقادير أن أذرع وراءه البحار ،
وأن أعود فأسأل نحر اليوزان نسطور ، اللبيب الأريب الذي حكم كما هو
مأثور أجيالاً ثلاثة ، والذي يتألق في عينيه مناء الآلهة ... أعود فأسأله
كيف قتل أجاممنون ؟ وكيف تهيأ لإيجستوس أن يقتله ، وهو من هو
أعلى منه نسباً وأعر حسباً وأشرف قدراً ، وأين كان منلوس الملك
شقيق أجاممنون ؟ ألم يكن قد عاد بعد إلى أرض الوطن أم كان لا يزال
يطوى الآفاق ، فشجع ذلك إيجستوس ونفخ في قلبه ؟ » .

وقال نسطور : « رويدك أيها الصديق الشاب فإني قاص عليك نبأ

ما لم يأتك به علم ... تالله لو لم يُقتل إيجستوس قبل عودة منلوس ،
 ما أقيم على رفاته جدث ، وما بكت عليه عين ، ولألقى بده النجس
 السكّاب البرية وطير الفلاة تنوشه وتمرقه وتغتدى به ، جزاء فعلته الشنعاء
 وجرمه الذميم وخطيئته التي لا تغتفر . إصنع إلى . . . لقد أناب منلوس
 عنه حارساً أميناً يسهر على أمور المملكة ... ذاك هو أتريدس الحميم ،
 الذي تغفله إيجستوس ، واتصل بمولاته سرّاً وهو لا يدري ، واستطاع
 أن يدبر معها هذه المؤامرة الشنيعة التي انتهت بنفي الحارس الأمين ثم قتله
 في رية موحشة غالبته فيها السباع الصارية والأوبد^(١) الكاسرة ، حتى
 إذا حلاهما الجو أساست له المملكة القياد فحكم وساد ، وطفى واستبد ،
 وسلط على البلاد أعواماً سبعة طوالاً .. كل هذا والسماء ساهرة لا تغفل ،
 فقد عاد أورست بن الملك الغائب ، وابن المملكة الفاجرة ، فأنقذ عرض
 أبيه وقتل الوحش اللثيم الذي دنّس شرف المملكة ، ولطخ بالوحل هذا
 الجذ الأثيل ، ثم قتل أمه .. أجل ، قتل أمه وجمع حوله الأرجيف
 البؤساء يحتفلون بهذا النصر ويصلون للآلهة التي أنقذتهم من ذاك الشر ...
 وبينما هم في أفراحهم وانفراحهم إذا بالملك العظيم يصل بأساطيله بعد
 رحلة طويلة مخفوفة بالمخاطر ... فلقد أبحرنا (أنا ومنلوس) من طروادة
 معاً ، وما كدنا نبلغ صنيوم^(٢) ، أول مرافئ أثينا ، حتى وقع ما لم يكن

(١) الوحوش .

(٢) sunium .

لنا بحسبان . ذلك أن رب الشمس أبولو عال بمهامه التي لا تطيش
 ربان الأسطول العظيم ، فرونتيس ، فاضطر الملك أن يلقي مراسيه حتى
 يصل على صديقه ويقيم الشعائر على جثمانه ؛ ثم أقلع ، وما كاد ، حتى
 اضطرب البحر ، وفجرت اللجج أمواها ، وتدافع الموج حول الأسطول
 كالجبال ، وعمت الجو ، وعامت السماء ، واقبضت الصواعق فانشعب
 الأسطول وتفرقت سفائنه ، وانشطرت وحداته ، فبعضها شرق ، وبعضها
 غرب ، وبعضها يعم شطر سيدون عند كريت ، وبعضها اتجه برغمه نحو
 شطآن مصر ، وبعضها غاص إلى الأعماق ، وخمس فقط ... وصلت بعد
 طول الجهد إلى هنا »

« بى .. أيها الصديق الشاب . أخلق بك أن تذهب من فورك
 إلى منلوس فتسأله عن أبيك ، فلقد لقي الأهوال في البحر ، ولا ريب
 أنه سمع كثيراً مما جرى فيه من مختلف الأمم في رحلته المشؤمة ... ملم ..
 إنطلق إليه ... وإن لم تسعفك سفينتك فإني ممدك بكل ما تحتاج من مركب
 البر أو البحر ، وهام أولاء رجالى معك أينما توجهت ، بل هاهم أولاء أبنائي ،
 ليصحبك أحدهم ، أو كلهم ، إلى منلوس ، فإن عنده الخبر اليقين »

وكانت الشمس قد توارت بالحجاب ، والليل قد نشر ظلامه فوق
 الطبيعة المنهكة الخاملة فهضت ابنة زيوس العظيم ، مينرفا الخالدة ، وهي
 لا تزال في صورة منطور أمير البحر وطيلسانه ، فقالت : « مرحى يا فخر
 هيلاس ! لقد قلت حقاً وتكلمت صدقاً ؛ هلم ، البدار البدار ، قطعوا

أسن القرايين^(١) وأريقوا الخمر باسم الآلهة ، وباسم نبتيون قبل كل شيء... »

وانتشر الولدان بين المدعوين يصبون الماء على أيديهم بعد إذ أدوا التحية الخمرية المقدسة لأربابهم ، ثم تفرقوا شيعاً ، ونهض تليماك وصاحبه لينصرفا ، لولا أن صاح بهما نسطور :

« حاشا يارفاق ! أنتما ضيفي^(٢) ، فكيف تبيطان في سفينتكما تحت ظل الليل وهذا بيتي فيه كرن لكما وفراش وثير ، وفيه ، والحمد للآلهة ، خير كثير ، وهؤلاء أبنائي سماركما ، وهم ثمة طوع لكما »

وشكرت مينروا الملك عطفه ثم قالت : « بوركت أيها الملك ، ليبق تليماك هنا ، ولأمض أنا إلى البحر لأسهر على صوايح مركبي ، ولأطمئن بحارتي ، فكلهم أتراب تليماك ، وكلهم متطوعون لخدمته وفاء وحبا ، وليس يجمل إلا أن أبيت أنا معهم تلك الليلة ، على أن نطلع صبيحة الغد إلى كوكون ، ولتأذن فتمنحه عربة وزوجاً من صافنات جيادك ليلحق بنا ثمة ، يصحبه أحد أبنائك ، ما دمت قد عرفت فيه ابنا لأعز أحبابك وأوفى أصدقائك »

ثم حدثت المعجزة ... فإنه ما كادت مينروا تتم كلامها ، حتى انتفضت انتفاضة هائلة ، وتحولت من صورة منطور أمير البحر إلى نسر عظيم مهوب اللفتات ، ما عزم أن ضرب الهواء بخافيتيه ، حتى حلق في

(١) كان من القاييد الثلاثة أيام هو مير أن تقطع أسن القرايين وتغرق باسم الآلهة ليصرف الجمع
(٢) بصيغة المفرد

السماء ، وعاب في لانهايتها ، بين دهش القوم ، وشديد حيرتهم .
وتناول اسطور العظيم يد تليماك ، وظل يقلب فيه بصره ، ثم قال :
« أبها الصديق : لشد ما عظمت منزلتك ، وسمت مكانتك . حتى
تتمكن في رعاية الآلهة وعماية السماء ! هذه دون ريب أنتة سيد
الأولب — الكريمة مينرفا — التي ما وقرت أحداً من أبناء هيلاس
كما وقرت أباك .

« واسكن أنت ! أنت يا مليكة العدالة ! ضرعت إليك أن نتلطفى
بنا جميعاً ! أمنحني ركائك .. أنا وأبنائي وشعبي ... اكتبني أسماءهم
في الحالدن ، وسنصلي لك ونذبح باسمك خير بقرة ؛ لا ذلول تثير الأرض
ولا تسقى الحرث ؛ مسكلة لا شية فيها ؛ منضورة بالورد ، محلاة القرنين
بالذهب . »

وقبات مينرفا صلاته ، ولبت دعاءه ، ونهض وفي إثره أبماؤه وأحفاده
ففتحت أبواب القصر وتقدمت بدمية الشراب فقدمت إليه كأساً من
خمرها نسب من عهد أولب ، فأفرغها في الأرض تحية لمينرفا ، واقتدى به
ملؤه فأفرغوا كؤوسهم ، ثم مضوا إلى غرفاتهم ، ومضى الملك مع تليماك
إلى محدد وثير ، وفراش من حرير ، وأمر ابنه بزستراتوس فقام معه ،
ثم ذهب حيث وحد الملكة في انتظاره

ونشرت أورورا^(١) غلالها الذهبية في مشرق الأفق ، فاستوى
نسطور على عرشه الرسمي المتألق عند بوابة القصر ، حيث كان أبوه

(١) ربة المبر وحادية عربية أبوا حين يركب الشمس عند المروق .

ليوس يجلس كآله للنظر في صوالح العماد ، وأقبل بموه الستة ومعهم
نلبماك الذى جلس إلى جنب أبيهم ، وتحدث إليهم نسطور فقال :

« هلموا يا بني ، لنذبح القربان المقدس باسم مينرفا الكريمة التى
باركت حفلنا أمس ؛ لينطلق أحدكم إلى الحقل فليحضر ثوراً^(١) سميناً ،
وليذهب آخر فليدع رجال تليماخوس — إلا اثنين — من السمينه ؛
وليمض ثالث فلنأت بالصناع الفنان (ليرسيوس) ليجعل قرنى القربان
بالذهب ، وليبق الآخرون هنا ، ثم لتحضر كل حاشيتنا من النساء
ليكسبن الوليمة بهجة ورواء »

وأطاع أبنائوه الأوفياء ، وأحضر القربان ، وأقبل الملاحون الأمناء ،
ثم قدم الفنان ليغطى قرنى البهيمة بالذهب ... ثم ... وافت مينرفا ...
مينرفا نفسها اتشهد الطقوس التى تقام باسمها .. ، وبدأ الفنان عمله ،
فأخذ يرقق صفائح الذهب ويثبتها بمهارة فى القرنين الصغيرين . وتقدم
أريستوس بن نسطور وفى إحدى يديه باقة كبيرة من الزهر وفى الأخرى
سلة من أنحر أنواع السكك ، وتقدم ابنه الثانى تراسيميد وفى يده
شاطور كبير ليذبح الثور ووقف قبالة يرسىوس يتلقى الدم فى وعاء كبير .
ونهب نسطور الأب فسبح وصلى أمام نار كبيرة مضرمة ، وتمتم باسم
مينرفا ، وقذف فى اللظى بكعكتين كبيرتين ، وبناصية القربان ، وبقدر
قليل من الماء المقدس . وإذ انتهى الجميع من صلاتهم شمر تراسيميد
عن ساعده وجزر القربان ، وانكب الجميع يجهزونه ، وكانت يوريديس

(٢) كان على نسطور أن يذبح بقرة مسامة .

الجميلة المفتان تُعنى أُنشد عناية بالفخـذين ، فسترتهما بثوب غال من
الديباج ، وكان نسطور نفسه ينثر الخمر المقدسة والعطور والأرواح . . .
وهكذا أخذ الجميع فى شغلهم ، وشرعوا يلقون فى الجر بالحوايا ، وشرعت
بوليكاست تنثر البهار والتوابل . . . وتهادى تليماخوس بعد هذا فاستوى
إلى جنب الملك ، وانتصب الولدان والندامى يصبون الخمر ، وبدأ السكل
يأكلون هنيئاً ويشربون مريئاً .

وما كادوا يفرغون حتى أمر نسطور فهيئت الصافنات الجياد لرحيل
تليماخوس ، وأحضر القواص عربية كبيرة مثقلة بكل ما تحتاج الرحلة من
زاد وعتاد .

وأخذ تليماك مكانه من العربية الأولى ، واستوى إلى جانبه
بيزستراتوس أشجع أبناء نسطور ، ثم سلم تليماك وودع ، وشكر وأثنى ،
وجذب أعنة الخيل فانطلقت تنهب الرحب ، وتبتعد عن بيلوس
وتطوى الزمان .

وبلغوا ، مع مغرب الشمس ، فيريه ، حيث تلقاهم رب البيت
بالبشر والترحاب ، وباتوا عنده ، حتى أيقظتهم أورورا المشرقة . فواصلوا
رحلتهم إلى أسبرطة .

العشـبـاق يتأهرون

وصل الركب إلى أسبرطة بعد أن غور فى وهادها وأنجد ، وانطلق
تليماك وصاحبه من فورهما إلى باب منلوس الملك حيث وجدا ، لحسن

الطالع ، وجوها مسفرة ، وجاهير مستبشرة ، وموسيقى تصدح ؛ ومنشدين يرددون أناشيدهم ويرسلون أغانياتهم ، ووليمة ملكية حافلة اجتمع لها الملك وأبناؤه وخلصاؤه ونداماه ، يأكلون ويشربون ويسمرون ويتطربون ... ماذا ؟ لقد اجتمع القوم من كل حدب ، وأقبلوا من كل صوب ، يحتفلون بابن الملك : بابنه الذى زوجه أبوه من أجل عادات أسبرطة وأكثرهن وسامة وقسامة وفتنة ، ابنة ألكسندور العظيم ؛ ثم بابنته المفتان اللعوب الطروب التى رزقها على كبر من هيلين ، والتى نافست بحماتها ودلها هرميون ابنة قينوس .

وما كادا يجاوزان الوصيد حتى لهما إتيون ، كبير أمناء الملك ، فانطلق إلى مولاه وحديثه عنهما ... « إن لهما لمهابة وإن عليهما لرواء ، قهل يأذن لهما مولاي ، أم يأمر فنردهما من حيث أقبلا ؟ »

وأوما الملك برأسه الكبير الذى يزيد فى وقاره وحسن سمته شعره الذهبى ، وأمر إتيون أن يذهب اليهما ، فيسير بين أيديهما إليه ... « ... إذ كيف يُرد عن طعاعى الغرباء ، وقد طعمنا طويلاً زاد الغرباء ؟ »

ودعا إليه إتيون طائفة من الخدم وذهب إلى الوافدين السكريمين خفيًا وسلم ، وحل اللجم وأناخ اليهم ، ومضى بهما إلى داخل القصر من طريق يشرف على مكان الحفل وترى منه الجدران التى ازدانت بأحسن زينة ، وقبة العرش التى تلالأت فى الأنوار الوضاءة والسرُج الوهاجة ... ثم لقيتهما فتيات من عذارى القصر فقدنهما إلى الحمامات المرصية الباذخة فاغتسلا وتوضعا ولبسا ثياباً ملكية ، ثم ذهبا للقاء رب هذه الدار .

وهتس الملك لهما وبس ، وأجلسهما إلى جانبه على مقعدين وثيرين ،
 وهما في دهش من ذلك المنظر العجيب . وأقبلت فتاة فصدت على أيديهما
 الماء ، وذهبت فأحضرت مائدة رائعة منسقة ، عليها قدر غير قليل من
 أنحر الأشربات وأنتهى الآكال ، ووقف حادم آخر يقدم طبقاً بعد
 طبق ، وكأساً من ذهب بعد كأس من ذهب ، والملك فيما بين ذلك
 يبالغ في إيناسه لهما والحفاوة بهما ، ويُنظرهما حتى يفرغا من طعامهما
 فيخبراه عن أمرهما ، وكان يتلطف فيقدم لهما قطعاً من شوائه بيده .
 وسارّ تليماك صاحبه فقال .

« يزستراتوس يا صديقي ! ما أجمل وما أنعم وما أروع ؟ ! هذا
 الحفل الداهر يتألق في الذهب والقصة والعاج والكهرمان ودروع
 النحاس ! أبداً ما ترى العين مثل ذلك ، ولا تسمع الأذن إلا عن قصر
 سيد الأولمب في شعاف جبل إيدا ! أية ثروة وأى كنز ؟ !
 وسمعه منلوس الملك فقال :

« بنى ! لا تقرن قصر أحد منا — نحن بى الموتى — إلى قصر سيد
 الأولمب ! وأنت على حق حين ترى أن لا أحد يملك ما أملك أنا من أذخار
 وكنوز ، فقد سحت في أقصى الأرض سنين عدداً ، وجعت الدرر
 الغوالي من كل فج .. من كريت وقبرس وفينيقية ومصر ، ومن أثيو بيا
 وإيرمى ... ومن صيدا ولوبيه ورؤوس الشاء والوعل هذه .
 الوعل الوحشى السائم ... والشاء التى تمدنا بخيرها بغير حساب ... لقد
 طوفت في الآفاق وتركت في كل منها ذكرى . ولا غرو ، فقد نبأكم آباؤكم

أنباء منلوس الملك الذى دك المعازل وهدم القصور... ما أس لا أنس
 هذا القصر العتيد الذى جعلت عاليه سافله بما فيه من أبحار وقنى ،
 وددت لو كان فى قصرى شىء منها ، وود الإغريق لو حصلوا فى بلادهم
 جميعاً على بعضها ! هناك ! هناك تحت أسوار طروادة يا صاح ! يا ويح
 نمسى ! يارحمتا للأصدقاء الأحياء الأعزاء الذين ناموا ثمة ! لشد ما أسلى
 النفس عنهم بالتأسى ؟ لشد ما يندلع الأسى فى قلبى عليهم جميعاً ، ولا سيما
 صفى وخليلى وأعز أودائى على... أوديسيوس ! أوديسيوس الكريم !
 ايت شمعى يا صديقى فيم شطت بك النوى وطال عليك الأمد ؟ أحي
 ترزق ؟ أم ثويت فى بطحاء بلقع ؟ يا ويح لك ، ولأبيك الشيخ ،
 وزوجك اللتاعة ، وابنك الحزون اليتيم تلياخوس ، الذى غادرتة فى
 المهد ما بلغ العظام ، إلى حومة الوغى وحلبة الحمام . » .

ولم يملك العتى دموعه حين سمع هذا الهماف باسم والده فنشج نشيجاً
 مؤلماً ، ثم استخرط فى البكاء ، وطقق يذرى شئونه فى طرف ثوبه
 بين دهشة منلوس وحيرته ، وذهول الحاضرين . وانعد لسان الملك
 فلم يسأل الشاب عن حاله ، حتى أقبلت هيلين فجأة ، فتلفت القوم
 ينظرون إلى هذا الرشأ الذى يتثنى مياساً فى ظلال من العتنة ، كأنه ديانا
 ربة القوس الذهبية ...

واستوت على عرشها المنصد ، الذى أصلحته يدا أدرستا وعماية
 أكليب ، ثم أحضرت الطرف والهدايا والألهى . فهذه سلة من الفصة
 المزخرفة بالقصاوير هدية من ألكندرا زوج بوليب أمير طيبة ، عروس

المدائن المصرية ؛ وتلك عشر يدّر من النضار الخالص ، وطستان من الذهب ، ودنان من الإبريز ... يقدمها كلها ملك أسبرطة إلى زوجه البساعة الرائعة الهيفاء ... ونظرت هيلين إلى الضيفين الغريبين ، وسألت زوجها :

« ملكي ! نشدتك الآلهة أن تخبرني من هذان ؟ إن أحدهما شديد الشبه بطفل أوديسيوس .. الصغير تلياخوس ... الذي تركه أبوه صبيًا في المهّد من جراء حرب اليوم المشنومة . »

وقال الملك : « وأنا مثلك يا هيلين ، لقد دار بخلدی ما دار بخلدك من أمر هذا الفتى ! ألا ما أشبه الساقين والساعدين وتفتير العينين واسترسال التمتين^(١) بما كان لأوديسيوس ؟ ! لقد ذكرت ما قاسى صاحبي من أجلى وفي سبيلي تحت أسوار اليوم ، فسرعان ما رأيت الشاب يبكي ويبكي ويمالغ في البكاء ، ثم يغلبه حزنه فيخفي وجهه ، وفيه روحه ، في ثيابه من الهم »

واتهز ابن نسطور الفرصة فقال :

« حقًا أيها الملك إنه هو ! ولكنه خجول حيي ، ولقد أوتسك حياؤه أن يمنعه من لقائك ، وقد هاج تباريحه ما ذكرت عن أبيه . أما أنا ، فإني ابن نسطور صدبقتك الآخر ، وقد أمرني أبي أن أصحب تلياخوس إلى هنا عسى أن يسمع خبراً عن أبيه الذي ذهب يذرع الأرض ، ولا يعلم أحد أياّن قد ذهب ... وهالك ابنه المكلوم يجترأشجانه ، وتطحن

(١) اللمة الشعر الذي يحاوز شحمة الأذن .

فؤاده أحزانه . »

وشدّه البطل — ذو الشعر الكهرمانى — فقال :

« يالآلهة ! أهكذا أفاجا بقاء ولدى ! أنت ؟ أنت ابن أوديسيوس الذى شق طويلاً بسببى ، وبذل نفسه من أجلى ، ولا يزال يناضل الولايات من جرائى ؟ كرامة وحباً يا ابن خير الأصدقاء ! لو عرفت أنك تسعى للقائى لشدت لك مدينة فى أرجوس ، تنيه على المدائن وتزهى على القرى ! ورفعت لك عماد قصر منيف طالما كنت إخاله يؤويننا جميعاً فنسعد سعادة لم يحلم بها قوم من قبل ولا من بعد ... ونلتذ ، أنا وأبوك وأنت ، وجميع أهلى وأهله ، ذكريات الماضى المترع .. آه يا أوديسيوس ! لقد طاشت الأحلام وذابت الأمانى ، وقست عليك السماء ... فخرمتك كل شىء ، حتى الأوبة إلى أرض الوطن ! »

وأثارت كلمات الملك شجون القوم ، فبكى تليماخوس ، وأذرفت الملكة ، وانبعس الدمع من عيني بيزستراتوس حين ذكرت طروادة فأذكرته قتل أخيه تحت أسوارها ، ثم قال : « حسبك أيها الملك ! لقد تذاكرنا ، أنا وصاحبى ، جلائل أعمالك فعرفنا فيك المليك الأجل ، والمقدام البطل ، واسكن ماذا تجدى دموعنا ؟ لقد غالت يد الردى أخى وان أمى وأبى فى سبيلك كذلك ! ألا تذكر ؟ أنتيلوخوس ! البطل المغوار والفارس الكرار الذى لم تكتحل عيناي برؤيته ! أوه يا ابن أورورا الغادر ، شلت يدك بما فتكت بأخى ! ... »

وتعطف الملك فطبيب ابن نسطور بكلمات عاليات ، وأمر الندمان

فصب الماء على أيديهم جميعاً ثم أخذوا في آكلهم ، وصلت هيلين قطرات من طيب مُدَّهَب للأحزان في كأس تليهاك ، وكأس صاحبه ، لا يعرف من يذرقها إلى الأسى من سبيل . وهي قطرات عجيبة أهدتها الملكة ، زوجة (ذون) الأميرة المصرية پوليدامنا ، وكم في مصر من سحر مبين ! وتكلمت هيلين ، فذكرت ما كان من أوديسيوس يوم التقى الجمعان عند اليوم ، وكيف استطاع أن يتسلل مستخفياً في ثياب شحاذ إلى داخل المدينة العتيقة ، وكيف قابلها في حجرة باريس ليطلعها على خطة اليونانيين ، وما كان من رجائه إياها ألا تفصح عنه أعدائه حتى يعود سالماً إلى معسكره ونخيمه ، وأنها برّت فلم تنبئ أحداً بوجوده .. ثم رأت أن تنصل من فضيحة فرارها مع باريس فادعت أنها كانت مسوقة إلى ذلك برغمها لأن فينوس كانت قد سحرتها عن نفسها (لما وعدت به باريس من أنها ستبهه أجمل غادات هيلاس إذا هوقضى لها بالتفاحة^(١)) . « واخجلتاه لقد أزرى نى أن أفر رانغة فأجر فراشى الطهور وطفائى اليابعة إلى بلاد قاصية لا ناقة لى فيها ولا جمل .. »

وأعذرَها الملك ثم ذكر أوديسيوس فقال :

« أبداً ما رأيت أثبت جأشاً ولا أربط قلباً من أوديسيوس ؛ وإن أنس لا أنس يوم الزوع الأكبر ، يوم فكر أوديسيوس وفكر ، ثم دبر هذه الحيلة العجيبة ، حيلة الحصان الهولة الذى قهر لنا طرودة في يوم

(١) قصى باريس بالتفاحة لثوس وحرّم منها منيرفا وحيروا ذلك سبب عداتهما للطرواديين . (كتابا قصة طرودة)

أو بعض يوم ، وقد عيينا بها السنين الطوال . لقد اختبأ داخله فرسان هيلاس^(١) الصناديد ، وكنت أنا — سقى الله الشباب — واحداً منهم ، فما أنسى قط حين أقبلت في عصمة ذوي أيد من مداويد الطروديين (إذ هتف بهم هاتف إن الحصان يحمل لهم شراً ويطوى لقريتهم نبوراً) فجعلت أنت تنادين بأسماء الفرسان اليونانيين واحداً بعد واحد لآتري هل احتبأ منا بداخله أحد كما تنبأ بذلك المتنبيون . تالله لقد كدت أرد عليك نداءك حينما هتفت باسمي ؛ وتالله لقد أوتك زميلي ديوميد يرد عليك هو الآخر ، لولا أن فطن أوديسيوس فحذرنا وحبس أسنمنا الشقشقة التي كادت توردنا موارد الهلاك ، لو أن أحداً منا خدع فنفس بينت شفة — وأخرى ! لقد صمتنا جميعاً ولكنك عاودت ، فما كدت تهتفين باسم أنتيكلوس ، حتى أوشك المجنون أن يلبي ، لولا أن كتم أوديسيوس أنفاسه بكلتا يديه ، حتى اكاد يزهي روحه ! ولم يُعفه حتى أيقنا أنك عدت أدراجك ، وعاد معك القوم المنكرون . »

ثم كان الهزيع الأخير من الليل ، فتلطف تليماخوس واستأذن الملك في الانصراف ليأخذ كل نصيبه من النوم ، فتأذن ، وأسارت هيلين إلى وصيفاتها فأهرعن إلى مخادع الأضياف ، فأصلحن فرشها ، وأعددن للملاحف والوسائد والحشايا ، ثم نهض أمين الملك ، ونهض في إثره پيزاستراتوس وتليماخوس ، حتى كان كل في مخدعه ، وحتى اطمأن كل في سريره ، وناما في حرير وسمور وفي قاقم وفي سنجاب

(١) اسم يونان القديمة وتوافق إيلاس

وتهاويل غير ذاك من الر قم ومن سفدس ومن زرياب^(١)
ونهمض الملك والملسكة كذلك فدخلوا القصر ، واستسلما لأطيب
الرقاد .

وذراً قرن أورورا ، ربة الفجر ، في المشرق الوردى ، هب الملك
وأصلح شأنه ، ورف بازيئه الأشهب فوقف على غاربه ، ثم مضى إلى
مجلسه حيث لقي تليماك في انتظاره ، فخيا وجلس وبدأ حديثه فقال :
« أى بنى ! تليماخوس ؟ أيها البطل وسليل البطل ! فيم شددت
رحلك إلى هنا ؟ إلى رحاب ليسديمون^(٢) في فلوات البر وسروات البحر ؟
الأمر عام ، أم لشأن يخصك ويتعلق بشخصك ؟ »

وأجاب تليماك : « مولاي الملك ! منلوس العظيم ! لقد جئت
أتحسس خبراً عن أبى ، وأقبلت أحدث عن أعدائه الذين آووا إلى بيته
فما يريعون ، يستنزفون غلته ، ويهلكون حرثه ، ثم هم مع ذاك ينافس
بعضهم بعضاً في كبر وزهو وخيلاء ... من أجل زوجه ! يا للعار ! إنهم
استباحوا كل شيء ... كل نعمه وكل شأنه ، ولم يعموا آخر الأمر عن
عرضه . إني أستجيرك يا مولاي وأضرع إليك أن تخبرني عما تعلم من
أمر أبى ؟ هل قضى تحت أسوار إليوم ؟ أم غالته يد المنون في ركن آخر
من أركان الأرض ؟ لقد كان خليلك وصفيك وآثر أصدقائك ، وأعز
أودائك عليك ، فبكل آلاء ذلك عندك أستعطفك أن تصدقني ... »

(١) الشعر لابن ارومي لم نجد أحسن منه في ترجمة أبيات هومر .

(٢) من أسماء اسبرطة

ماذا تعرف من أخباره ، وماذا عسيت سمعت من أنبائه ؟
وتنفس الملك تنفسة عميقة وقال :

« يا أرباب الأوب ! أبلغت حقارة نفوسهم أن يفضحوا أوديسيوس في عرضه ؟ ! ألا باءوا بما صنعوا ! ألا ما أشبههم بهذه الوعة التي أجاها الخاض فولدت في عرين الأسد ، فلما عاد الأسد إلى عرينه لم يبق عليها ولا على أغفارها^(١) ! حنانيك يا آلهة ! زيوس ! مينرقا ! أبوللو^(٢) ! أين هو فيمطش بالجبارين كما بطش بغيو ميليد العتي من قبل ؟ تالله لقد اقتربت ساعتهم وأزفت آرتهم ... فطب نفساً يا بني ؛ إني منبك بما علمته عن أبيك من (بروتيموس) راعي الأعماق ، وكاهن الأغوار .

ضلت بنا الفلك بما نسينا من التضحية باسم الآلهة ، فبلغنا شطآن مصر ، ورسونا عند جزيرة فاروس ، بحيث كان في مقدورنا أن نرى من كوثر هذه البلاد التي تجري من تحتها الأنهار ، ثم لبثنا ثمة عشرين يوماً لا تجري بنا ريح ، ولا يرفه عنا نسيم ، حتى نفذ الصبر ، وفرغ الزاد ، وظننا أنه المعاد ، لولا أن رثت لنا إحدى عرائس البحر فبرزت إلينا ، وكانت لنا غوثاً أى غوث ، كفت أجلس وحدي في منعرج بأحد أطراف الجزيرة ، وكان بقية صبحي وأكثر الملاحين يرتادون الماء بشصوصهم^(٣) عسى أن يحصلوا على سمك طرى يكون غذاء لنا ، إذ برزت عروس الماء (إيدوتيا) الجميلة ، ابنة كاهن الأعماق بروتيموس ، وتهادت

(١) جمع من وهو ولد الوعل .

(٢) كان أبوللو من حصوم البوابين في حرب طروادة ولدا يدهش هذا الدعاء .

(٣) الشمس جديدة عقواء يصاد بها السمك (السنارة) .

حتى كانت تلتقائي ، ثم جلست بجانبى ، وحدثتني فقلت : « أيها النازح
العريب ! أكر الطن أنك مدهوب بك ، أو أن بك مساً ، أو أن طائفاً
من الجبون قد ألم بك ، أو أنك قد آثرت الشقاء السرمدى حيث لصقت
أرض هذه الجزيرة فما تنوى مصياً ، ولا تلتمس محرّجاً ، ولو هلك كل
أصحابك ! »

ولم أبال أى تدهت ، فسألتها قائلاً : حسبك يا ربة ! إلى ما لصقت
بأرض هذه الجزيرة بأمرى ، ولا أقت فيها بمرضاتى ، بل كان ذلك
قدراً على مقدوراً ؛ — لكن حَبْرَى بحقك ، إذ الآلهة تعلم كل شيء — مَنْ
مِنْ أرباب السماء يجسسى هنا ؟ ... وهل مقدور لى أن أرتد إلى وطنى
فوق غوارب هذا اليم المضطرب ؟ ... »

وقالت عروس الماء : « أيها النازح العريب ! سأنبئك فأصدقك !
إبك الآن مقيم بشطآن مصر التى تقع تحت إشراف أبى ، بروتوريوس ،
سيد الأعماق ، ورب المياه المصرية ، والمتصل برعايا نبتيون فى اعوار هذا
البحر ، فإذا استطعت أن تتغفله فتقبص عليه وتشد وثاقه ، فإنه يقمعك
على أبعاد هذا اليم ، والطريق السوى الذى ينتهي بك سالماً غائماً إلى
بلادك . بل ربما — إذا طلبت إليه ذلك — وقفك على كل ما حصل
فى بيتك من خير أو شر خلال سفرتك الطويلة ، لأننى أعرف أنك صفى
السماء وحبيب الآلهة . »

غير أنى لم أدر كيف نستطيع أيدى بنى الموتى أن تقبض على هذا
الإله البحرى الكريم ؛ ولم أخف عليها ذلك ، بل حدثتها به ، وذكرت لها

أنه ربما ولى دبره إذا شعر منى هذه المحاولة فلا يستطيع لقاءه بعدها أبداً .
 بيد أنها طمأننتى ، وذكرت أن أباهما يخرج من الأعماق فى الظهيرة إلى
 جَوْنٍ قريب حيث يستلقى برهة وسط قطعان كثيفة من عجول البحر ،
 من ذرارى هاليسودنا الجميلة ، تأتى هى الأخرى فى أثره لتنام ثمة ...
 « فإذا كانت هذه الساعة فأبى سافودك بنهسى إلى هناك ، وليكن معك
 من رجالك ثلاثة هم أشجعهم وأكثرهم قوة ، وسأدلكم على منعرج
 آمن تنتظرون به حتى يكون قد غلبه الكرى ، ثم تنقصون عليه
 فتكبلونه وتشدون وثاقه ، وإياكم أن يرهبكم بشيء أبداً ؛ إنه سيكون
 تارة سيلارابيا ، وتارة سيكون ناراً ترمى بشرر كالقصر ، كأنه جمالات
 صُهر ، وأخرى يكون أفعواناً هائلاً ينفث السم .. ولكن خذوه أخذاً
 شديداً ولا تقتلوه فهلكوا .. فإنه إن آنس فيكم قوة عاد فانتفض إلى
 صورته الأولى التى رأيتموه عليها ، ثم ترونه بعد ذلك وقد أسلس قياده ،
 وهذا ونظامن ... فإذا فعل ذلك سألكم عن حاجتكم ، ففكوا وثاقه
 وأطلقوا سراحه وسلوه ما شئتم ، فإنه مجيبكم عما تسألون . »



ثم غابت عروس البحر فى طيات الشبج ، وتركتنى فى حيرة مما
 ذكرت ، ثم إنى عدت إلى قررتى فى السمينة ، وعاد كل إلى قرته ، وبعد
 أن تعشينا ، وكان الليل قد أرخى سدوله ، نمنا نوماً لا آمناً ولا قريراً ...
 وبزغت أورورا عموه المشرق بأصباغ الورد ، فهضت أصلى الآلهة فوق
 السيف الممتد ، وأبتهل إلى السماء أن توفقنا لما فيه حيرنا ، ثم اثبتت

فتخبرت من رجالى ثلاثة هم أصلحهم لهذا الأمر ، وهم موضع ثقى ومعقد
رجائى . وبرزت من الماء عروس الماء ، وأحضرت لنا أربعة من
جلود عجول النحر لنلبسها ، ونستخفى بها ، ولتقم الخدعة على أيها .
وأعدت لنا مهاداً فى رمل الشاطئ . ثم دلفنا نحوها ، ونام كل فى مهنه ،
وألقت فوقنا ما معها من الجلود المتنفة التى أَرْوَحَتْ حتى كدنا نختنق
برائحتها ، لولا أن نثرت العروس فوقنا طيباً عبقاً ملاً حياشيمنا وأنقذنا
من صلول^(١) تلك الجلود .

وتلبثنا نرقب اليمّ حتى برزت عجول البحر فنامت فى الجون ، ثم
كانت الظهيرة فبرز پروتيوس وطفق يعد قطعانه . مبتدئاً ، لغفلته ،
بنا ، وكأن أثارة من للشك لم تخاسره فى حالنا ، فانطرح ونام . واتهزنا
الفرصة ، فانطلقنا نعدو إليه ، وقبضنا عليه ، وشددنا وثاقه بحيث
لا يستطيع إفلتاً ... يا عجباً ! لقد انتفض انتفاضة هائلة ، فإذا هو أسد
غضنفر ذو اللدة ، ثم انتفض فإذا هو أفعوان أرقم يتحوى ويتحوى ، ثم
انتفض فصار نمراً رائعاً ذا أنياب ، ثم صار خنزيراً برياً ، فسيلاً رابياً ذا
عباب ، فأيكة ناسقة ذات غصون وأفنان ! ولما لم يجد بداً من أن يبدو لنا
على حقيقته ، انتفض فكان على صورته الأولى ، ثم قال : « عَمَرَكَ اللهُ
يا ابن أتريوس أى إله جبار حبسك فى مياهنا وسلطك على » ، تمسك بى
وتشد وثاقى ؟ ماذا تريد ؟ « فقلت له : « حسبك يا رب هذا البحر ،
إنك كنت بى عليماً ! لقد طال مقامنا بهذه الجزيرة ، ولست أدرى أى

(١) أروح اللحم صار نثماً وصلوله رائحته المنذرة .

إله عادل حبسنا فيها ، ولأى شيء ؟ » . وقال بروتوس : « ويك يا منلوس ! لم لم تصل لسيد الأولمب ثم تُصح للآلهة يوم غادرت طروادة ؟ لقد غضب الجميع فكتبوا أن تصل في تيه هذا البحر حتى تكون تلقاء مصر ، فتقيم عمة حتى يشوب إليك رشذك وتصلى للآلهة خاشعاً خائباً متصدعاً ، ثم تذبح القرابين وتجزر الأضحيات فتعود إلى أوطانك ! » وعراى مما ذكر ما عراى ، فقالت له : « الحمد لك أيها الإله القدوس ... سأفعل ، سأفعل كل ما تأمرنى به ، ولكن قل لى بحق ربوبيتك ، هل وصل كل رجالنا إلى أوطانهم سالمين كما تركتهم أما وصاحبى نسطور عند طروادة أم أن منهم من غرق أو قتل أو مات حتف أنفه »

وكأما ضاق بى ، ولسكنه فال : « ويك يا ابن أنريوس ما هذه الأسئلة ! أتبتغى أن تقف على كل أسرارى ؟ إذن فاعلم أن أكثر رجالك قد عادوا سالمين إلى أوطانهم ، وأن قليلا منهم من مات ، ومن هؤلاء قائدان فقط قد قضيا ، ولا يزال واحد يذرع رحب هذا البحر ، ضالا على غير هدى ! ... لقد هلك أچاكس بما تحدى الآلهة ، وبما ادعى أنه ناج برغم السماء من البحر اللجى الذى كان ينارح سفينته ، فبرز نيتيون غاضباً وشطر السفينة نصفين بضربة قاضية ، من رحمه السمهرى ذى الثلاث شعب ، ثم رطم حطامها بعد ذلك فوق صخرة موحشة ... مسكين أچاكس لقد غص بالأجاج ، وشرق بقطرات فأت ...

أما أحوك^(١) فقد بما ! لقد دهمته موجة هائلة فوق شاطئ^{*} (ماليا) ..
أرض ذيبستيس وإيجيتوس ... ومن ثمة ركب الحجر إلى وطنه آمناً .
ألا كم كان أحوك رائماً حين وطئ أرض الوطن فراح يقبل رمالها
ويباجي كتبائها ! ألا ليت ما بما ! لقد لحه أحد الأوغاد من جواسيس
إيجيتوس فانطلق بنجر سيده الذي أعد كميناً من عشرين رجلاً من
أفسق رجاله فاغتالوه كما يذبح العجل ؟ الأوشاب الفجرة ! لقد باءوا
تاصنعوا ، وأبديوا على مكره أبيهم ... »

ولم يكذبصعقني هذا الخبر حتى حذلتني رجلاي ، وانطرحت
أثقل في الرمال من الغم ، وذرفت الدمع من الحرقعة على أحيي . ولكنه
خاطبني قائلاً : « انهض يا ابن أتريوس . إنك تبكي ولات حين بكاء .
هلم بعد إلى وطنك لترى بعينيك قبره ولتشهد ابنه العظيم أمورست ينتقم له ،
ويستأصل شأفة قاتليه . »

وكأما سرى عني بما قال بعد ، فمهضت وساءلته بعد أن شكرته
على ما أنبأني : « ... إذن من هذا البطل الثالث الذي ما يفتأ يذرع
البحر ضالاً في رحانه ؟ »

فقال : « دالك ابن ليرتيس ، وسيد إيثاكا (أوديسيوس) ! لقد
شهدته بعيني حبيساً في جزيرة عروس الماء كاليبسو .. لقد حل عليها
ضيقاً برغمه ، فلقد تحطمت سمائه ، وهويته عروس الماء ، وهو لا يزال
عندها لا يجد مركباً يحمله إلى وطنه .. أما أنت .. أيها الملك منلوس ،

«طوبى لك ! إنك ستتحيا سعيداً ، ثم تنتقل إلى دار الخلد ونعيم لا يفتنى ...
حنات الإلير يوم ... حيث لا برد ولا رهبر ، ولا يوم عموس قطير ،
بل تسقى ، ومن معك من الأناسى من ماء معين ، لا لغو فيه ولا تأثيم ...
مقام كريم وجنة نعيم ، وغادتك الحُسان هيلين ، يا ذرية ريوس
العظيم ! »

ثم غاص في اليم ، وعدت ورجالى إلى الفلك ، وفي القلب لوعة ،
وبالنفس أسى . وتبلغ كل بلقات ثم أسامنا عيوننا للكرى ، وكأنا نام
أسطولنا في ظلام الشاطى .

وانبلجت أورورا فنضرت بالورد جبين المشرق ، وهبت أنفاس
الصباح المنداة فأهرعنا جميعاً ، وجزرنا الأضاحى باسم الآلهة ، وصليما لها
حابتين ، وأقت لأخى رمساً فوق ثرى مصر الخالدة ، ثم هبت الريح
رخاء فنشرنا الشراع وأصلحنا القلوع ، وأقلعنا من فورنا إلى أرض
الوطن ، فملغنا هيلاس سالمين .

وبعد ! فلتقم معنا ههنا أياماً تفرح وتفرح ، ونسعد بحن بك يا ابن
أعز الأصدقاء ، ثم لنعد لك الهدايا والاهى التى تليق بك ، ولتعد إلى
وطنك على عربة فاخرة تجرها ثلاثة من الصافنات الجياد ؛ ولنزودك
بكأس ذهبية تصب منها قرايين الخمر للآلهة فتذكرنا أبداً »

وتسكّر تلميذك واعتذر ، وأبدى من الحنين إلى وطنه ، وما عليه من
واجبات ، وما ينبغى من عودة ابن ملك بيلوس ، ما برر عنده أن

يستأذن في الأوبة ... فأعذره ملك أسبرطة ، وأهدى إليه كأس
فيديموس الفضية ، ذات الشفة الذهبية ، الكأس الخالدة التي صنعها
الإله فلكان بيديه لينفخ بها ملك سيدونيا .
وهياً الندل مقصفاً فاحراً به جزور وخر ، وأقبلت أرواجهن
يحملن الحبز ، فأكل الملك ومن معه ورووا .

هذا ما كان من أمر تليماك ومنلوس .
أما ما كان من أمر العشاق آنثذ ، فقد كانوا يعبون ويمرحون في
بيت ملك إيثاكا ، يلاعبون الأسفة ، ويقذفون القرص ، ويتصارعون
ويمزحون . كانوا جميعاً يأخذون في هذا اللهو لتزجية الوقت ، إلا أنتينوس
ويوريماك ، فقد جلسا بمعزل يتحاذنان . إذ أقبل الفتى نومون
إبن مرنئوس وقد تفصن جبينه ، وانتشرت على أساريره سحابة
كثيبة فقال :

« أرايت إذ أعطيت سمينتي للفتى تليماك فإني أريد أن أبحر إلى
إيليس لأرعى أفراساً لي اثنتي عشرة لا تزال ترضع أفلاها^(١) ؛ متى يرجع
من پليوس يا أنتينوس ؟ »

ورؤّع الرجلان لهذا الخبر ، فلم يكن أحد يعلم أن تليماك قد غادر
إيثاكا ، بل كانوا يظفونه بجتر آلامه وأحزانه في أحد الأدغال النامية في
مزارعه . قال أنتينوس :

« أحقاً أنه أبحر يا نومون ؟ وهل صحبه أحد من ذويه ؟ وعلى سفينتك ؟ »

(١) العلو ولد الفرس لم يبلغ عاماً -

سفينةك أنت ؟ وهل أبحر عليها بدون إذن منك ، أم أنت الذى أذنت له بها أول ما طلبها منك ؟ »

وأجابه نومون : « بل أبحر عليها بإذني . ومادا عساك كنت صانعاً لو سألك أمير فى مثل بأسائه أن يبحر على سفينةك ؟ أ كنت ترفض وتتأبى ؟ لقد أبحرت معه ثلثة من أشجع البحارين ، كلهم فينان العود ، غرييض الشباب ، وقد رأيت معه أمير البحر منطور . ألا كم كان يبدو منطور بهيا وقوراً رائعا ! تالله لقد خلته — بل أكبر ظنى أنه — أحد الآلهة ! وكيف لا يكون إلهاً وقد رأيت به عيني هاتين صباح أمس وهو قيد أبحر إلى بيلوس قبيل ذلك ، فأنى عاد ؟ »

وفرغ نومون ، وعاد أدراجه إلى دار أبيه ، واستولى الدهول على الرجلين ، وكان العشاق قد فرغوا مما أخذوا فيه من لهو ولعب ، وجلسوا يستريحون من التعب ، فيم شطرم أنتينوس ، وهو يتمير من الغيظ ، وينقدح الشرر من مقلتيه ، فقال :

« يا أرباب السماء ! أفيقوا أيها الرفاق ! عمل باهر ! باهر جداً ! لقد أبحر الفتى تليماك فى عصبة من تسباب الملاحين ليؤلب عليكم العالمين ، ويرسل علينا حسبانا ! الويل له ! أعدوا لى مركباً وعشرين فارساً من أبسل صناديدكم لأجفاً ، بين أواذى ساموس وتقو إيتاكا ، التاعس الذى ذهب يستروح أخبار أبيه ليسعى إلى حتفه بظلمه . »

وتحمس الملاء وعلا هتافهم ، وهروا إلى الرحبة الداخلية فى بيت أوديسيوس يتآمرون ، وكان على مقربة منهم الأمين ميدون ، الذى

انطلق بدووه ينقل ما عقدوا خناصرهم عليه من إفاك إلى الملكة الباكية
المفتودة .. ينلوب — وما كاد يقص عليها ما اعترموه من قتل تليهاك
حتى تصعصعت وتخاذلت ومادت من تحتها الأرض ، وتحبست أنفاسها
هنيهة ، ثم سألت ميدون فيم أبجر ولدها . « ألكى ينقرض اسمه من
صفحة الوجود ؟ » وأجابه الرجل : إنه ذهب يتسمع الأنباء عن أبيه .
ثم ذهب لطيقته ، وجلست الملكة المرزاة لدى الوصيد تبكى وتنتحب ،
ومن حولها الغيد الرعايب والعجوز الشطاء من خادMAT القصر ،
يعولن ويكفكفن

قالت الملكة : « ويح لى أيها العذارى ! أبداً ما أحسب واحدة
من النساء قد لقيت بعض الذى لقيت مما كتبته على السماء ! لقد فقدت
زوجى ، أسد هيلاس ، الكريم أوديسيوس ، الأمير الحلال ، رجل
الفصائل والمروءات ؛ ثم لم يبق إلا أن يرحل عنى ولدى ... دون أن
أعلم أمر رحيله من إحداكن ، فكنت أحول بينه وبين ما اعترم ولو
أذيت ثمناً لذلك روحى ! ولكن .. هيا .. لتمض دايون — خادمتى
الوفية ذات العجاريب — إلى ليرتيس — فلتحدثه عما تأمر الذئاب .
وى ! لم يبق إلا أن يقتلوا ولدى وسليل أوديسيوس ! » .

وهست يوريكلياً مريضاً تليهاك ، تنثر دموعها وتقول :
« وأأسفاه على أيتها الملكة ! سأعترف بما كان ولك أن تقتلينى ..
أو تبقى على ! لقد زودت الأمير بكل ما أمر من زاد وخمر ، وأخذ على
موثقاً ألا أبجح بسرّه حتى تمضى إثنا عشر يوماً بتمامها ... حتى أنت

يامولاتي! لقد أمرني ألا أعلمك بشيء ، فاهدئي بامولاتي ولا تضاعفي أحزان
القصر بحزن جديد ، وامضي إلى مخدعك فاستريحي ثمة ، وانصلي جميعاً
لربة العدالة مينروا — باللا الطيبة — أن تصون مولاي الأمير وترعاه ،
وتكلاًه من كل خطر وليعد إلى عرش آتائه ليحكم ويعدل ويدتر
شؤون الملاد .

ورقاً الدمع في عيون الحاشية ، ونهضت بنلوب فصعدت إلى الطابق
العلوي ، وأمرت بسلة من الكعك فنفخت بها العذارى قرباناً لينرفا وتقدمة ،
ثم أرسلت هذه الصلاة :

« إسمعي يا ابنة سيد الاولب ! يا مينرفا العادلة ! باسم ما ذبح لك
أوديسيوس في هذا القصر وما ضحى نضرع إليك وتوسل بك ونصلي
لك ، أن تصوني ابنه الأمير وأن ترسلي عبوسة من شواظ غضبك على
أعدائه .. أولئك الأضياف الظالمين ... آمين » .

وانهمرت الدموع من عيني الملكة فاستجابت مينرفا صلاتها . ثم
علا ضجيج القوم وارتفع صخبهم ، وكان فيهم تساق نزع التائب في
أذنيه صلاة بنلوب فحسبها أشرفت تناغي وتغازل ، فراح يعرض بها في
كلمات قوارص ، قطعها عليه أنتينوس بتحذيره القوم ، ونصيحته لهم أن
يستعينوا على حزم أمرهم بالسكتان .

وتخير أنتينوس عشرين من خيرة رجاله ، ويم بهم سطر البحر ، ثم
ركبوا في سفينة أعدت لما اعتزموه من تلصص وقرصنة وفتل ، إعداداً
كافياً فنقلت إليها الأسلحة ، وحملت إليها أحمال الزاد والدخيرة ...

وأقلمت ، لا باسم الآلهة مجراها . . ولا سلكت سبيل الرشاد .

واضطجعت بنلوب في فراش حشوه فكر وهم ، وجاشت في قلبها
الوساوس ، وطفقت الأوهام تفتك برأسها القلق الحيران بسبب ولدها ،
وما دبر له الكلاب وما كادوا . مسكين أيها الأسد ! لولا قوتك
وجبروتك ما أكثر صائدوك حولك الأحاييل .

وأخذتها سنة من النوم ، فأقبلت مينرفا الكريمة في رؤيا عجيبة
تواسيها وتذهب عنها طائف الحزن ، فتزيت بزى الأميرة المفتان ،
إفتيا ، ابنة البطل الكبير إيكاريوس ، ثم وقفت عند رأسها ، وشرعت
ترسل هذه الأحلام :

أهكذا تنامين ملء عينيك الجميلتين يابنلوب العزيزة ؟ ليفرخ
روعك ، وليصف بالك ، فالسماء رعى ولدك ، وهو عائد إليك عما
قريب ! إنه لم يقترب شيئاً مما يغضب الآلهة ، ولذا فهمي تكلؤه وترعاه
وتحفظه ، فقرى عينا واسلمى وانعمى ! » .

وتقول بنلوب إذ هي تحلم :

« من ؟ إفتيا ؟ عجباً ! فيم قدمت يا أختاه وقد ندر ما كنت تلحين
بهذا القصر ! التواسيني وتسليني ؟ لقد تكاثرت الأحزان على قلبي ،
وتكسرت النصال على النصال ... لقد فقدت زوجي ... أسد هيلاس
ونغر آرجوس ، وعزى الأبدى ! ثم ها أناذى انتفض فرقاً على ولدى ...
ولدى الطرى ألفينسان ، الذى لا قدرة له ولا احتمال ... في هذا البحر

اللاجى ... لقد أقلمت به سفينة كأنها تسبح فى بحر من دى وأحزاني !
وها قد تعقبه الأشرار فى سفينة أخرى يريدون غيلته قبل أن يرند
إلى وطنه ! » .

وتجيبها مينرقا : « لا عليك ياملكة ، ولا عليه هو الآخر ! إن معه
راعياً بحفظه ويوقيه ... راعياً يتمنى الجميع أن يكونوا فى رعايته أبداً ...
مينرقا ! إنها أيضاً تبشرك وترفه عنك ، وأنا هنا رسولها إليك ، أقبلت
بأمرها أواسيك ! »

وهلعت بنلوب ثم قالت : « وئى ! أما إنك إذن لربة وقد كلمتك
الأرباب ... ألا أقصى على إذن ما كان من أمر رجلى ؛ ألا يزال حياً
رزق ؟ أم تخطفته يد المنون ؟ »

وتضاحك الشبح العابس فقال : « لا ! ليس الآن ؟ ان أذكر لك
إذا كان رجلك لا يزال حياً أو إنه قد قضى ، مالنا ولذلك ؟ »
ثم رفت فى ظلام الغرفة ، وصعدت فى سماء الأحلام .
ونفضت الأم وقد سرى عنها بهذا الحلم ، وانجباب كابوس الهم الذى
كان يحجم على قلبها .

وأقلم العشاق بفلسكهم فى اليم المضطرب ، كل تحدته نفسه بمقتل
تليماخوس ، حتى كانوا عند برزخ أستريس ، بين ساموس وإيثاكا ...
فأرسوا ثمة يتربصون .

أوديسيوس يبحر من جزيرة كالبيدسو

هبت أورورا من فراش زوجها الدافئ الحبيب (تيتون) فنشرت
في المشرقين غلالة سنية من فيض ضوئها ، بينما كان مجلس الآلهة منعقداً
في ذروة أولمب ، وقد استوى زيوس على عرشه ، ومينرفا ... ربة
الحكمة والموعظة الحسنة ، قائمة بين يديه ، تحصى آلام أوديسيوس ،
وتبث أشجانه وتصور للآلهة صنوف العذاب التي يتجرع غصصها وحده
في هذه الجزيرة النائية السحيقة ، فتقول :

« أنشاه ! ياسيد أرباب أولمب ! جوف ! إصنع لي ! وأنتم يا آلهة
الخلود ! أعيروني انتباهة واحدة منكم ، فأها حسبي ! إلى أين تصير
الأمور إذن ؟ هاكم قد أصبح أمر الناس فوضى ... والطغاة يعيشون
في الأرض مفسدين ، وكأنما أغمضتم أعينكم عن خيارهم ، ولم يضركم
ألا تكفوا أشرارهم ، فقسيتم الرجل الصالح أوديسيوس الذي طالما منعكم
محبتة ، والذي بذل لشعبه مهجته ... يثوى اليوم في تلك الجزيرة الموحشة
يجتر همومه ، ويبعث في صفحة السراب آماله ، ... كلاً على كاليسو
عروس الماء .. لا يملك سفينة فيقلع إلى الوطن ، ولا يجد قلباً إلى جانبه
فيبثه حزنه ويشتكى إليه لأواءه ... وكأنما لم يكن بحسبه بعض ذلك ،
بل تسلط عليه الأقدار القاسية عصبية من الأعداء الألداء يتربصون بابه
الشر ، ويتوون غيلته ، إذ هو عائد من أقصى الأرض . من أسيرطة
وبيلوس بعد رحلة مهكة باكية ، قام بها يتنسم خبراً عن أبيه ، يشفي في
قلبه غلة ، ويرى في نفسه كلوماً »

المنعزلة عن جميع العالم . ثم ما برح يُرنقُ هنا ويرنق هناك حتى اهتدى إلى ذلك الكهف السحيق الذى تأوى إليه عروس الماء الشقراء ذات الشعر السكهرمانى وقد جلست ثمة تغرد وتغنى وتعمل دائبة فى منسج أمامها ، ويدها تتلقفان الوشيعة^(١) الذهبية كما يخطف البرق ! والنار تتأجج فى الموقد بقربها وتتوهج ، وجمر الأرز والصندل يعبق ويتأرج ، ويملاً نَشْرُهُ أركان الجزيرة ونجاجها .. وقد بسقت أشجار الحور والسنديان عند مدخل الكهف فغشَّته بظلال رائعة ، وظلمة رهيبة ؛ وصنعت جوارح الطير أوكاراً لها فى الدوح الذاهب فى السماء ، ووَكَّنت^(٢) الحدأة بيضها ، وقر الغداف^(٣) جنب صغاره ، وطفقت البومة ترسل فى الآفاق صغيرها ، وتناثرت فوق الشاطئ أفاحيص الطير من كل نوع ؛ وامتدت الكروم عن يمين الكهف وعن شماله مثقلة بالعناقيد ذوات السكر ؛ وتدفقت جداول أربعة عن عيون كوثرية تسقى السندس الجميل المنضر بأفواف الورد والبنفسج ... منظر عجب ، وأى منظر عجب يبعث البهجة والانشراح حتى فى قلوب سكان السماء !

ووقف هرمنز يمتع ناظريه بسحر هذه الجنة ثم دلف إلى الكهف ، ولم يكن يسيراً على عروس الماء أن تعرف من هو ، وأى إله خالد طرق بابها ، ولو أنها هى أيضاً فرد من أسرة الخالدين ... ذلك لأن سكان السماء يكونون مثلنا أحياناً ، لا يعرف أحدهم جميع الآخرين ، لبعد الشقة ، ونأى الدار ، وانقطاع المزار ... ، ... وأرسل عينيه فى كل شق من

(١) المكوك .

(٢) رقدت عليه . (٣) الدفاب بضم الهمزة فراهب القبط .

شقوق الكهف ، بيد أنه لم يقف لأوديسيوس على أثر... فانتنى ، ويم نحو الشاطئ واستوى على صخر عظيم نأتى ، وشرع ينثر من عينيه الدموع الغوالى ، يطفى بها فى القلب سعيراً سرمدياً يلزمه أبد الدهر... وكأنما عرفت كاليسو من هذه الآلة أنه هرمز ، فراحت تسائله ، إذ هى مستوية على عرشها الممرد العظيم :

« هرمز ! يا صاحب العصا السحرية ، يا من طالما أحببته وبجلته ، حدثنى فيم أقبلت ، وقد ندر ما قدمت إلى هنا . هلم فقل . سل حاجتك فسأقضيها إن تسكن فى وسعى ... ولكن هلم أولا ولتؤد لك مراسم القرى وواجبات الضيافة ... هلم ! »

ومدت عروس الماء سماًطاً حافلاً بأشهى ألوان الطعام وصنوف الشراب ، وأقبل هرمز فاغتذى وروى من هذه المائدة القدسية ، ثم توجه بالكلام فقال : « تسألين أيتها الربة فيم أقدمت ! ألا فاعلمى أننى ما أقدمت عن أمرى ، لكنه أنى ، سيد الأولب وكبير الآلهة ، هو الذى أرسلنى . إذ أية حاجة لإله فى هذه القطعة المنعزلة من الأرض ، يحيط بها الملح من كل مكان حيث لا عباد ولا خلق يؤتون الزكاة ، وقيمون الصلاة ، ولا أثر لعبادة زيوس العظيم ! إنه جل جلاله ، يقول إنك تحتجزين هنا أنعس مخلوقاته ، البطل الكبير الذى نزع عن بلاده إلى اليوم فقضى ثمة تسع سنين ثم أبحر عنها بعد سقوطها فى العاشرة مع محاربى هيلاس الذين تفرقوا فى البحر شذر مذر ، فمنهم من غرق ومنهم من قتل ، ومنهم من وصل إلى بلاده ... إلا إياه ... فقد هلك كل رجاله ، وقذفه

البحر فوق جريرتك المائية ... جوف يأمرك أن ترديه ، ففي كتاب
المقادير أنه لا يهلك هنا ... بل يعود إلى بلاده ويلقى فيها آله .

وزُلّات كاليسو زلزالا وقالت نجيبه : « ها ... الظلم والحسد ...
دائماً ... هذا دأبكم يا آلهة ... كم تأكل قلوبكم الغيرة كلما ضمت ربة
إلى ذراعها أحد بنى الوقى ! وهل نسيتم يوم ثرتم عند ما علقت ديانا
دات الأصابع الوردية هذا الفتى الجميل أوريون ، وكيف دبت الغيرة فى قلب
أبوللو فسكر هذا المكر السيئ ، ودرقت الفتى بيدي حبيبته ديانا ؟ ^(١)
هل نسيتم أيضاً كيف أرسل أنوكم چوف إحدى صواعقه على آياسيون
المسكين لأن سيرس ربة الربيع قد هويته وأخذته بين ذراعها حين
شغفها حباً ؟ كذلك أنتم معى اليوم ، وكذلك أنتم عيورون دائماً ، فما
أقساكم إذ تنمسون على حبيبى ؟ ! لقد أنقذته بمعسى من هذا اليم الذى
التقم سيفينه بمن فيها حين شطرها أنوكم بسهمه فى عشته من عبثاته !
حبيبى الذى أهواه من أعماق وأفتديه بروحى ، والذى أهد له حياة
الخلود ... ولكن ... وا أسفاه ! كيف أطرده من عندى ؟ ويحى !
إن تسكن هذه مشيئة زيوس فلاحدث أوديسيوس ليرى لمسه ، إذ
ليس عندى مركب يأمن فيه غائلة هذا البحر المضطرب ، وإنى
ناحجة له ، .. »

(١) راجع الأوديسة التى بأيدينا . بهمة فى الكلام عن هذه الأسطورة لذلك
اضطررنا أن نتصرف قليلاً اعتماداً على شرح الأستاذ جرير — وحاصلها أن أبوللو
علم بما بين أخته ديانا وأوريون من عشق فاستدرج ديانا وأخذ يباربها فى الرماية —
وكان أوريون يستحم فى البحر فجعلها تصوب سهمها إلى رأسه وهى لا تدري قتلته .

وكلها هرمز فأنذرهما من عضبة سيد الأولب وحضها أن تعمل على
إبحار البطل .

ورف هرمز الرسول في لازورد السماء ، واطلقت عروس الماء تبحث
في الجزيرة عن أوديسيوس ، حتى لقيته فوق صخرة ساهماً واجماً ، تمرى
قلبه الهواجس ، وبعث به محال الأمانى ، وقد انهمرت فوق حديه
عبرات حرار ، والاحظات تذبل فتسقط من حياته في ظلام اليأس كأوراق
الخريف ، وقد ملّ هذا المقام الطويل البائس في جوار عروس الماء التي كانت
تخلع عليه حبها البارد ، وتقصره على أن يقضى ليالیه بجانبها على فراش واحد
في ذلك السكف السحيق .. وكلما فكر في وطئه ، ونظر إلى الموج
المتوالب في أفق اليم ، وعرف أن لا قدرة له عليه ... بكى وأن ، وتوجع
وتصدع ، وأرسل في لانهاية الماء والسماء آهات وآهات ... » .

واقتربت منه عروس الماء في رفق وخدب ، وقالت له :

« أيها التمس لا تنتحب هكذا ، ولا تصهر حياتك الغالية في تنور
من الآلام ، هلم ... هيا إلى عمل مجيد .. أمامك الدوح العظيم والأيك
الذاهب فاقطع منه ما شئت واصنع لنفسك رمزاً يحملك فوق هذا العباب
المتلاطم . وسأزودك بكل ما يكفيك من طعام وشراب ؛ وسأمدك
بأثواب جديدة تقيك الحر والبرد ، وسأسخر لك الريح تهديك إلى بلدك
البعيد ... هذا قضاء من آلهة السماء التي تقدر فتعدل ، وتقضي فلا يرد لها
قضاء ... »

وتفزع أوديسيوس لهذه المفاجأة ثم قال : « أوه يا عروس ! بل فى الأمر سر تحاولين إخفاءه عني .. أى رمت يحملى فى ذلك البحر اللجى وأى ربح تسخرين من أجلى ؟ وإن السفينة العظيمة لتخر عبابه وهى لا تدرى أنسلم أم يكون أهلها من المفرقين ؟ لا ... لن أفعل حتى تعطينى موثقتك ، وحتى تقسمى القسم العظيم ، أنك لا تبطنين لى شراً ولا أذى ! » .

وتبسمت الربة الهيفاء ، وراحت تربت على خديه وهى تقول :
« ويحك ! كيف تسمى بي الطن يا أوديسيوس ؟ أية حجة تملأها يديك على ما قلت ؟ ولكن اصنع لى ... أقسم لك بقسم الآلهة فى الأرض والسما والدار الآخرة ... بالقسم العظيم الذى يقشعر لذكره كل شئ ... إني لم أضمر لك فيما عرضت عليك شراً ولا أذى ... إن الذى تبكى من أجله ، أبكى أنا أضعاف ما تبكى من مثله ، فلقد كنت ضرورة من ضرورات حياتى هنا ، ولقد علق بك قلبى ، وهامت بحبك نفسى ، وليس قلبى من صخر فيحتمل البعد عنك بئله الإضرار بك » .

وانطلقا سوياً إلى الكهف ، وجلس أوديسيوس فوق المتكأ الذى كان يجلس عليه هرمن منذ هنية ، ثم أقبل جوارى المساء يحملن شيئاً كثيراً من اللحم والشراب فأكلا وزويا ؛ ثم شرعت كاليسو تحذنه وتقول :

أهكذا يا ابن ليرتيس العليم ، أيها الحكيم الصناع ، لا تفتأ تحن إلى وطنك وتعتزم الرحيل إليه ؛ أنا عذيرك يا أوديسيوس ... فوداعاً !

ولكن هل فكرت أيها الرجل في الأهوال الجسام التي تخرط قتادها
قبل أن تصل إلى بلادك؟ أليس حيراً لك أن تظل إلى جانبي ، وتقاسمني
كهنفي ، فتصبح من الخالدين .. وتنسى هذا الجمال الفاني الذي لا ينفك
يصببك ويسبيك ، والذي أحسب جمالي وفننتي لا يقلان عنه سحراً إن
لم يزيدا عليه فتوناً ؟ ! »

فيجيبها أوديسيوس الحكيم . أيتها الربة الخوفة ! هوّني من حفيظتك !
فأنا أعلم أن ينلوني العزيزة لا تزن من جمالك وفنونك مثقالاً ، لأنها
هالكة ، ولأنك من الخالدين . بيد أن الذي يصيبني هو وطني ... وطني
الحبيب الذي أحن إليه وأهيم به ، وفي سبيل العودة إليه لن يخيفني هذا
الليج المتلاطم ، فلقد بلوت الأعاصير في البر والبحر ؛ في خبار المعمة ؛
وفي الفلك تحت كل كل الزوبعة ... إلى ، إلى يا خطوب ، وأقدمي بكل
حولك يا رزايا ... »

وتوارت الشمس بالحجاب ، وأرخى الليل سدوله فوق الجزيرة ،
ونامت الربة في سريرها الوثير ، وبين ذراعيها حبيبها تشمه وتضمه ، وتحسه
وتلشمه ... حتى إذا نهضت بالورد أورورا جبين المشرق ، هب الإلفان
وتدثرا ؛ هذا بثوبه الخشن ، وتلك بشفوفها الرقيقة الثلجية الناصعة ، التي
كانتما نسجت من نسمات الصباح العطري ، وراحت تخطر فينانة ريانة ،
وقد اتشحت حول وسطها النحيل بقرطق^(١) جميل ، وأتت على رأسها بخمار
صفيق رقيق ؛ وقدمت إليه فأسأ ذات حدين أحدهما كالساطور ، ركبت

(١) اقترطق بسم طاف وفتح طاء نوب يشتمل به .

فيها يد من حشب الزيتون المتين ، ثم إرميلاً حاداً مرهقاً . وسارت بين يديه حتى كانا عانة عظيمة مُحَرَفٍ ، لاحمة شاحبة ، بسقت فيها أشجار الحور والسنديان والشربين^(١) ، وتركته ثمة ، وعادت أدراجها إلى كهفها ...

ولم يهدأ للطل المسكين بال ، بل شرع من فوره يتقطع كل أيكعة عظيمة حتى اجتث عشرين من أكبر دوح الغابة . . ثم أقبلت كاليبسو وقد حملت إليه آلات ساعدته على تشذيب الشجر ، واستطاع بعد لآي أن يضم بعض الجذوع إلى بعض ثم كلبها نكلابات كبار ، وأمرع في وسط الرمث له ولما يحمل مكاناً أميناً ، كأحسن ما يصنع السماون .. ودعم ذلك جميعاً بالأواح ودُسر ، وصنع قلماً وجعل في القلم سراعاً ، سم سوى السكان مكانه ، وجعل في الباطن صبارة^(٢) كبيرة تقي الرمث الانقلاب ، ولم ينس أن يجدل جوانبه بفروع وأغصان تزيد في قوته وتضاعف من مُنْتَه . وأتم صنع مركبه في أربعة أيام ، وأنزله إلى البحر في الخامس ؛ ثم أدخلته عروس الماء حمامها ففسلته وضمخته بالطيوب والعطور ، وخلعت عليه من ديباج ثمين ، وزودته بزقين من خمر وماء ، وأمدته بشيء كثير من طعام وأثواب .

وودع عروس الماء المحزونة ؛ وجلس عند السكان ، ثم دفع الرمث في البحر ، وابتعد رويداً رويداً .

(١) Fir ولم نجد لهذه اللفظة أثراً في اللسان والعاموس .

(٢) أو صبرة قطعة حجر كبيرة يتزن بها المركب في البحر وتسمى في مصر

(صابورة) .

وكان قلبه يفيض بالمشر ، وصدره يمتلىء بالانشراح ... وظل يجري
به الملك الصغير سبعة عشر يوماً ، وعيناه في كل ليل ما تريمبان عن الثريا
في علياء السماء ، وما تقتران تنظران إلى مجوم الدب الأكبر التي تقف
للجبار^(١) بالمرصاد ، كما علمته عروس الماء قبل أن يرح ، أن يجعل هذا
المجم إلى شماله أبداً

ثم بدت جبال فيثيا الشم كأنها دروع مسرودة فوق صدر الأرض
الشاحبة ... ولكن ! وأسفا ! لقد كان الجبار نبتيون ثانياً عنانه
من سوليا^(٢) ، فلمح أوديسيوس فوق رمشه يتوائب على هام الموج ،
ويقرب من الشاطئ ، فينجد إلى الأبد من بطشه . وثارت في نفس
نبتيون — إله البحار ، وأعدى أعداء أوديسيوس — ثورة من الغضب ،
وظل يعلك هذه الكلمات في نفسه من فوق بطاح إنيو بيا^(٣) :

« وى ! أو قد تبدلت مقادير الآلهة إذن ، وتحركت فيهم عواطف
الحنان من أجل هذا الرجل أوديسيوس ، ففضوا فيه ما قضوا لأنهم
يسكنون السماء ، ولم يبالوا بي لأنني أسكن الأرض في إنيو بيا ؟ إنه يرى
شاطئ فيثيا قيد وثبات منه وهو إذا قفز إليه أصبح بنجوة من هموم
تترصده في كل موجة من موجات هذا اليم ... ولكن ... لا ... لألهينه
بألف سوط عذاب قبل أن يصل إلى البر ... » .

(١) الجوزاء Orion

(٢) إحدى مقاطعات آسيا الصغرى وكانت تدعى نيسيد

(٣) مكدا في الأصل

ثم إنه لأعب السحاب بصولجانه ذى الشعب الثلاث فانعقدت منه
 ظلمات فى أرجاء السماء ، وطفق يهز أعماق البحر فهاج وماج ، وتلاطم
 بالأمواج ، وصاح صيحة بريح المشرقين وريح المغربين فاجتمعت إليه
 من كل مكان سحيق ... ثم هبت ريح الشمال الشبحية اللاخفة فانطفأ
 لألاء النهار ، وأظلم الليل فجأة ، وطفى العباب وشابت نواصيه بالشبح ،
 وتناوح الموج الغضوب حول الرمث ، وهلع فؤاد أوديسيوس وأصبح قلبه
 فارغاً ، وطاشت أحلامه وذابت أمانيه العذاب ، وراح يحدث نفسه هكذا :
 « يا لتعاسى ! أى مقدار قاس يترصدني ؟ لقد أذرتنى ربة الماء معبة هذه
 الرحلة الهوجاء فى البحر فما صدقتها ، وتنبأت عن الشدائد التى تعتور طريقى
 إلى الوطن ، فهامى ذى تتحقق ! أية أعاصير هوج وأى موج ينتفض
 من الأعماق قد سلطه خوف على هذا البحر ! بعد لحظة أغوص فى ظلمة هذه
 القبور التى يشقق عنها الموج ! ألا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيّاً تحت
 أسوار اليوم ، يوم أوشكت أن أقضى ثلاثاً فى سبيل إنقاذ الأتريدس^(١)
 أو يوم أوشكت أن أصرع برماح الطرواديين إذ أدفع جموعهم عن جثة
 أخيل ! ! أجل ! لو أننى مت ثمة لأقيمت من أجل الطقوس الجنائزية ،
 وأدبت لى الشعائر الدينية ، وذرف فوق قبرى كل يونانى أغلى دموعه
 وأعز عبراته . وتفاذيت هذه الموتة المجهولة التى تكاد تلتقمنى ! » .

ثم كانت الطامة ... فإن موجة كالطود فجأته ... فبعثرت الرمث ...
 وأفلت مقبص السكان من يدى أوديسيوس ، فانتثر فى اللجة ، ثم غاص

في أعماقها ، وعبثاً حاول أن يطفئ... لأن الرياح تكالبت عليه من كل مكان، وكلما نجح من موجة فغرت له فاهاً أخرى ... ثم حدثت المعجزة ... فقد وسعه بعد لأى وبعد عناء شديد أن يدفع نفسه دومة اليأس إلى السطح ، وأن يملأ رثتيه المنهوكتين بنفسه من الهواء كانت تمتزج بالماء الأجاج المتصعب من جبينه ، حتى لأوشك أن يغص بها ... لولا أن لطف به الصدفة ، فرأى الرمث قريباً منه ، وقد انتزعت العاصفة قلاعها وشراعه ، فسبح إليه وأمسك به ، ثم استوى عليه ، وتركه للموج تلعب به واحدة وتعبث به أخرى ، وتجمع عليه الرياح عن شماله ويمينه ، ومن خلفه وقدامه ، حتى قيض له القدر عروس الماء (إينو) ابنة قدموس ، التي كانت تعيش في البر وتعرف فيه بهذا الاسم ، والتي اتخذت اسم (ليوكوتيا) بعد أن نزلت إلى البحر وعلقتها أحد الآلهة فوهبها الخلود .. لقد تفجرت في قلبها شآبيب الرحمة من أجل أوديسيوس لما رآته في هذا الروع الذي ليس كمثل روع ، فسحرت نفسها ، ووثبت على الرمث في صورة غطاس الماء ، ثم قالت له : « ويحك أيها البائس ! فيم أثرت غضبة نيتيون عليك حتى ليقبلك سرباً في شعاب البحر ، ويصب عليك كل تلك الرزايا ... ؟ على أنني أنصح لك أن تدع هذا الرمث ، تقدافه الرياح حيث تشاء ، ثم تخلع ملابسك ، وتقفز في الماء ، وتسبح بقوة وجلد حتى تصل إلى شطآن فيشيا ، حيث تسلم بنفسك ، وتكون بئامن من بطش هذا الجبار . خذ ، هاك زناراً^(١) من حرير من حياكة السماء ، لفه تحت صدرك ، فإنه يجعلك بئامن حتى من مجرد التفكير في الموت ، فإذا وصلت سالماً إلى الشاطئ

فأمره بكل ما أوتيت من قوة بعيداً في البحر ، وأدر وجهك بمجرد أن تفعل ، بشرط ألا تنظر إليه وهو يسقط في الماء .

وسامت إليه الزنار الموعود ، ثم غاصت في الماء ، وبقي أوديسيوس مكانه في حيرة شديدة وحزن عميق ؛ ثم أفاق من غشيته ، وجعل يهرف هكذا : « أوه ! ترى ؟ أذاك شرك آخر تدبره الآلهة لي ؟ ولكن لا .. لن أرح مقياً فوق الرمث ، فالبر بعيد ، ولأظل مكاني ما دامت الجذوع مكلّبة هكذا ، فإذا حطمتها يد الحدّثان فلأفعلن كما أشار الإله الذي كان يكلمني منذ لحظة ... » . وما كاد يفرغ حتى أرسل عليه نبتيون موجة جارفة حطمت رمته ، وتركته عالقاً بأحد الألواح ... وأسرع أوديسيوس نخلع الرداء الجميل الديباجي الذي خلعتة عليه كاليسو ، ولف الزنار الموعود حول صدره ، وقذف بنفسه في الماء ... وراح يسبح !

وكان نبتيون الجبار يرى بعينيه ، ويشفي خردّه ، ويقول في نفسه : « دُقْ يا أوديسيوس وبال أمرك في هذا الطوفان ، قبل أن تصل حبالك بحبال الشعب الذي هو حبيب الآلهة ، وسترى ثمة هل تنتهي آلامك ! » وحثّ مطيه حتى وصل (إيجّه) حيث يشرف قصره المنيف .

وكانت مينرقا تشهد الكفاح الهائل بين أوديسيوس وبين اليم ، فاطلعت من عليها ، وداعبت الرياح حتى استنامت وونت ، ثم أطلقت بوريس ، ريح الصبا الشمالي الكريم فجرى^(١) رخاء ، يدفع أمامه البطل

(١) الضمير عائد على بوريس وهو مذكور

العظيم الذى ظل يناضل الموت ويصرعه يومين أطول من دهر ، وليلتين
أحلك من غيابة جب ، حتى إذا غابت أورورا فى اليوم الثالث ، استطاع
أن يرى الشاطئ على مرمى البصر ، فوق موجة عالية .

ما أحلى الأمل الذى يحيا بعد يأس ؛ لقد كان أوديسيوس ينظر إلى
التلال والجبال القريبة ، والغابة النائية فى أحياها ، كما ينظر الأطفال
الأبرار إلى أب لهم أنهكته العلة ... ثم تماثل للشفاء بعد تسليم وقنوط !
وتحسس الأرض بقدميه ... ولكن . وأسفا ! الأعماق الهائلة !
والصخور والأواذى ! والموج الذى يرتطم بأقدام الجبال فيرغى ويزبد ... !
لم يكن بهذه الجهة مرفأ ، ولم تكن تيجوس خلالها سفن ... وأقد
ظل أوديسيوس يكافح ويكافح ... حتى غم على قلبه ، وكاد يتغشاه
طائف من الخور ، بعد أمل وطيد !

وجاشت الوسائس فى قلبه ، وطفق يحدث نفسه حديث الملاك فى
هذه اللحظة الجراح ...

وكان أخوف ما يخشاه أن يدفعه الموج على نتوء الصخر فيحطمه ،
أو أن تلمحه أمفريت ، زوج نتيون . عدوه اللدود ، إله البحر ، فتسلط
عليه من وحش الماء ما يلقيه ، أو يقذف به إلى أعماق الأعماق ...
كرة أخرى .

وبدنا هو فى بحر من ماء ومن هواجس ، إذا موجة هائلة يضطرب
بها اليم فتدفعه فى قوة وعنق إلى الشاطئ ذى النتوء والنوى فتكاد
تدق عنقه ، وتذرو عظامه ، لولا أن قبض بذراعيه الجبارتين على حافة

صخرة بارزة فظل معلقاً ثمة حتى أقبل جبل آخر من موج البحر
 فاحتمله إلى الأعماق كأنه أحد سراطين الماء ... وجاهد المسكين ثانية
 وثالثة حتى تدافع الموج من حلقه فقفزه في مسيل من مسابيل الماء المنتشرة
 على الشاطئ ، وعندها ، ظن أوديسيوس أنه بنجوة لولا تيار النهر الذي
 كاد يسلمه بدوره المحيط ، مما جعله يضرع لرب النهر ويبتهل ... ويدعو
 من أعماق قلبه ويصلى ، حتى استجاب الرب الرحيم لصلاته ، فكسر
 حدة التيار ، وفلّ من غرب الماء ، واستطاع البائس المنهوك أن يصل إلى
 إحدى العدوتين واهياً متهاكاً محطاً .. فانطرح على الثرى يقبله ...
 ويلهث ويقول :

« ويح نفسي ماذا تبغين يا آلام ! لقد أقبل الليل وأنا عتيّ مصدع ،
 ولا قبل لهذه البقية من حشاشتي بطل العشاء وصقيع الفجر ... فلو أنني
 استطعت أن أتسلق هذا الحدور فالوذ بأجرة من هذه الغابة ! ولكن !
 وئ ! أي وحش ضار يفتدى بلحمي ثمة ؟ » .

يُبد أنه توقّل في الجبل حتى أوشك أن يضرب في الغابة ؛ ثم كان
 بين زيتونتين إحداهما مشمرة ، والأخرى عقيم ؛ كل منهما لماء شجراء
 حتى لا تنفذ الريح بينهما ، ولا تنسرق أشعة الشمس خلالهما ، ولا الماء
 بواصل إلى من استذرى بهما .

هنا ... وجد أوديسيوس مأمنه ؛ .. فراح يهد الأرض ، ويللم
 ما استطاع من قش ويحتطب ، حتى صنع لنفسه منامة تكفي اثنين غيره ،
 من الضارين المشردين في الأرض ، ودعم حفافها بفروع الشجر ...

ثم أسلم عينيه لنوم هادى عميق ، سكبته مینرفا فى كلتا مقلتيه .
فله ما كان أروع غاراً فى هذا السفط من القش ، كشعلة من زيتونة
لا شرقية ولا غربية ، يعتز بها ريفى شاب فى قرار مكين^(١) .

نام أوديسيوس منهوك القوى .
وذهبت مینرفا تدبر له أمراً فى شيريا ، بلد السلالة ذوى المجد من
أبناء فياشيا — ملوك البحر الذين فروا من وجه جيرانهم الجبابرة
السيكاويس — فى العصر الخالى ، ونزلوا بهذا البلد ، فشادوا حصونه ،
وأقاموا أسواره وتوزعوا أرضه الخصبه ، وأسكنوا الدور والقصور ،
وأنشأوا المعابد للآلهة عرفاناً وشكراناً .

وقضى ملكهم وزعيمهم نوزيتوس ... ثم استوى على العرش من
بعده ألكينوس ، حبيب الآلهة ، وصفى السماء .

كانت الأميرة الحسناء ، بوزيكا ، ابنة ألكينوس الملك ؛ تفت
كالملاك فى نوم عميق بين وصيفتين رائعتين من وصيفاتها ، فوق سرير
وثير فى مخدعها الملوكى الفاخر .

وكان رتاج الباب محكما كأنه وتاج باب الجنة ، ولكن ذلك لم يقف
بسبيل ربة الحكمة مینرفا ، التى خطرت إلى الداخل كنسمة نادية من
نسمات الصباح ، ووقفت لدى رأس ابنة الملك تزخرف لها هذا الحلم الففى

(١) كانت النار فى ارمن التقديم أغلى ما يعتز به الناس .

الجميل ، وكأما تبدوا لها في المنام في صورة صديقتها وأعز أترابها ابنة
ديماس الكريم :

« نوزيكا ! يا ويح لك أيتها المؤوم المكسال ! أهكذا تهملين
ملابسك وأنت موشكة أن تُزفي إلى عروسك ، وعليها يتوقف مظهرك ومنظر
ورواؤك ، ورواء حاشيتك ووصيفاتك ؛ كما يتوقف عليها زهو أبويك بين
الناس . انهضى مع الفلق^(١) فاذهي بمطارفك إلى المغتسل عند ضفة النهر
فاغسلها وأعديها ليوم زفافك ، يوم تودعين مراح هذا الشباب الخالي . .
هلمي ! إني سأعاونك ، أنت يا ساحرة ألباب شباب العياشيين ! سلى أباك
أن يرسل لك عربة وبغلاً تحمل ثيابك ومطارفك إلى عُدوة النهر حيث
لا شاهد ولا رقيب » .

وانقلب مینرفا ذات العينين الزبرجديتين ، ورقن أسما السماء
حتى كانت فوق ذروة أولمب ... حيث السكون والمهدوء والصمت ،
وحيث مستقر الآلهة ، وحيث لا تعصف ريح ولا يقلبد سحاب ولا تدمع
عين مطر . . وحيث السماء لازوردية صافية إلى الأبد .

وخطرت أورورا فوق عرش المشرق ، وأرسلت من لديها أميناً من
رسل النور يداعب جفنى نوزيكا ، فهبت وحلها الجميل لما يفتأ يساور
رأسها الصغير ، وهرعت من فورها تبحث عن أبويها تقص عليهما أنباء
ما رأت . وقد ألقت أمها لدى المدفأ مكتبة على غزل من صوف أرجواني

(١) الفلق أول ضياء الصبح .

موشى بصبغ بحرى ، ومن حولها وصيفات يساعدها . ثم نقيب أباهما
يكاد يذهب ليرأس مجلس شيوخ المملكة ، فاستوقفته وكلته فى العربة ،
واحتجت ملابس إخوتها الخمسة الذين يستحيون أن يراقصوا العذارى
فى الحفلات بملابس لا تليق بأبناء الملوك . . . وعقد الخجل لسانها فلم
تذكر مطارف زواجها وشفوف زفافها ... ولم يدخل أروها مما طلب ، بل
أمر لها بعربة كبيرة عميدة ودواب ، وزودتها أمها بأشربات وآكل
وطيوب ومروخ^(١) .

واستوت مع وصيفاتها فى العربة ، وساطت البنغال فانطلقت تطوى
الرحب إلى النهر حيث وقفت عند منعرج يترقق فيه بلور الماء ، متدفقا
من نبع قريب . وسرحت الدواب الترعى العشب الحلو النامى على حفافى
الماء ، ثم أخذن فى غسل المطارف ونشرها فوق حصباء الشاطئ الذى
طمه المد ونضجه الجزر ، واغتسلن بعد ذلك وتصفخن ، وجلسن على
شفا النهر يتلغن بلقات ، ثم نهضن فتلاعبن بالأكر ، وتغنت ابنة الملك
أعذب الأغاني ، وتشت كما تتثنى ديانا فى شعاف الجبال وفى يدها القوس
والترس ، تصيد الخناير فى لريمانت — ومن حولها ربر من عذارى
الآلهة ، وابنة لاتونا^(٢) تنيه عليهن وتدلل ... كذا كانت تيمس ابنة الملك
فيكسف لألاؤها جمال الأخريات .

وهنا ... شاءت ميترفا أن يهب أوديسيوس من نومه ، ليشهد

(١) ما يمسح الجسم من دهن أو طيب أو غيرها .

(٢) هى ديانا .

العادة الهيفاء التي كُتِبَ في الأزل أن تقوده إلى المدينة ؛ ففما كانت
بوزيكا تضرب الكرة لتلقمها إحدى وصيفاتها ، إذا هي تعلو وتعلو ،
ثم تدوم كما يدوم الطائر ، وتهوى في العباب المصطخب ...

وصرخ العذارى صرخة مدوية ، فانتفض أوديسيوس وهب مذعوراً
مشدوهاً ليرى هذا المنظر العجيب !

« ويحيى ! أيّ بنى الموتى قُطَّان هنا ؟ ليت شعري أشوس عرابيد
أم كرام أجاويد ! أوه ! إلمهن عرائس ماء تفز عن فرجعت الغيران أصداء
صراخهن ، وتراقص الحباب فوق العباب من جرسهن ، وتثنى الكلا
نشوة في الوادي ! لأدلف نحوهن فأرى إليهن ... » .

وخطر من دَغِيلَتِهِ^(١) خَطَرَانِ الأسد هاجته العاصفة ، فانقدت في
عينيه جمرتان من غضب ، أوظمىء فاشتدت غلته إلى الدماء ... وذال^(٢)
نحو العذارى ، فما إن رأيته حتى تفزعن وولّين مذعورات في الشاطيء
ذى النوى ... إلا بوزيكا ! فقد نفخت فيها مينرفاً من روحها ، ونزعن
من فرائصها رجفة الخوف ، فوقفت شماء الأنف تنتظر القادم ...

وارتبك أوديسيوس ولم يدر ماذا يصنع ؟ أيجثو تحت قدميها يتوسل
ويتضرع ، أم يقف عن كשב يستعطف ويسأل الفتاة دثاراً ، ويرجوها
أن تهديه إلى المدينة ! وآثر الثانية فتلطف ، ثم قال :

« عمرك الله أيتها الملكة ! أربة من الخالدات ، أم حسناء من

(١) الدغيلة والدغل الشجر الملتف .

(٢) ذال ودأل معني في خفة ولشاط .

بنى البشر؟ أضرع إليك أن تجيبى ! فإنك إن كنتِ ربة ، فما إخالك
إلا ديانا ، ابنة سيد الأوب ! ولم لا ؟ ولك قسامتها ووسامتها وقدها
الممشوق ، وحسنها السيوى ، وجمالها الروى ! أما إن كنتِ إنسية ، فما
أسعد آلك بك ، واشد ما يزهون بجمالك ! كلما خطرت فى ملعب ،
أو بدّخت^(١) فى مرتع .. ثم ما أسعد الزوج الذى سيحظى بكل ذلك
الجمال ، لا يضارعه فى العالم جمال !! ألا ما أروع ما تبدين كالنخلة اليانعة
فى ديلوس عند مذبح أبوللو ، أيتها الأميرة ! ألا كم أتمنى أن أتم قدميك ،
لولا ما ينتابنى من روع ، ويؤودنى من فزع — أنا — ذلك الممى
الحزون المشجون — أنا — ذلك العبي الموهون الذى أفلت من يد المتنون
أمس ، بعد إذ كشرله عن نابه فى ذلك البحر اللجى ، بعد سفرة عشرين يوماً
من أوجيحياء ، وسط أنواء وأهوال ، وموج كالجبال ، حتى شاءت العناية أن
تطرحنى بشطآنكم الحبيبة ! ولست أدرى ما حبات لى المقادير بعد !
ولكن ، هل ترثى مليكتى من أجلى ، وهى أول من لقيت فى هذه
الأرض بعد طول عنائى ، فترشدنى إلى مدينتها ، وتسبع على — أسبغت
عليها الآلهة كل ما تتمنى من هناءة وبلهنية وقران قوى العرى لا تتناول
إليه أعين الأعداء — دثاراً يستر سوءتى ؟ » .

وأجابته نوزيكاً : « حباً أيها الغريب الفازح وكرامة ! إن سمالك تدل
على نبيل ، وسَمَتِكَ يذيع عن رفعة ! اضطبر على ما ابتلاك به كبير الآلهة
الذى يبيده العزق ، يشقى من يشاء ، ويهب لمن يشاء . وإنى سأدلك إلى المدينة ،

مدينة الفياتيين ملوك البحر ، التي أنا ابنة ملكها العظيم ألكيموس ،
 رب نعماتها ومصدر رخائها » وأومات إلى وصصيفاتها تقول :
 « مكابكن يا عذارى ! فيم فراركن هكذا من إنمي كريم ؟ لقد أبنت
 الآلهة أن تطأ قدم عدو أرض أحسانها ، بلادنا المقدسة ، التي انعرت في
 لجح هذا الخضم عن كل العالم . إنه غريب يا عذارى ، جَوَاب آفاق ،
 قدفه البحر إلى شاطئنا ، فمرحماً به ضيعاً من لدن زيوس ، وأهلاً بوفادته
 ومنهلاً . هلم إذن يا صويحات فقدمن له طعاماً وشرباً ، ثم هدين له
 حماماً في منعرج ظليل عند خفافي النهر » .

وأهرع البنات قدن أوديسيوس إلى منعرج ذى ظلال وأفياء ،
 وأعددن له ثوباً وكساءً ، وهيان طيوباً يتصمخ بها إذا فرغ من حمامه ،
 وسألن أن يذهبن بعيداً حتى لا يتعري أمامهن ، إذ « ... لشد ما بنحجاني
 أن أندو عارياً أمام الخُرد الخفريات ! » ... وتهادين إلى مولاتهن يحدثنها
 بما قال : بينا هو قد انتدف في الماء يغسل كاهله وحقوقه مما جمد عليها
 من ملح اللجة ، وصعد فتصمخ بالطيب الثمين ، ثم أسبغ على بدنه العنيد
 ذلك الكساء الذي منجته إياه نوزيكا ، ومن أعجب العجب أن ميترفا
 نفسها كانت تعاونه في تجميل خلقه ، وتزيل من شعره الكث الأشعث
 تلبداته التي كانت تبدو كأنها أزهار الخزامى ... ثم هي بعد كل ذلك
 تضي عليه أمواها من البهاء تظلل بها صدره ، كأنما هي فلكان الصنّاع
 يعمل حلية من فضة وذهب ، وجلس على الشاطئ في رونق وروعة ،
 حتى إذا لحته الأميرة العذراء أذهلها جماله ، وقالت لوصيفاتها . « تالله

يا صويحبات لقد شككت في حال هذا الرجل أول الأمر ، ولقد حسنته
 آفاقياً من رعا ع الناس ، لولا أنني أثق أن الآلهة لا تسوق إلى بلادها
 الحبيبة هذا الصنف من البشر ... أما هو الآن ، فلشد ما يشبه أرباب
 السماء ! أواه ! لوددت أن يكون لي زوج في بهائه وحسن سَمَتِهِ ، على
 أن نبقى آخر الدهر هنا ... هلم يا وصيفات ... قدمن له طعاماً وخمراً .
 ومددن أمامه سماًطاً كبيراً ، وزودنه بأحسن الأشرابات والآكال ؛
 وأخذ أوديسيوس في إكلته حياءً متأدباً ، يرد عنه تلك المسغبة الطويلة
 التي أنهكته وأوهت قوته .

ووضعت أحمال المطارف والثياب فوق العربة ، وسدت البغال ،
 واستوت الأميرة في مكانها ، ثم هتفت بأوديسيوس فقالت له : « هلم
 أيها النازح الغريب ! إلى المدينة إذن ! إني سأرشدك إلى قصر أبي ،
 حيث تلقاه في جمع من أشرف الفياتيين وسننطلق وسط هذه الحقول ،
 وإن لي معك من أجل هذا لكلمة ... لقد بنيت مدينتنا فوق صخرة
 راسية ، وأحاط بها سور عظيم ، ثم وصل بينها وبين فُرُضتها جسر ضيق
 تقرر على جانبه سفائننا ، رابضة متراسة ؛ ثم ينهض عندها معبد نتيون
 العظيم ، ويجواره سوق المدينة المبني من الحجر الصلد ، حيث تباع حبال
 السعن وشراعها ، وحيث تصنع مجاذيفها وأكثر عتادها — لأن الهياشيين
 لا يعنون بشيء عناية بهم بهذه المنشئات في الحجر كالأعلام — والذي
 أخشاه أن يرانا الناس ثمة فيستهزئوا بنا ، وقد يساقونني بالسنة حداد ،

قائلين في سفاهة وتندر : ترى ؟ من يكون هذا الغريب النجيب الهرقلى
الذى يقص أثر الأميرة ابنة الملك ؟ أى صدفه جمعت شملهما يا ترى ؛
سرعان ما نراها تزف إليه عروساً كاعباً . قد يكون ضيفاً غير محمود من
أرض نائية ؛ أو ربما صادت بصلاتها وتسييحها واحداً من الآلهة أبق
من السماء ليقر فى حضنها إلى الأبد ... الحمد لله الذى من عليها زوج
سعيد من بلاد غربية يشيع أمانها الجاححة بعد أن رفضت الأيدى
الكثيرة التى تقدمت إليها من أبناء الفياشين ... هكذا سيقول الناس
إن رأونا أيها الرجل ، ولهم الحق ، فأنا نفسى لا أعفى من اللأمة فتاة
عذراء تستبىح أن تمشى مكشوفة مع رجل غريب قبيل عرسها ...
ولكن أصغ إلى : إنك واصل حتماً إلى أبى إذا اتبعت نصيحتى ... بعد
قليل سيصل ركبنا إلى حرج أشجار الحور للقدس النامى فى تخوم الطريق
باسم ربة العدالة والحكمة ميئزفاً ... وإن عنده لنبيعاً يترقرق وسط كلاً
وأعشاب ... وإن عنده لحديقة أوى ، الجنة الضحوك المثناف ! قف نمة
حتى إذا دخلنا نحن المدينة وحصلنا فى بيت أبى ، فتقدم أنت وادخل المدينة
واسأل أيا من الناس ، ولو طفلاً يافعاً ، عن قصر ألكينوس الملك ، أبى
الحبيب ، فإنه معروف مشهور لا يضارعه منزل آخر فى سعنه وأبهته ؛
فإذا دخلته فلا تتوان لحظة ، بل سر قُدماً حتى تلقى أمى جالسة لدى
الموقد المتأجج بجانب عمود مصرى ، مكتبة على غزلها الصوفى الموشى بأصباغ
البحر ، ومن حولها وصيفاتها يعاونه فى إنجازها — وقريباً منها ترى أبى
مستوياً على عرشه يطعم ويشرب كأحد آلهة الأولب ... لا تكلمه ...

بل جاوره إلى أمي الرؤوم، ثم سل حاجتك تقضها لك، وتعدك إلى وطنك
 مهما كان سحيقاً نائياً .. أثر في صميمها عامل الخير والمحبة، تردك إلى
 آلك وذويك وبلادك .. وسلام عليك .

ثم إنها ألهمت ظهور البغال فانطلقت تعدو مولية عن النهر الذي صار
 يبتعد قليلاً قليلاً ... وكانت نوزيكاً آخذة بزمامها لتكبح من جماحها،
 حتى لا تفوت أوديسيوس من ورائها .

وكانت الشمس تصبغ بالورس حبين المغرب حينما وصل الركب
 إلى حراج مينرقا المقدس، الذي نهض حوره الباسق في السماء نضراً ملتفاً
 كما يناعى ابنة جوف، المدرعة بإيجيس .
 وهنا ... وقف أوديسيوس يصلى لمينرقا :

« يا ابنة جوف القوى المتعال اسمي لى ! أضيفي الآن ياربة !
 لقد تصاممت عني إذ كانت اللجج تلقفني فراعيني الآن ! اجعلي لى مرفقاً
 من أمرى ، وهي لى محبة ورحمة فى قلوب أبناء الفياشين أنسى بها
 آلامى ... آمين آمين ! .

وابت ربة الحكمة واستجابت لدعائه . بيد أنها ، احتراماً لعمها
 (نيتيون) الذى لا يمتأ يقتنى أثر أوديسيوس عدوه الأكبر ، لم تشأ
 أن تبدوله .

وفرغ أوديسيوس من صلاته ، ووصلت عربة الأميرة إلى القصر
 فلقبها إخوتها الأمراء الخمسة الفجيب ، فخلوا الدواب وحملوا المطارف

والثياب ، وصعدت هي إلى مخدعها حيث كانت خادمتها العجوز الشمطاء
(يوريمدبوسا) تغنى بنار المدفأة .

ولم تكذب يور ترى سيدتها حتى حيت وبئت ، واطلقت نعد لها
وجبة المساء .

. أما أوديسيوس فقد هب من مجلسه ، ويم شطر المدينة ، وقد شرت
حوله مينرفا — صفيته الوفية — ظلالاً وغماماً يحجبه عن أعين الناس
حتى لا يضايقه أحدهم بسؤاله من هو وفيم أقبل ومن أى الأقطار جاء .
بيد أنها لاحت له قبل أن يلج باب المدينة فى هيئة فتاة قروية كاعب
تحمل فوق رأسها جرتها ... ونعمدت أن تعترض طريقه ، فاتهزها فرصة
وزاح يسألها هكذا : « يا بنية ! أسمحين فتدلينى على بيت رب هذه
البلدة ، ألكينوس الكريم ؟ لقد نال منى اللوى وطول السفر ، وحلت
عليكم يا أهل فيشيا الأجاويد ضعيفاً غير معروف ، من بلد سحيق ، فهل
تفعلين ؟ »

وقالت مينرفا — ذات العينين الزبرجديتين — وهى تجيبه :

« حباً أيها الغريب الوقور وكرامة ! سأدلك على بيت ألكينوس
بنفسى ، فهو غير بعيد من بيت أبى ... ولكن لى إليك وصية ...
إصمت ما دمت سائراً ، ولا تحدج أحداً بنظرة ، ولا تكلم من أهل هذا
البلدة لإنسياً ، فقد جبلوا على ازدراء الغرباء وقلة إيلافهم ، وتلقيمهم فى فتور
وبرود طبع ، وقد أحبه نيتيون رب البحار فأذل لهم أعناق الموج

وأسلس لسمعهم أعراف الماء ، فهي تخطر فيه كالطير حين تزيف ، أو
كالملكة حين تخطر في الخلد .

وتهدأت ربة الحكمة بين يديه ، ودلف هو وراءها ؛ ولم تره جموع
المحارة الحاشدة التي كان يسير بينها ، لأن مينرقا ضربت على أعينهم
غشاوة عجيبة حجبتهم عنهم ؛ وكان ينظر بعين الدهش إلى مينائهم وسفائهم
ورحبة السوق التي يأوى إليها أبطالهم ، وإلى تلك القلاع المحدقة بالمدينة
في أبهة وجلال ؛ ثم بلغا بيت الملك ، فقالت مينرقا :

« هالك يا أبتاه القصر الذي سألت أن أدلك عليه . وستلقى فيه
رؤساءنا وأمرأنا أصحاب السمو يولون ويقصفون ، فهم فالتهم بقلب رابط
وجأتس ثابت ، فهم أشد الناس إعجاباً بشجاع جرىء ، وأكرمهم للاجيء
غريب . وستكون الملاسكة أريتنا — سليمة الشرفاء الأجداد آباء الكمينوس
الكبير ، وحفيدة المردة الجبابرة من ذراري نبتيون^(١) — أول من تلقى .
إنها سيدة قومها ، وهي محبوبة مبعجة إلى درجة التقديس من زوجها
وأبنائها ومن جميع الفياشيين ملوك البحار ، الذين طالما تكبكبوا حول
موكبها في شوارع المدينة هاتقين داعين ... إنها تجلس وقوراً كإحدى
ربات الأولب فتغمر بالحبة أبنائها ، وتقضى فيما يشجر بينهم ... لك الله
يا سيدى إن قدر لك فاستطعت لقاءها ... إنها إذن تمنحك برهاً وتسبغ
عليك من بركاها فتعود إلى بلادك راضياً ، وتلقى آلك وخلانك
عزيراً مكرماً »

(١) آثرنا ألا نثبت هنا ما ذكره مصر من أسباب غضة الالال .

ثم غابت ميرا عن الأنظار ، وغادرت أرض شيريا الحبيبة إلى
مرثون — ومن ثمة رفّت رفّة فكانت في أثينا حيث أوت إلى قدسها
الكرّيم إركتيوس .

ودخل أوديسيوس قصر الملك هيباً متخاذلاً ، غارّة في بحر لجى
من الوهم والفكر ، لأنه ما كاد يظأّ بقدمه وصيد الباب الكبير حتى
بهره لألاء شديد خاطف ينبعث من الداخل ، يزيد في شدته ولمعانه
تلك الجدران المصفحة بالنحاس ، زينها إطار من اللآلئ والأررق ،
وتلك الأبواب الهائلة من الذهب الخالص ، والعماد السامة من الفضة
الجلوّة ، تكللها تيجان من النّضار الثمين . وعلى اليمين وعلى الشمال ربضت
كلاب من ذهب ، صنّعة فلّكان ، صنّاع السماء الخالد ، وحالد أند
الدهر كل ما صنعت يدا فلّكان . ثم تلى بعد ذلك ردهة فسيحة
مترامية صُفّت إلى جدرانها كراسى كأنها عروش ، وبّت فوقها نمارق
ذوات أفواف وشعوف ، صنّعة وصيغات القصر ؛ وهنا ... يولم الملك لأمرء
شيريا ... فيقف الولدان في جلايب من ذهب ، وفي يد كل شعلة تسكب
الأضواء من فوق المذبح على جموع الطامعين في كل ليلة ... يا للقصر
... كأنه جنة الخلد ؟ ... إن خمسين من عيد شيريا الرعايب يخدمون
الملك ثمة ، يطحن القمح وينخان الدقيق ، ويندفن الصوف ويعملن على
النّول ... مائسات كأفنان الدوح يداعهن النسيم الخلو ... حاذقات
في الغزل والنسج كأحذق ما يكون بحارة شيريا في عنفوان العاصفة ...
قد ثقفن صناعتهم عن ميرا فافتنن وأبدعن إبداعا . ثم تكون البوابة

الكبرى ، حيث مردوس القصر اليانع ، وجنته دانية القطوف ، ذات
الأسوار المنيعه المحيطة بهذه الأربعة الأفدنة .. للآلهة هذا الدوح قد سبق
في جنباتها ؛ وللآلهة أشجار الرمان المنقلة بأثمارها مفترية عن شفاه الأفاح ،
وحمرة الخجل قد خضبت خدود التماح والكثرى ، وسالت قطرات من
الشهد في ثمرات التين ، وتأنجت أنواراً زاهية في أفنان الزيتون ...
فاكهة شهية جنية لا مقطوعة ولا ممنوعة شتاء وصيفاً ، يانعة أبداً ،
تداعبها أنفاس زفير رب الصبا فتشيع فيها النضج والماء ، كلما قطفت
يد من جناها ثمرة نمت مكانها في الحال ثمرات ، فما تقل آخر الدهر
قطوفها وما تنقص .

وخلال هذه الجنة المثمرة تمتد الكروم ذوات الأعناب والرطب
والعناقيد من نور ، بعضها يعصر فتقطر الخمر منه ، وبعضها يحف على
سوقه فيكون زيباً جنياً .. ثم توشى أطراف الحديقة أحواض من
الزهر المشذب المنسق ، وتتفجر في وسطها عينان نضاحتان ، يترقق الماء
من إحداها كالعين في مسایل هذا الروض ، وتتدفق مياه الأخرى في
نهر صغير ينساب إلى المدينة من تحت عتبة القصر ، فيرتوى الأهلون منه .
ملك كبير وآلاء وامرة أسبغت الآلهة على الكينوس الملك !

وقف أوديسيوس مسبوه الالب ، مشدوه الفسكر ، يردد طرفه في
هذا المنظر العجيب ، ثم أفاق فخطر إلى الداخل ، حيث اجتمع زعماء
المدينة وشيوخها يصبون الخمر باسم هرمز رسول السماء تقدمة وقربانا ،

وصلالة لخاتم أرباب الأولب قبل أن يأروا إلى مضاجعهم . ولم يتلبث عندهم ، بل تقدم في خطى حثيثة برغم إعيائه ، وكانت مبيرقا تحجبه في ظلال كتيفة من أعين الملأ ، حتى وصل إلى حيث الملك والمملكة ، فكشِفَ عنه غطاؤه ، وجثا عند قدمي الملكة يدي شكاته بين دهش الملكين الكريمين وشدة تحيرهما :

« أريتا يا ابنة ركسنور صفي الآلهة ! أتوسل إليك وإلى للمليك العظيم ، وأضيفكم النلاء ، من الله عليهم ، وضاعف لهم آلاءه ، وأنعم على ذراريهم وألف بين قلوبهم وقلوب رعاياهم ، أتوسل إليك يا سليفة المجد صارعاً أن تعطيني عليّ ، وأن تكرمي مشواي ، وأن تعينيني على الرحلة من فوري إلى بلادى التي أتحرق إليها شوقاً ، والتي فصلتني عنها أهوال وأهوال ! » .

وساد سكون عميق وصمت ، وظل البطل المسكين جاثياً عند حافة الموقد المتأجج ، حتى تفجرت شآبيب الرحمة والحنان في قلب إخنويوس ، ابن الملك المكر ، فراحت الكلمة الطيبة تتدفق من فيه الجميل العذب في فصاحة وتبيان ، وحكمة تقليدية ، وخير ، حيث قال :

« حاشا لمجذك أيها الملك أن تدع هذا الغريب جاثياً هكذا في غبار الموقد وفي وهج النار ، وأن تترك أضيفك ينتظرون أمرك ... وما تُكلم منهم أحداً ! ألا نخذ بيد الغريب وأقعده مقعد الندى ، ومُرِ النَّدمان يسقه من كأس جوف كبير الآلهة^(١) ، وحبيب الغرباء وذوي الحاجات ،

(١) هـ الأصل (رب الصواعق) .

والفادل يهيئ له عشاء مما تبقى من وليمة الليلة » .

وما كاد الأمير يفرغ من قوله ، حتى أهص الملك أوديسيوس وأجلسه على كرسى نغم جانب ولده الحبيب الحكيم لأوداماس ... ثم أقبلت إحدي وصيمات القصر فصبت الماء على يديه من إريق فضى ، ثم أحضرت مائدة حافلة بأشهى الأكل وأطيب اللذائذ والأشربات ، فأكل أديسبوس وارتوى ؛ وأمر الملك كبير السقاة بونتوبوس ، فمزج الراح وقدمها إلى الجميع حيث صبوها تقدمة لجوف رب الصواعق وكبير الآلهة ، وحبيب الغرائب ، وحامى ذوى الحاجات ، ثم شربوا بعد ذلك حتى رووا

وقال الملك : « أيها الرؤساء والشيوخ القياتيون كلمة : عفوا الخاطر ، فاسمعوا وعوا ... لقد طعمتم جميعاً وستتفرقون إلى مصاجعكم ، ثم نجتمع عند مطلع الفجر ، نحن ومن لم يحضر من نواب الأمة الأجلاء ، فننظر فى شأن هذا اللاجي الغريب ، بعد أن نضحى للآلهة ... إنه يطلب أن يعود فى حمايتنا إلى وطنه كيما يصل سالماً غامماً من غير أن يمسه أذى ، إلا أن تكون ربات الأقدار قد قصت عليه أمراً ، وإلا أن يكون من أرباب السماء الخالدين . . لقد وصلت بيننا وبين الآلهة وشائج القرى ، وطالما غشيت مجالسنا وشاركت فى ولأتمنا ، وهى تبقى على محبتنا ، فلا تمس بأذى رجلاً منا يضرب فى الأرض ، وليس ما بيننا وبينها أقل مما بيننا وبين السيكلوبس ، أو المردة الجبارة ، وفى ذلك فخارنا وهو آية مجدنا » .

ونهب أوديسيوس الحكيم فقال : « غَفَرًا غَفَرًا أَيُّهَا الْمَلِك ! ما أنا في الآلهة ؟ ! أين لي حلقي السوى ، وكياها السماوى ؟ بل أنا شقى من أبناء هذه الغبراء ، أثقلت كاهله حمولة هائلة من السكوارث والآلام ، حتى لا يعرف الناس من شقى شقاه ، ولا من تحمل مصائبه وأرزاءه ... بلايا صبتها على رأسه الآلهة فصبر وأتاب ... أوه ! أبداً لا أنتهى إذا سردت لكم طرفاً يسيراً منها ! ولكن لاداعى الآن ... أرحوكم ... أتوسل إليكم . دعوى أتبلغ بهذه اللقيات في هذه اللحظة الحائلة من الراحة التى لم أنعم بمثلها منذ بعيد . لشد ما يصرخ الجوع فى أذن الجوعان ، ولشد ما يعذبه الطوى ! إيه يلح عليه بكل صنوف الألم ، حتى ينسيه آلامه وأشجانه . إن له شهية عالية الصخب تطلب العون فى جوار وجنون ، حتى ليضيع فى ضجيجها هتاف جميع الآلام ، إلى أن تكتفى . عفواً أيها السادة ! إني أفتأ أضرع إليكم أن تيسروا لى عوداً أأخذ ، وأوبة سالمة ، بعد طول العناء ، والشقاء الذى ليس بعده شقاء ؛ إنه لأحب إلى من أن أودع الحياة بعد نظرة واحدة أتزودها من أهلى ووطنى . »

وتأثر القوم من أجله فأنشؤا عليه ، واتفقت آراؤهم على معاونته حتى يعود إلى بلاده ويلقى ذويه ثم مهضوا فصبوا خمر الصلاة باسم الآلهة ، وشربوا نخب رب الدار ، ثم تفرقوا إلى منازلهم ، إلا أوديسيوس ، فقد ظل جالساً ساهماً واجماً ، كما ظل الملسكان إلى جانبه ساهمين واجمين ، والفندل فيما بين ذلك يحملون أطباق المائدة وأكوابها ، حتى إذا فرغوا

أخذت الملكة تتحدث إلى أوديسيوس ، وقد لفت نظرها هذا التوب
الفضفاض الذى كان يلتفع به :

« والآن جاءت يوبقى فى التحدث إليك أيهذا الغريب الكريم ،
من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟ وأنى لك هذا الصدار وذاك الدثار ؟ ألسنت
قد قلت إنك غريب نازح أفلتقت المنايا فى لجج البحار ؟ » .
وفال أوديسيوس يجيب أريتا :

« أيها الملكة ! قد لا أفرغ من الحديث إذا حاولت أن أسرد
قصتى بحذافيرها ! بل ليس أشق على من ذلك ، فقد كرثنتى الآلهة -
بكل أنواع الموم وصنوف الآلام ، بيد أننى ألم بمأساتى الحزنة فى كلمات
فأقول : « فى أوجيجيا — إحدى الجزر القاصية التى لم تطأها قلى قدم
بشر ولم يخطر بها إله — تقيم عروس الماء المفتان — كليسو — البارعة
الرائعة الصناع ، ابنة أطلس الجبار التى قدر على أن أكون أول لاجئ
إلى جزيرتها بعد أن سلط خوف صواعقه على سفينتي فشطرها وأغرق
كل رجالى ، وظللت أنا متشبثاً بالسارية ليالى وأياما ، حتى دفعتنى للمقادير
فى الليلة العاشرة إلى ساحل الجزيرة حيث آوتى كليسو الجميلة الريانة ،
وأنقذتنى من موة أكيدة ، وأطعمتنى وأكرمت مشواى — ثم عرضت
أن تهبنى الحياة الخالدة والشباب الأبدى ، لو لا أننى تأبيت ... ثم أقمت
عندها سبع سنوات لم يرقأ طولها دمي الذى نضحت به أثوابى وماحلت
على من دثار ... وفى الثامنة أرسل إليها خوف كبير الآلهة من يأمرها
بإطلاق سراحى ، فأبحرت على رمث زودته بالأطايب والأذخار ،

والأشربات والآكال ؛ ثم أرسلت بين يدي ريحاً رخاء ما انفكت
تجرى في عاب من بعده عباب ، طيلة سبعة عشر يوماً .. وفي الثامن
عشر لاحت قم جبالكم الشم فخفق قلبي فرحاً ... بيد أنه كان أملاً
خُلِباً لم يطل أمده . . فقد أبى ننيون الجبار إلا أن يقف بسبيلي ،
وإلا أن يرسل ريحاً معاكسة تثير الموج وتهيج اللج ، وتمزق ما التأم
منى ومن فلكي الصغير — الذي كان كل أملى ... ولم يعدد من أن
أكافح الماء ، وأذرع اليم بالسباحة ، حتى تصارت الريح والج ، فخذفاني
إلى ساحلكم ذي النوى . . ولم أحتمل صدمة الصخور ، فضحني
السيل الرابي إلى الأعماق كرة ثانية ... وشرعت أكافح مرة أخرى ،
حتى ثرتني موجة مزودة في نهر وديع متطامن ... فسبحت إلى إحدى
عدوتيه ، واستلقيت على الشاطئ ، خفق الأحشاء مهوك القوى ... وأقبل
الليل فتهاكت على نفسي إلى دغيلة مهدتها بعسايليج وشيء من القش
وفروع الشجر ، ونمت ليلاً طويلاً وضحوة متعبة وظهيرة كلها نصب
وإعياء ... ثم أيقظتني صيحات قريبة مرنة ، فإذا ابنتكم الأميرة الحبيبة
الحسان في ررب من أتراسها يتلاعبن كربات الأوب على رمال
الشاطئ ... وجثوت تحت قدميها ، وما زلت بها أتملق شباهها الغض
بدعوات معسولات ، وأثير نخوة صباها العينان حتى أمرت لي بطعام
شهي وخمر معتقة ، وأشارت إلى منعطف فتوجهت إليه فغسلت ما على
جسمي من خبث ، ثم منحتني هذا الصدار وذاك الدثار ...

تلك قصتي أسردها عن قلب محزون ... ما فيها إثارة من مَين .

قال الملك : « لشد ما أخطأت بنيتي إذ لم تصحبك إلى هنا في جملة حشمها ما دمت قد رجوتها في ذلك أول الأمر » .

وقال أوديسيوس يجيبه : « إنها لم تخطئ أيها الملك الكريم وما عليها من ملام . لقد كلمتني في مثل ذلك فأبيت لأني خفت أن يسوءك ذلك منها ومنى ، ولأني أعلم أن الناس في كل مكان ظنانون قوالون » .

فقال الملك : « كلا أيها السيد ، إن صدرى لا يحمل مثل ذلك القلب النزق . إن الرصانة والأناة أفضل ميزات الخلق الكريم ...

تالله يا بنى إني لأوثرك كولدى ، وبودى لو قبلت فصهرت إلى وتزوجت ابنتى ، وعشت معنا كواحد منا .. وإني — إن رضيت — لمقطعك الأقطاع الشاسعة وماحك المنزل الرحب . هذا وليس في فياشيا كلها من يجسر أن يقسرك على شيء تأباه نفسك . معاذ الله يا بنى .. إن هذا إلا عرض ... مجرد عرض منى لما أنسته فيك من سمو ورجاحة ونبيل ...

فإن لم يرقك أن تفعل ، فإنى مُعدُّ لك أسباب عودتك غداً ، وستفنام ملء عينيك بينما يكون الفلك ينهب اليم ويطوى العباب ، منسرباً فوق الموج بقوة الأذرع الفتية التي تعمل في المجاذيف حتى تصل إلى وطنك سالماً غامماً ، بل حتى تصل إلى أبعد منه ، ولو إلى ما وراء أيوبيا أبعد الجزائر منا ، حيث يحمل بحارتنا ردمنتوس^(١) ذا الشعر الذهبي لزيارة تتيوس^(٢) جبار الأرض ... إنهم يبحرون به إلى هذه الجزيرة ويعودون

(١) بن ريوس من زوجته أوربا وقاصى العدالة فى الدار الآخرة هيدز

« جبر » .

(٢) أحد مرده طار طاروس ويفطى جسمه مساحة تسعة أودنة (حربر) .

فى يوم فى غير عناء أو إعياء ، وستعرف سبب فخارى بسفائنى وبجارتى
الذين يذرعون البحار ويضربون أكبادها حين يبحرون بك .
وشاع البشر فى أسارى أوديسيوس ذى التجاريب فقال : « أيتها
الأب الخالد ! الله محامدك الفر ! أنجز يا مولاي يسر ذكرك فى البلاد ،
وألق أهلى وأنشق نسمة من وطنى » .

وهكذا تشقق الحديث بينهما ..
ثم أمرت الملكة بعض وصيفات القصر فأعدن فراشاً وثيراً فى
الرواق ذى الأعمدة ، وهيأنه بوسائد من دمشق ، وبثن فوقه الأرائك
والحشايا ، وعلقن الستائر والأسجاف ، ووضعن البرانس^(١) واللحف ...
وكانت كل منهن تحمل شعلة كبيرة تتوهج فى جوانب القصر ... حتى
إذا فرغن من كل شئ ، دعون أوديسيوس فى أدب وظرف أن ينهض
لينام ... وغما بطل هيلاس ... وأسلم عينيه لأحلام سعيدة .
ونهض الملك والملكة لينعما بطيب المنام .

حفلى أولمبي

وصبغت أورورا بمثل حمرة الخجل وجنات المشرقين ، فاستيقظ
الملك ، وهب أوديسيوس من نومه ؛ وذهب إلى الشاطئ حيث تلقى
السفن مراسيها ... وهناك ... فوق مقعد حجري أجلس ، جالسا يتحدثان ؛

(١) البرانس بمناه العروف عربى نصيح

بينما كانت مينرفا تدق البشائر في سوارع المدينة ، وقد بدت في صورة منادى الملك وطيلسانه ، تدعو سادات الفياشين وشيوخهم إلى مجلس الملك ، للنظر في أمر هذا الغريب الكريم اللاجئ الذي حل عليه ضيفاً . « كأحد آلهة الأولمب ، رغم ضربه الطويل في عرض البحار » .

وازدحم سادات المدينة وأشياخها في قاعة المجلس ، وكانوا يقلبون في أوديسيوس نظرات الإعجاب والدهش ، وكيف لا ؟ وهذى مينرفا قد أضفت على صدره الرحب وكتفيه العظيمتين ، وجسمه الساق ، رواء علوياً من الأبهة والجلال ، كان ينعكس وقاراً ورهبة في قلوب الفياشين . ولما انتظم عقد القوم نهض ألكينوس الملك ، فقال : ياسادة الفياشين وشيوخ الأمة ، كلمة مرتجلة ، فاسمعوا وعوا : لقد حل هذا الصيف الكريم الذي لا أذكر اسمه في بئى بعد أن شرق في آفاق العالم وغرب ؛ وإنه ليرجو أن تمدوا له يد المعونة فيعود أدراجه إلى بلاده في كنفكم سالماً ، إذ ظالما كان هذا دأبكم ، إكرام الضيف ، والإحسان إلى الغرباء اللاجئين ، وردهم إلى ديارهم مهما كانت سحيفة آمين ... فالبدار إذن ... هلموا إلى سفائنكم فتخيروا أحسنها حالا ، وأصلحها لمجالة هذا البحر ، ولتعدوا لها نخبة ذوى بأس من أصلب فتيانكم عوداً وأشدهم مراساً ... إننين وخمسين عدداً من أينع زهرات شباب هذه الأمة ... ثم تعالوا إلى فاني مولم لكم تحية لهذا الضيف ، فلا يتأخر منكم أحد أبداً ... وليحضر معكم أحب المنشدين دمودوكوس الإلهي ، صاحب

الألحان الخالدة ، والصوت السماوي الساحر ، فليشغف آذاننا بحلو أنغامه
التي لا يقدر عليها إلا هو . »

وانصرف الملك وفي إثره شيوخ الفياشيين ، وانطلق رسول إلى منزل
المنشد دمودوكوس الإلهي ... واختيرت النخبة ذات البأس من شباب
الملاحين ، وأعدت السفينة في مكانها الأمين من اليم ، فقصبت القلاع
ونشر الشراع وصفت المحاديف ... ثم مضى الجميع إلى بيت الملك ،
حيث كانت الجواهر الحاشدة تكظ الأشاء ، وتزدحم في الدهالير ،
وتملأ الصالة الكبرى ... وجيء بالدبائح ... فهذان ثوران كبيران ذوا
خوار ... وهذى اثنتا عشرة شاة سمينة ، وتلك أربعة حناريير كنار^(١)
ما كادت تذبح. وتنتزع أنيابها حتى أخذ الجميع مما أقبلوا له من طعام
وشراب ... ثم أقبل منادى الملك يقود المنشد الإلهي الأعشى ، رخيم
الصوت ، صفي ربات الفنون ، اللاتي عدلان له بقسطين من خير ومن شر
سواء ، فوهبته التطريب المعجز ، وسلبته النور من عينيه العزيزتين ...
وأقيم له عرش مُمرد في وسط الصالة الكبرى ، عند عمود مرمرى عظيم ،
فاستوى عليه ، وأعلمه بونتونوس بمكان قيثارته المعلقة فوق رأسه ،
ووضع بين يديه سلة من طعام ومزة^(٢) .

وما كادوا يفرغون من آكلهم حتى رقصت عرائس الفنون في فم
المنشد المطرب ، فأرسل غناء سحر ألباب الناس ، وورق بها إلى أنثير الآلهة
في قبة السماء ... لقد تغنى هذه الأغنية التي تنظم النزاع الذي شجر بين

(١) تكرار جمع مفردة مثله كثيرة اللحم والشحم .

(٢) غر لذيذة الطعام .

أحيل بن إليوس ، وبين أوديسيوس بن ليرتيس أنشاء الوليمة الإلهية ،
والذى جاءت به نبوءة أبوللو (فى دلفوس) حينما استوحاه أجاممنون عن
يوم سقوط طروادة فى أيدي اليونانيين .

وسكت المغنى ، ودفن أوديسيوس وجهه الساهم فى ذيل ثوبه
الأرجوانى الفصفاض حشية أن يلحظه أحد... وطقق يبكى... ويستخرط
فى البكاء ، ثم كشف عن جبينه ، وسقى الثرى كأساً من خمر صلاة
للآلهة ... ثم عاد إلى بكانه حينما وصل المطرب غناؤه ، وكان يرسل
عبراته فى كسانه غير ملحوظ من أحد إلا من أسكينوس ، الذى عز
عليه ما رأى وما سمع من عبرات ضيفه ، ومن تهدياته ، فقال : « حسبنا
يا سادة ما طعمنا وما سمعنا ... هلموا جميعاً نشهد الصيف الكريم بعض
العابنا ليدكر فى العالمين أن الفياشيين خير من يحرق ومن يشب ، وأمر
الخاص فى الأسك والمصارعة ! » .

ونفض الملك ، ونفض فى إثره كل أضيافه ، وتقدم للننادى فقاد
دمودوكوس ، وقصد الجميع إلى ساحة السوق الكبرى ، حيث احتشدت
كواكب الشجعان والشباب اليافع من ذوى القوة والفتوة والبأس الشديد ،
أنوا من كل حذب لهذا الحفل المشهود ... وفى وسط الحلبة وقف الأبطال
آكرون وأوكيال وإلاتريوس ونوت وپرمنيوس ؛ ثم وقف خلفهم
الأبطال أنخيال وأنايسين وإرتميس ويونت وپرور وأمفيال وتون ...
ثم نهض حليف مارس المهوب يور يالوس ، ثم نخر شباب الفياشيين

نوبوليد . وقف كل هؤلاء ... ثم هب أبناء الملك الثلاثة ... لوداماس ولده البكر ، ثم هاليوس ، ثم كليتون الأصغر ، وشارك امر من أولاء في سباق الجرى ، فأخذوا أهبتهم ، ثم انطلقوا يشيرون التراب في أثر كليتون . ابن الملك — الذى شأهم^(١) جميعاً ، وتركهم يتعثرون وراءه كما تعثر الثيران في إثر البغال .. وتلقاهم النظارة بالهتاف العالى والتصفيق الشديد ، ثم كانت المصارعة التى برّز فيها يوريالوس على كل أقرانه ، كما برّز أمفيال فى الوثب الطويل ، والأتريوس فى قذف القرص ... أما فى الملاكمة فقد تفوق لوداما النبيل ابن ملك شيريا ، وكان فوزه مسك ختام المباريات ؛ ثم نهض لوداماس فقال :

والآن أيها الأصدقاء نسأل ضيفنا الكريم إذا كان يحذق شيئاً يفخر به من هذه الألعاب ؟ ! إنه لا يزال غريبض الشباب ، بادی الفتوة ، مكتنر العصلات ، عظيم مُنة الساقين والفخذين ، مفتول الساعدين ، وإن له لعنقاً أى عنق ... كل ذلك بالرغم من بدوات الضنى وأمارات العناء ، وما حطم البحر من جسمه الخصب ، وهل أهلك لجسوم الرجال من أجبال العباب ؟ ! » .

وكانما راقّت هذه الكلمات البطل يوريالوس فطلب إلى لوداماس أن يدعو الضيف إلى النزال ، فنهض لوداماس ثانية وقال : « هلم أيها الضيف فأرنا هل تجيد من هذه الألعاب شيئاً ؟ إنه ما استحق أن يعيش من لم يعمل بيديه ويسع بساقيه ... هلم ؟ حاول إذن ! فم احترازك

هكذا ؟ إنا لن نؤخرك قط ، فالسفينه معدة والملاحون على أهبة .
 وقال أوديسيوس يجيبه : « أتتخذنى هُزُواً حين تدعونى للعب
 بالوداماس ؟ ! أى لهو وأى لعب وأنا نضو أسقام وطريح آلام ، لا أمل
 له إلا أن يعود إلى بلاده ، وفى ذلك ما يضرع للملك وللناس ! » .
 وهبّ يوبالوس بصيّد^(١) ويقول : « كلا أيها الصديق ... إنى عذيرك ،
 مسميك لا تنبىء عن رجل رياضى ، بل أكبر الظن أنك من رجال الأعمال
 أو حفظة الخازن ... أو ... إن لم يحب حدى ... من أدلاء السفن فى
 النغور ؛ ومن يدرى ؟ فقد تكون عياراً أو قرصاناً !! » .

وعبس أوديسيوس وبسر ، وانتشرت فوق جبينه ظلمات من الهم ،
 وتهدج صوته فقال : « إلك لم تحسن كيف تتكلم أيها السيد ، وإنك لم
 تبال أن تطلق فى اسانك بهجر القول كأننى رجل لا اعتبار لى ... على
 أن الآلهة — جئت وعلت — لم يتفق أن منحت أحداً من العالمين كل
 آلائها فى وقتٍ معاً ... بساطة الجسم ورجاحة العقل وقوة البيان ...
 فقد يلوح لك هذا الرجل مُهدّماً محطاً فى حين قد وهبه جوف بياناً متيناً
 ولساناً مبيناً حتى ليخلب ألباب سامعيه ، وحتى ليرتفع فى نفوسهم إلى
 مصاف الآلهة ... وقد تنظر إلى ذاك الرجل كأنما تتدفق فى عسلاته قوى
 السماء وهو لا يحسن أن يقول كلمة .. مثلك ... مثلك تماماً ... فلقد
 أوتيت بسطة فى الجسم ، حتى لتوشك فى ذلك أن تكون مثلاً تقيس
 عليه الآلهة ، إذا أرادت أن تخلق مارداً جباراً . ولسانك - وأسفاه ! -

لم تؤت بياناً ولا حكمة ! فلقد أثرت ثأرى بكلماتك الغلاظ .. العجاف !
 إني — أيها السيد — كما ذكرت — لا أحسن من هذه الألعاب قليلاً
 ولا كثيراً .. ولكي كنت فتاها وفارس حلبتها أيام كنت شاباً يافعاً
 غص الإهاب ريان الشباب .. أما أنا الآن ! فواأسعاه ! ! إن حدثان
 الزمان لم يُبق مني .. ولا على ! لقد ذبل شبابي في نقع الحروب وسوح
 الوغى .. وفي هذا البحر اللجى يفشاه موج من خلفه موج .. كالجبال ..
 بيد أنني .. على الرغم مما ينقض ظهري من ويلات ، سأثنت في سجل
 شجاعتكم قوتي ! فإن لما هرقت به من قول السوء لأنياباً تعضني وتمشني ..
 أو أدل على قوتي وجبروني ... » .

وكان إلى جانبه قرص القذف الذي يستعمله أبطال الفياشيين في
 مبارياتهم فانقض عليه واحتمله بيده القوية المقتولة ثم دفعه دفعة هائلة
 كان لها هزيم وقصف ، واستهولها بحارة الفياشيين الشجعان فقصوا
 رؤوسهم حتى استقرت بعيداً خلفهم ... وهنا بدت ميزفا بين اللأ في
 صورة أحدهم ، وهبت عجلانة تقيس مدى القذبة ، ثم قالت : « ألا أيهذا
 الغريب ! الأعمى نفسه لا ينكر برهائك الدامغ القوى ! إنه مدى
 لا يستطيعه أحد غيرك ، فتته على هؤلاء الفياشيين ! إن منهم من لا يستطيع
 أن يباريك في أي من هذه الألعاب فادعهم إليك وما عليك من بأس » .
 وشاعت الكبرياء في نفس أوديسيوس حين سمع هذا الهاتف من صميم
 الفياشيين يطربه ويثنى عليه وينصب من نفسه قاضياً له ، فقال ، وقد
 انكسرت حدة غضبه :

« هلموا أيها الشباب فاقدفوا هذه القذفة ، أقذف أبعدها وقرص
أكبر ورنًا !! هلموا !! ليأت أقوى ملاكميكم فإني له ! وليقف أضرى
مصارعيكم فأنا أخوه ! وليجر معي أسرع عدائيكم فإن يباحق غباري !
لقد هبتم ثأري فهلموا ! إني أتحداكم جميعاً إلا لوداماس فإنه مضيق
وصاحب قرأى ، وليس لي أن أنارل من أكرم متواى في دار عرأتي ؛
وليس من البرق ما يحملني على شيء من ذلك ... أما غيره فأنا له ، وسيعلم
منازلي هما يكن مبلغ قواي ... إنه ليس من ألعاب الناس ما يعجزني ...
فأنارب القوس ، وطالما صرعت الألوف من الأعداء تحت أسوار
طروادة ، وأنا ما رمي أحد سهماً كما رميت إلا فيلكتيتس يوم حاز
قصب سبيها دوني . على أنه من ؟؟ إني لم أبلغ من الحول بعض ما بلغ
هرقل أو يوريتوس الذي نفس عليه أبولو مهارته في الرماية فقتله ...
هذا . وإلى الرمح السمهرى ، فإني أبلغ به المدى الذى لا تدلخه سهامكم !!
على أنني لا أطمع أن أبلغ خفتكم ورشاقة حركاتكم — ولقد قاسيت من
الأرراء ما قسم ظهري ، وصارعت موج هذا الخضم حتى حطمتني وأوهبني ،
ولقيت من الطوى ما راى !! » .

وصمت العياشيون ولم يندسوا . ثم تكلم الملك فقال : « عمرك الآلهة أيهدا
النازح الكريم لقد جلبت في آذاننا كلماتك ، فدادت على شجاعة
وعنفوان ، وأفحمت هذا الشاب الذى حرح عزتك وأهان كبرياءك أمام
الجميع ، ثم سكت عن تهديك ... ولكن تعال فانظر إلى ما نريك من
ضروب الخفة وفنون الرقص وفنون الغناء والسبق في العدو » ومهارتنا

التاعس ... قلـكان .. الذى استـطير وثار ثائرته ، فراح يصنع أنشـوطة
كبيرة كالشـرك من حلق الحديد المفرغ الذى لا يقوى عليه أحد ، حتى
إذا فرغ منها حملها إلى داره ودسها حول سريره ثم ألم بالمنـعرج النـجس
حيث أوى مارس إلى قينوس — الزوجة الآثمة — وكان مارس يـفـالـب
فى عينيه أخريات غفوة الضحى ، فلمـح قلـكان يطوى الرـحـب إلى أرض
لمنوس — أحب المدائن إلى قلب الإله الحداد . وطرب مارس أيما
طرب ... وأيقظ معشوقته قائلاً : « هلمى قينوس . انهضى أيتها الحبيبة
لقد ذهب زوجك إلى لمنوس أرض البرارة ... هلمى إلى البيت ...
إلى السرير الدافئ ... إلى الحب ... إلى نعيم الهوى !! » وهبت
قينوس ... وانطلق الأيمان إلى سرير فلـكان ، وفى قلب مارس غلة ،
وملء جوانحه غواية وإثم ... وفى دمه شبق إلى هذه الفاكهة يكاد يقتله ...
ولكن ... وأأسفاه ! إنهما ما كادا ينطرحان فوق الفراش الوثير حتى
انـطـرحت فوقهما الأنشطة الهائلة .. وأمسكت بهما إمساكاً شديداً ...
لم يجدا منه حولا ، ولم يجدا منه تخلصاً ... وكان أبوللو يرقبهما كذلك ،
وقد حدث قلـكان بما رأى ... فعاد الإله الحداد على عجل ، ولم يكن
قد بلغ شطآن لمنوس بعد ... وكان قلبه يدق ... لا ... بل كان قلبه
يكاد ينـمـلـع فوق فى البهو الكبير ثم أرسل صيحة مدوية يستصرخ
بها الآلهة : يا جوف العظيم ! يا آلهة الخلود جميعاً ! أنظروا ! إشهدوا كيف
تفضح قينوس زوجها مع عشيقها الفاجر مارس ! وإلهة ؟ لأنه وسيم قسيم
قوى ولأننى محطم موهون اذنب من ؟ إنهم — أجريرة من أنسلوني

وجاؤوا بى إلى الحياة ! أنظروا كيف يتمرغ الأحبثان الأفسقان فوق فراشى ! لقد ثلجت مشاعرها فهما لا يباليان أن يأكلنى الغيظ أو يقتلنى الحنق . ولكن لا ... حسبهما هذا الشرك الذى لن يفلتها حتى يرى جوف فيهما رأيه . جوف الكبير المتعال ... والدقيئوس ! الذى أطلب إليه أن يرد إلى قناطير الهدايا الزوجية التى قدمتها باسم ابنته العاهرة كشرط لإطلاق سراحها ! » .

ولم يكذب مرع من صرخته حتى اجتمع فى بيت جوف ذى الأرض النحاسية جميع الآلهة .. وكان أول من أقبل نبتيون رب البحار ، ثم تلاه هرمز رسول الآلهة وصاحب القوس ، ثم أبوللو .. ثم غيرهم وغيرهم ... ولم يحضر من ربات الأولب واحدة ! فقد احتجزهن الخجل عن شهود هذه الفضيحة ! ثم هاهم الآلهة يقهقهون ويضحكون ... ويتلهون بهذا المنظر العجيب ، ويقول بعضهم لبعض : « يا اللأثم ساق إلى أوحى . واقب ! ويا للأعرج الأكسح ، بشأى ^(١) السَّبَّاقَ المجلى !! لقد استقطع فلـ كان أن يمسك بتلابيب مارس ، الذى هو من هو ... ! مارس ! أسرع القدَّائين ! إن عليه أن يؤدى الغرامة الفادحة للاله الأعرج ... » ثم خاطب أبوللو — رب الشعاع الوضاء — هرمز فقال : « يا ابن جوف ، يا رسول السماء ، ألك فى هذه الغفوة الخاوة فى حضن فينوس ، على أن تقع معها فى هذا الشرك ؟ » وأجابه هرمز عابساً : « يا رب الرماة ! بنفسى بنفسى !! منذ الذى يأتى حضن فينوس فى شرك هو ثلاثة أضعاف هذا الشرك ، على أن

(١) يسبقه ويسبقه .

يرمقه سكان الأرض والسماء ؟ ! » : وتصاحك سكان السماء ، ولكن
 نيقيون الذى ساءته هذه الحال خاطب ملكان فقال : « هلم فلان كان ففك
 هذه السلاسل والأغلال ، وإني رعيم لك ، كغفيل أنه ، مؤد إليك كل
 ما تعرض عليه من غريم ! » . ورخص فلان أن يطلق فريسته ...
 « لأنه من يصمن ألا يطلق مارس وهو لا يلوى على شيء ، غير عالى ،
 بكل ما عساه أن يعد ؟ » . وقال رب المحار : « ليطمئن قلبك يا فلان كان
 فوعرتى وجلالى لأننى لم يف مارس لأنجزن أنا ، ولأؤدين عنه غرامته !! » .
 فأجاب رب الحديد الصماع : « إذن ، فلن يخيب رجاؤك ، ولن يرد
 طلبك ! » وتقدم ففك الأغلال عن العاشقين العاشقين ، وانطلق مارس
 إلى مأواه بأرض تراقيه ، وانطلقت فينوس إلى مرتعها الجميل بأرض
 بافيا — حيث تلقاها ربر من أترابها بالبشر والترحات ، ففسلنها ،
 وضمخها بالطيوب القدسية ، وأسطن عليها شغوف الصبا وأردية الشباب .



وفرغ دومودوكوس من إنشاده بين تأثر أوديسيوس وتلهف البحارة
 الفياتيين ، ثم أوما الملك إلى أنماثة فوثنوا وسط الساحة ، وأخذوا يرقصون
 فى حفة ، ويتقاذفون كرة غالية من صنع بوليب ، فكان أحدهم يرسلها
 عالية حتى تدنو من السحب ، فيثب الآخر فيلتقطها وهو معلق فى الهواء ،
 ثم يتقاذفها أحدهم بعد الآخر ، بين تهليل الفتیان وتصميةهم الشديد .
 وسر أوديسيوس ممبا أبداه أبناء الملك فى الرقص ، وأننى عليهم لأبيهم ،
 ورجاء فى الذى رجاء فيه من تهيمئة عودته ، فتوجه الملك إلى زعماء شعبه

وقال : « يا زعماء الفياشيين وأشياخ الأمة ! حرى بنا أن نكرم مثنوى هذا الضيف الذى بدا لكم من وقاره وحكمته وأثير أرومته الشيء الكثير ؛ هلموا إذن ... إنكم إثناعشر زعيما ، وأنا الثالث عشر ... فليحضر كل منكم بدرة من الذهب ومصدرا مُمَوَّفا فتسكون من الجميع هدية سنية له ... أما يوريالوس فعليه هدية كذلك ، وعليه أن يعتذر مما فاه به . ووافق الكل على ما اقترح الملك ، وأرسلوا رسالهم يحضرون البدر والضدّر ؛ ثم نهض يوريالوس يعتذر ويقدم لأوديسيوس سيفاً جزاراً له مقبض من فضة ، وقراب مطعم بالعاج ؛ ودعا له أن تكلاؤه الآلهة بعين الرعاية حتى يرى زوجه وولده وبلاده ، بعد كل الذى احتمل من عناء وبصب . وتقبل أوديسيوس الهدية ، ودعا لصاحبه بحياة الأمن والسلم والرفاهية . ثم علق الجزار فوق كاهله الصخم .

ووصلت الهدايا الأخرى مع غروب الشمس ، فنهض أبناء الملك يتسلمونها ، ويحملونها إلى داخل القصر ، حيث أمهم أريتا الملكة ... ونهض الملك فتوجه إلى الداخل كذلك ، وسأل الملكة أن تحضر ثوباً وأكسية ، وأن تعد صندوقاً يتسع لهدايا الزعماء ، ملوك البحر ، التى خلعوها على الضيف ؛ وقدم هو هديته ... كأسه الخاصة من الذهب الخالص ، المحلاة بأبهج الطarf وأبهى التصاوير ... « لئذ كرى بها ، كلما أفرغ منها الخمر تقدمه للآلهة » . وسألها أن تعد للرجل حماماً ينعشه ، وأن تعطيه الأثواب والأكسية كيما يتدثر بها .

وأمرت الملكة خدمها فأعدن الحمام ، وأحضرت هى ثوباً فضفاضاً

فوضعت فيه بدر الذهب وكأس الملك وسائر الهدايا ؛ ثم تلفتت إلى أوديسيوس فقالت له : « والآن أيها السيد هلم ففلق هذا الصندوق فهو لك ، لتكون آمناً عليه إذا غفوت في السعينة » . وليي أوديسيوس ، وأغلق الصندوق ثم ربطه بحبل طويل عقده تعقيداً . ثم دعت ربة البيت إلى حمامه ؛ ولله كم ألفت عيناه حين رأى الثوب الديباجي العظيم ، الذي لم يلبس مثله منذ فارق كليسيو ... ثم اغتسل وتدثر ، وتضخ بأحسن الطيوب ، وبرر كأحد آلهة الأولمپ ... وبينما هو يطوى الأبهاء إذا صوت جميل ذرغنة يهتف به .. وإذا هي الأميرة الفينانة — نوزيكا — واقفة خلف عمود وهي تقول : « س . س . س .. أيها الغريب النازح ادكرني دائماً ، أنا ، أول من لقيك هنا !! » وتبسم أوديسيوس وقال : « نوزيكا !! أنت ؟ ابنة أكرم الملوك ألكينوس ؟ ! لك الله الألو حق جوف رب الصواعق لو صحت الأحلام ووصلت سالماً إلى بلادى لظالت آخر الدهر أعبدك عبادة أيها الجميلة العذراء كما أعبد الآلهة أربابى ! » . وبلغ مجلس الملك فاستوى إلى كرسى بجواره ، واجتمع الفياشيون مرة أخرى ، ودارت الأقداح ، وأجلس المطرب الأعمى الإلهى ، فخر شيرا ، قريباً من العرش ، وقدم إليه أوديسيوس جزءاً من شواء حمله أحد النذلل ، فأقبل عليه المطرب حتى اغتذى ؛ ثم توجه إليه أوديسيوس بالحديث فقال : « كم أنت جدير بالثناء يا دومودوكوس ، بل أنت أولى به من أكثر الناس ! ليت شعرى ! هل ثققت موسيقاك عن عرائس الفنون ، أم أنت قد حذقتها على أبوللون نفسه ؟ لقد أنشدت ما كان من جيش الآخيين كأنك كنت شاهد عيان ، أو

كأن شاهد عيان قد قصه عليك ! أنشد لعمر كأتحدث عن الحصان الهولة
 الذى صنعه إيموس بإرتداد مينرقا ، والذى حمله أوديسيوس الجبار هو
 وصحبه إلى قلاع طروادة ، ثم احتبأ هو وهم فيه ، فكانوا أول حراب
 اليوم ! ! نعن ! إني سوف أحمل اسمك فأنشره فى الآفاق أيها المطرب
 المعجز الذى لا يماريه إلا عازف موسيقى السماء ، أبوللو ! تقدس اسمه » .
 وتبرل أبوللو على لسان المنشد فراح يقص الوقائع الطروادية مذكورق اليونانيون
 معسكرهم ، وبعد إقلاعهم من شطآن اليوم ، وذلك الانقسام فى الرأى بين
 الطرواديين بسبب الحصان الهولة أيقصمون ظهره أم يدقون عنقه أم يحفظونه
 تذكراً لهذه الحرب وبصاً للآله ... على كل حال لقد نقلوا الحصان داخل
 أسوارهم ليكون القاضى عليهم من فيه من هزم النخبة أبلى القوة من أبطال
 الإغريق ... وهكذا قدر عليهم فى الأزل أن يهدموا قريتهم بأيديهم ...
 تغنى الشاعر المقتن بكل هذا ، وأثنى أيمائنا على أوديسيوس الذى كان
 يكر كأنه مارس ، ومنلوس الذى كان يفر كالصاعمة ، وعلى بقية
 الأبطال الصناديد الذين فازوا بالنصر فى ظل باللا — مينرقا — رة
 الحكمة . وكان أوديسيوس ينصت إلى غناء المطرب وإنشاده ، ودموعه
 تنحدر غزيرة على خديه ، والآهات العميقة تشق صدره شقاً . كأنها
 آهات تلك الأم الرؤوم التى وقعت فوق جثمان زوجها الباسل تنكيه
 وتنميه ، وقد سقط فى الحومة يدفع عن مدينته أعداءها ، وقد وقف من
 خلفها أبناؤها خضراً يتامى كأفراخ القطا . ثم يقبل الأعداء فيخمدون

أنفاس هذه الأم بضربة لازبة ، فتنظر مرة إلى زوجها القتيل ، ومرة
إلى أبنائها التاعسين ! كذلك كان أوديسيوس ، وكذلك كان يخفى دموعه
في طرف ردائه فلا يراها أحد إلا ألكينوس الملك الجالس قريباً منه ..
وقال الملك متحدناً إلى رعاياه : « أيها الزعماء والأشياخ العياشيون ، أولى
المنشد ثم أولى أن يهرغ من إنشاده ، فلقد تصدع قلب ضيفكم ووهنت روحه
مما يسمع من هذا القصص الحزين ! لقد أحببناه كأخ ، ووهننا له محبتنا
وودنا وصافى أحوتنا لا يحزن أو يأسى .. والآن ! هل يسمح ضيفنا
فيذكر لنا اسمه الذي يعرفه به آله ويدعونه به ؟ لقد كنتم هذا عنا ، فهل
ولد أحد ولم يحمل اسماً ؟ من أنت أيها العزيز ، وما ولدك ؟ وإلى أين
تحملك سفينتي ويبحر بك رجالي ؟ لقد منحننا نبتيون — رب البحار —
الأمن في ذلك اليم وذلل لنا غواشيمه ، ولكنه ليس أشق عليه من أن
تحمّل سفننا أغراًنا مثلك لا نعرفهم ، فنبحر بهم إلى بلادهم !! إنه يغضب
علينا ، وقد يفرق سفننا تشغياً وانتقاماً حينما تعود أدرجها إلى بلادنا ،
فتهوى إلى الأعماق ثم يسجرها إلى جبل نائي فوق العباب ، قبّل شيرياً !
نكلم أيها السيد ! أصدقنا ! من أنت ؟ ومن أي البلاد قدمت ؟ وأين
ضربت بطون الركائب ؟ وأي الأمصار شلهدت ؟ وماذا يفجر هذا الأسى
في أعماقك كلما سمعت عن جنود الآخيين ، وكلما ترددت في أذنيك أغنيات
طرواده ؟ إن الآلهة تحبك من حاضر المرء طيلسان الموم لئلا أقتل
أنوك ثمة ؟ أم صرع أخوك تحت أسوارها ؟ أم قضى حموك في ساحاتها ؟

أم أودى أصدقاء لك إحياء في حلبتها ، كنت تعدهم كبعض أهلك ؛
أو أعز من أهلك ؟ تكلم ! » .

في أرض المردة (السيكلوبس)

وشرع أوديسيوس يجيب عما تسأل عنه الملك فقال : « أيها الملك
تعالى جدك ، لشد ما يَطرِب ما تغنى هذا المنشد غناء الآلهة ! ولقل ماتعدل
الدنيا بأسرها هذا المجلس الشادى ذا الأضياف والآكال والأشربات !
على أننى مجيئك على ما بدهك من دموى وهموى ، وما لقيت وما سوف
ألقى مما قسم لى من أشجان وأحزان ! إذن فاعرف اسم ضيفك الشريد
الذى لا يجهل اسمه أحد ... ضيفك اللائذ بكرمك ، المستذرى بحماك ،
المتشبث بك ليصل فى ظلك إلى بلاده مهما تقاصت ومهما نأت ... أنا أيها
الملك .. أوديسيوس ... أجل .. هو أنا أوديسيوس ذو الذكر ،
المعروف فى السموات بالدهاء والمكر ، ... ابن ليرتيس رب إيثاكا ،
وملك نريوس ذى الشعاف السامقة ، والجزائر الآلهة حول ساموس ودلخيوم
وزاسنتوس ، أم الجزائر التى تصافح تباشير الصباح بكل روضه فيحاء
وخيلة لغماء ، وجنات ذوات شجر وثمر ، صِبْغاً لأبنائها الأوفياء ...
هناك ... حيث احتجزتنى عروس الماء كليپسوفى كهفها ، وراودتنى لآكون
بعلها ... وهناك ... حيث أغرتنى سيرس هى الأخرى ، سيرس صاحبة
جزيرة إاييا ... التى حاولت أن تتخذ منى خليلاً فأبيت ، ولم أقبل أن
أنهى أهلى ووطنى ، ولو أصبحت زوجاً لإحدى الربات الخالدات ...

ولكن لا ، هلم قبل كل شيء أقص عليك من أنباء رحلتى منذ بارحت
اليوم ، ولأدع ما قبل ذلك فهو معلوم مشهور :

« أقلمت بما الفلك إلى بلد السيكون (إزماروس ^(١)) ، (فبدأ لي
أن أزيد في ثروة رجالى وما فازوا به من أسلاب طروادة ، فأشرت
عليهم بفتح المدينة واغتنام ما فيها من كنوز وأذخار ^(٢)) وسرعان ما تم
لنا ذلك ، فقتلنا العسكر وملكنا القرية ، ووزعت السبي والأسلاب
على جنودى ، ثم أشرت عليهم بالرحيل معصوا أمرى ، وعثوا فى المدينة
مفسدين ، وعاقروا من الخمر ، وعقروا من الشاء ما أذهلهم عن أنفسهم ،
وأتاح لأعدائهم لم الشعث ، ففجأونا بجيش عرمرم منهم ومن جيرانهم ،
وناضلونا عن مدينتهم فأوقعوا بنا ، ولم يغبنا أما قاتلناهم حتى مطلع فجر
اليوم التالى ، بل ظل مرساتهم الصناديد يكرون ويفرون ، حتى قذفوا
بنا فى البحر ، فوقفنا فى سعاثنا نناوشهم برماحنا ... وصمدنا لهم حتى
توارت الشمس بالحجاب فانسحبنا نجر أذيال الهزيمة والخزى ، بعد إذ
انتزع السيكون فخر النصر . وعدت إلى الجند ... فوا أسفاه ! ...
لقد افتقدت ستة من رجال كل سفينة ... سقطوا فى المعركة الخاسرة !
وأجئنا الليل ، فجلسنا نتذاكر أسماء القتلى ؛ وما كدنا نفعل حتى
سخر علينا جوف رب السحاب الثقال — ريحاً صرصراً عاتية أثار البر
والبحر ، وعصمت بمرأكبنا فأطاحت قلاعها ومزقت شراعها ، ففرعنا إلى
المجازيف وأعملنا السواعد ، مستقتلين مستميتين ، حتى نجونا بعد لأى

(١) على الزمانى شمال البحر الأحمر .

(٢) ما بين القوسين من شرح الأستاذ جرير وليس من متن الأوديسة .

إلى البر ، حيث تلبثنا ليلتين طوَّيلتين في أين وإحياء ، وشكاة وشقاء ،
نصلح القلاع وترتق الشراع . . وفي صباح اليوم الثالث نظامن البحر
ونام هائجاً ، فبادرنا إلى الفلك وأقلعنا باسم الآلهة مجراها ومرسأها .
وما كدنا نلح شطآن ماليا ، حتى هبت روبة عنيفة تلاعبت فنا ،
وحملتنا إلى جزيرة سيثيرا ... وطقنا بعدها بذرع العباب تسعة أيام
أخرى ، حتى بلغنا بلاد (لوتوفاجي) ، هذا الشعب الغريب الذي
يقعنا بالفاكهة فحسب ، من دون ما تنبت الأرض وما يدب عليها ...
ورسونا ثمه ، وأهرع الملاحون إلى البر فاستراحوا وسمروا ؛ ثم تخيرت
اثنين من أوثق رجالى ، وجعلت عليهما ثالثاً رئيساً ووجهتهم إلى سكان
هذه الأرض ليتعرفوا أحوالهم ، فاختلطوا بهم ، وقابلهم اللوتوفاجى بالبشر
والترحاب ؛ ثم عرضوا عليهم من ثمر اللوتس العجيب ، الذى ينسى آكله
ما سلف من حياته ، وَيَذَبْتُ ما بينه وبين وطنه من وشيعة فما يفكر
فيه ، وإذا فكر فيه فها يثر أن يرتدإليه ، بل يصبح كل مناه أن يأكل
ويأكل ويأكل من هذا اللوتس العجيب ، وأن يعيش أبداً الدهر بين
أولئك اللوتوفاجى السحراء ا ... وبنظرت عودة رجالى ، بيد أنهم لم
يرجعوا ، فاضطرت أن أذهب بنفسى إلى حيث سحروا ، فحلتهم قهراً إلى
الشاطىء بين العويل والضجيج ، وقذفت كلا منهم فى قرة مغلولاً مكبلاً
مشدود الوثاق ، ثم أمرت الملاحين فأبحروا على عجل قبل أن يأكل
بعضهم من اللوتس الملعون فيضلوا ضلالهم وينسوا أوطانهم ، ويظلوا فى
فى هذه الأرض جائعين .

«وما عتَمنا أن وصلنا إلى أرض المردة الجبارة - السيكلوپس - الطغاة العتاة ، الذين لا يخضعون لشريعة ، ولا يأتَمرون بقانون ؛ الذين تؤذى أرضهم أكلها رغداً من غير كد ولا عناء حَبباً وأبناً ، وحدائقُ عُلْباً وقضباً وعنبا ، تُسقى مما يفيض عليها خوف من مائه المعين ... يعيشون فوضى ، لا تربطهم رابطة ، ولا يقوم بينهم نظام ؛ يأوون إلى كهوف موحشة ، وغيران سحيقة ، في قلال الجبال وأحيادها ... يُعنى كل منهم بنفسه وزوجه وأولاده وقطعانه ، ولا يأبه للباقيين ، وتلقاء أرضهم توجد جزيرة معشبة أريصة شجراء ، فيها من الماعز السائم قطعان لا حصر لها ، ولكنها مع ذلك يهماء^(١) مُضلة ، لم تطأها فيما غبر قدم إنسان ، ولم يُرَش إلى حيوانها سهم صائد ، لأن السيكلوپس لم يحاولوا أن يركبوا البحر مطلقاً ، ولم يعرفوا طوال حياتهم هذه الجوارى المنشئات فيه كالأعلام . لذلك سلمت الجزيرة مما فيها من خير ، وتكاثرت قطعانها حتى امتلأت بها مروجها الخضر السندسية .. وثمة ، في جُوف هادئ جميل ، ألقينا مراسينا ، ونزلنا من سفائننا ، في ظلام الليل الدامس ، وفي حراسة الآلهة ، بعد إذ ارتطمنا بسيف البحر ... ثم نمنا على الشاطئ حتى مطلع الفجر ؛ وأشرقت أورورا تنضرب بالورد مشرق الأفق ، فنهضنا نحوب الجزيرة ، ونتفياً ظلال الحور ، ونرى عرائس الماء ترعى الماعز ؛ فبادرنا إلى سفننا ، وأحضرنا الحراب والأقواس ، ثم تفرقنا ثلاث فرق ، وشرعنا نصيد من هذا الحيوان ، فاجتمع لنا منه الشيء الكثير ، ونال

(١) مضلة لا يهتدى فيها .

كل من رجال سمائنا الإثنى عشرة تسع أعز ، بعد أن تخيرت عشراً
 لنفسى ؛ ولبثنا يومنا هذا نفتدى بكل شواء حنيذ ، ونسكرع كل كأس
 روية ، فى غير نخمة ولا شجى^(١) . والآلهة تلك الحخر السلاف
 السيكونية التى افترعناها من زقاق أزماروس ! ثم نظرنا ناحية الغرب ،
 فما راعنا إلا دخان كثيف يصاعد فى الأرض القريبة ، وרגاء وضوضاء
 كالرعد تنتشر فى جنباتها ، وإذا هؤلاء السيكلوپس المردة ينتشرون
 فى الأرجاء ، وأمامهم قطعانهم من الشاء والأنعام . أعداد لا حصر لها ...
 عليها إذا عدّ الحصى يتخلف !

ونما ليلتنا مروعين ، حتى إذا بزغت أورورا نهضنا واحتشدنا فى
 صعيد واحد ، ثم قمت فى رجالى خطيباً ، فقلت : « أيها الإخوان ! لتبقى
 غالبيتكم فى هذه الجزيرة ، فإنى ذاهب فى نفر منكم نرود هذه الأرض ،
 ونعرف من أنباء أهلها ، ونعلم من أحوالهم ، ونرى هل قوم ظلم وضيع
 ونضال أم هم ربيون يهشون للمكرمات ، ويخبتون للآلهة ؟ »

« وأقلعت فى نخبة من رجالى فوصلنا طرفاً من الجزيرة ناتماً فى
 البحر ، فوقه قلاع مشرفة عليه ، فهبطنا فيه ، وذهبنا نروده ، حتى انتهينا
 إلى كهف عظيم ضارب فى الصخر ، وقد نما الغار الجميل على بابهِ الضخم ...
 ودخلنا ... وأثار دهشنا هذه الحظيرة الكبيرة فى وسط الكهف ، تتسع
 لقطعان لا عدد لها من الأنعام والأغنام والماعز ، ثم هذا العناء العظيم
 المحدث بها يفصله عنها سور عتيد من الحجر الصلد ، مَتَرَسٌ يجذوع الحور

(١) الشجى هو العصم بالشراب

والسنديان ؛ ولقد عرفنا فيما بعد أن صاحب هذه المغارة مارد جبار من
 أراذل السيكلوبس ، لصق بهذا الطرف من الجزيرة يعسف ويظلم
 ويعلؤه نغماً وعدواناً .. ثم هو إلى الجان والشياطين أقرب منه إلى أى
 خلق آخر ؛ فوجهه مربرد عبوس أبداً ، وهو إلى ذلك هولة تحسبه إذ تراه
 قطعة من الصخر تحت منها ناطور فوق ناصية الجبل .. ؛ ... وتوغلنا^(١)
 وكان معى رق من خمر معتقة مما أعطانيه مارون بن إيقانت ، قس
 فوبوس ، رب إزماروس ، لقاء ما أبقينا عليه وعلى زوجه وأولاده يوم
 غزوتنا لقريته ... يا له من كاهن سمح طيب القلب ؟ ! لقد نفحنى
 بأكرم الآلهي^(٢) وأجزل الهبات ؛ وهل أنسى ما حييت تلك البدر
 السبع من الذهب الخالص ، وذلك الدن من الفضة الغالية ، وتلك الجرار
 الإثنى عشرة من الخندريس الصرف التى تُشرب باسم الآلهة ؟ لقد كان
 يقدىها بنفسه وماله ، فلم يكن يعرف مخبأها أحد غيره وزوجه وأمينه ...
 لقد كانت كأس روية واحدة من هذه المدامة تمزج بعشرين ضعف من
 الماء القراح ، وهى مع ذاك سكر ولذة وروح علوى للشاربين ؛ ثم كان
 معنا رُكز^(٣) به أكل كثير ، وكنا عدداً عديداً من الأبطال الصناديد ،
 ولكننا مع ذاك كانت تعترينا رعدة ، وكان يشيع فى قلوبنا فزع ، أن
 يفجأنا هنا الجنى صاحب المكان ، الذى لا يخشى فينا شريعة ، ولا يردده
 عن أذانا قانون ... ثم توغلنا كذلك ، فأشرفنا على مغارة سحيقة هى

(١) قول : صعد فوق جبل .

(٢) العطايا .

(٣) الركز (الخرج) بضم الراء ، لا يحمل فيه الراء .

مقام السيكلوب ومقامة من غير ريب ؛ بيد أننا لم نجدده عندها ، فقلنا ربما انطلق بقطعانه يرهاها في المروج القريبة . ورددنا الطرف في المغارة فرأينا مصافى كثيرة معلقة ينز الحصير^(١) منها ههنا وههنا ، فعرفنا أن السيكلوب يصنع الجبن من ألبان مواشيه ، سيما وقد امتلأ المكان بدواط كثيرة مفعمة بالحصير والخميص . وعلى مقربة منا شهدنا حظائر واسعة لصغار الشاء والحملان والماعز ، وقد قسمت فرقاً حسب سنها ... وقد بدا لبعضنا أن نذهب بما هنالك من جبن وزبد ، وأن نستاق الحملان والجذعان إلى سفائننا ، غير ألى — وأسفاه ! — تأيبت ، لأننى آثرت لقاء السيكلوب ، رجاء أن ينفخنى من كنوزه ، ويسبغ على من آلائه ؛ ولذا ، جلسنا ريثما يعود ، وأكلنا من جبنه وزبدته ، وأشعلنا ناراً نستدفئ ، ثم إذا هو يطوى المروج الخضر بقطعانه ، وإذا على كاهله الرحب أثقال وأحمال من الحطب وفروع الشجر اليابس ، حتى إذا كان لدى الباب ألقاها في بطش فاهترت الأرض ودوى المكان ، والمحبس وصيد الكهف ، فانقذف الرعب فى أمثدتنا ، فهرولنا مذعورين صعقين ، واختبأنا كالخفافيش فى زوايا المغارة وشقوقها ... أما هو ، فقد أدخل قطعانه ، واحتجز ذكرانها فى الفناء الخارجى ، ثم أخذ فى حلب الإناث فى الرحبة الداخلية .. ونهض بعد ذلك فسد مدخل الكهف بحجر واحد كبير لو وضع على عربتين عظيمتين لم يستطع عشرون ثور ضخيم أن ترحله من مكانه ... وجلس يحلب النعاج والماعز ، وكلما فرغ من

(١) الماء يسقط من الجبن .

واحدة أرسلها إلى جذعائها^(١) ترضع ما تبقى في ضرعها .. وكان يقسم
 لهنه قسمين ، فيحتفظ بأحدها لشرابه ، ويمخض الآخر لزيدة وجبنه ؛ ثم
 فرغ من هذا كله وأضرم ناراً عظيمة ما كادت تلتهم حتى رأنا معلقين
 فوق نوى الكهف . فصاح بنا : « من هنا ؟ وى ! من أتم أيها الغرباء ،
 ومن أى البلاد ترحتم وفيهم خضتم هذا العباب إلى هنا ؟ آفاقيون ؟ أم
 تجار ؟ أم قرصان تعيشون في بلاد الناس ؟ » وزلزلنا زلزالاً عظيماً ، وكان
 صوته الأَجَش الخشن يلقى الرعب في قلوبنا فتعتلج اعتلاجاً .. ثم إلى
 جمعت ماتبقى من وعي ، وما أنق عليه الروع والهلع من إدراكى ، فقلت
 أجيبه : « نحن إغريقيون أيها العزيز وقد ذرعنا البحر اللجى شرقاً
 ومغرباً ، وتقاذفتنا فوقه كل ريح ، منذ بارحنا اليوم التى فتحتها الله
 علينا ، لأننا من عساكر أجاسمى الملوك ، ابن أتريوس الكريم ، قاهر
 طروادة ، ومبيد الطرواديين ... وها نحن أولاء ، قد لئنا بك بعد طول
 النصب ، فنضرع إليك أن تفيء علينا بما أفاء جوف عليك ، وأن تردنا
 عامين ... فيا مولانا أكرم مثوانا ، فنحن الأغراب في كنف جوف
 أبدأ ، وأينا نول فإنه معنا » .

وتجهم السيكلوب الجنى وقال مغضباً مستهزئاً : « حسبك أيها الأَخ
 المغفل ما حوت من جوف ، فنحن السكلوپس لا نبالى جوف ، حامل
 إيجيس^(٢) ، ولا سكان السماء قاطبة ... أنا أقوى منهم بكثير ، وأنا
 نفسى ، لن آبه لأيماء نذير من جوف كبير الأبواب ... ولكن حدثنى

(١) جمع جذع بفتح الجيم كل حيوان صغير غير مفترس .

(٢) درع .

قبل كل شيء متى ألتقت سفينتكم مراميهما في أرضنا؟ وأين هي؟ أقرينة أم قاصية من هنا؟ قل الحق ولا تخف عني شيئاً... وأجبتته في حيطه ورفق، وقد عرفت ما رمى إليه: «لقد نسف نيتيون رب البحار مركننا في اليم نسماً، وسلط عليها الزوابع فحرت بألواحها بعيداً... بعيداً من ههنا... وبحوت مع هذا النفر من رفاقي فقط إلى شاطئكم» ولم ينبس السيكلوب الجبار بكلمة... بل أقبل نحونا، وانقض على رجالى كالصاعقة، ثم أمسك باثنين منهم، وأرسلهما في الهواء، ثم ضرب بهما أرض الكهف ذات النوى، فتهشم رأساهما، وانتثر المنخ فوق الحجارة هنا... وهنا... وألقاهما بعد ذلك في الجمر المتأجج حتى نصجا... واستوى كالسبع الرثبال، وطفق ينهشهما... ولم يمض وقت طويل حتى أتى عليهما، غير مبق على عظمة واحدة؛ أما نحن فيا لآلهة السماء... لقد كان هذا المنظر الفاجع يعصف بنفوسنا، ولم تملك إلا أن نرفع الأكف فغبتل إلى جوف أن ينجينا. وأن يرحمنا؛ ولم يكن لنا مع ذلك من أمل في نجاة!

وبعد أن أشبع الجبار نهشته من هذا اللحم الآدمي الفريص، وبعد أن شرب من اللبن شرب الهيم، انطرح بين قطعانه، وجعل يرسل في الكهف شخيراً مزعجاً... وقد حدثتني نفسي أن أنقص عليه فأحوض في لَبَّتِهِ بجرازي، ولكن فكرة سوداء طافت برأسي، حينما نظرت إلى باب الكهف فأبصرت الحجر الضخم الذي لا يطيق أحد أن يزحزحه، وتذكرت الموتة الجاهلية المفزعة التي سنموتها إن فعلت... فقتنط قنوطاً

شديداً ، وأرسلت آهات الحسرة والندامة أنا وأصحابى وانتظرنا بقلوب فارغة تباشير العجر ، ورأينا أورورا الوردية ترسل أول أشعتها من السكوى الصغيرة ، فهب السكلوب إلى قطعانه ، وأخذ فى حلب إنائها ، وكلما فرغ من واحدة أرسلها إلى صغارها ترضع وتنخب ؛ ثم إنه قبض على اثنين من رجالى وفعل بهما كما فعل بصاحبيننا أمس ، حتى إذا فرغ من إفطاره ، هب إلى الحجر فزحزحه فى سهولة ويسر ، كأنما كان يزحزح غطاء آنية ، ثم استاق قطعانه ، وأعاد الحجر إلى مكانه ، ومضى يرمى بهممه ، وبقينا نحن ندعو ثبورا ... وفكرت ألف فكرة فى وسيلة أنتقم بها من هذا المارد الوحش ، وتوسلت بمينرفا أن أستطيع ... وانهرجت أسارىرى فجأة ، وأشرق وجهى بنور الأمل ... ذلك أننى أبصرت بجذع زيتون مشذب أعده الجنى ليكون عصا يهش بها على قطعانه ، فقلت فى نفسى : « ولم لا يكون فى هذا الجذع خلاصنا ؟ » ، ثم إنى أمرت رجالى بيزي أحد طرفيه ، وكان الجذع طويلاً جداً ، يصلح سارية لسفينة كبيرة يعمل فيها عشرون بحاراً ... فأقبلوا عليه ينحتون ويهرون ، وأكبت أنا على نهاية الطرف أحده ... ثم انتهينا من عملنا وأخفينا الجذع تحت القش الكثير الملقى فى الكهف ، وجلسنا نتخير من بيننا أشجعنا وأكثرنا أيداً وقوة ، وأشدنا استعداداً لحمله وغرزه من طرفه المحدد فى عين السكلوب ... واتهينا من ذلك إلى أربعة ، وكنت أنا خامسهم ... ثم عاد الجنى فى موعده فأدخل قطعانه وأرجع الحجر إلى مكانه ، وجلس يحلب الإناث ويقسم اللبن ويمخضه ، ويرسل كل جذع إلى أمه ؛ ثم نهض إلينا فبطش

بائنين منا وتعشى بهما ، وقبل أن يستلق على الأرض ليستريح أفعمت
 كأساً كبيرة مما كان معنا من خمر مارون وتقدمت بها إليه وأنا أقول :
 « ألا أيهذا السكلوب ! هالك كأساً من الخمر إذا تحسيتها بعد أكلتك
 الهنية من اللحم البشرى عرفت أى خمر فقدنا فى سفينتنا المفرقة . لقد
 كنت أحضرتها تكرمه لك إذا أنت أكرمت مشوانا وأطلقت سراحنا
 وساعدتنا على العودة إلى وطننا سالمين ! ولكن ! أوأه ! إن سورتك
 طامية أيها القاسى الجبار ، وإن أحداً من البشران يحسب على أن يقترب من
 جزيرتكم بعد اليوم ! » . وأخذ الكأس فعبها عباً ، وسربها سروراً
 كبيراً ، ثم سأل أخرى فقال : « أيها الفتى ما اسمك ؟ إعطنى كأساً أخرى
 وإنى متيبك عليها . إن لدينا خمرأ صرفاً من أكرم ما تعصر العناقيد ،
 يسقيها جوف من شآبيبها ، ولكنها أندأ لا تبلغ هذه الخمر البكر جودة »
 وأعطيته ثانية وثالثة ، وراح المجنون يشرب ويشرب ، ولما شهدت النشوة
 ترقص برأسه قلت له فى ظرف : « أيها السيكلوب لقد تساءلت عن اسمى ،
 ألا فاعلم أنه أوتيس^(١) ، وبه أسمى فى بلادى ! ولكنك وعدت أن
 تثيننى على ما قدمت لك من خمر ، فساذا عساك مانحى ؟ » فاستهزأ
 السيكلوب وقال : اطمئن يا صاح ! سأهب لك أن تكون آخر من آكل
 من خوانك .. هذا هو جزاؤك ! « وتشاء وتشاء ، ثم انطرح وسط
 قطعانه يغطى نوم عميق . وكان يصعد أنفاسه بقوة فتنقذف من بلعومه

(١) أوتيس Outis معناها (لا أحد) ولم يستحسن مترجمو هومر ترجمتها ،
 لأنها تعنى (ذو الأذنين الكبيرتين) ولم تؤثر ترجمتها كذلك .

شوايب من خمر ، ممتزجة بقضبات من لحم بشرى ؛ وقفزنا إلى
 جزع الزيتون فوضعنا طرفه المحدد المبرى في الجمر المتأجج حتى تأجج مثله ،
 وبكلمات قليلة أثرت النخوة في نفوس إخوانى حتى لا نخذلهم قواهم ، ثم
 استعنت الآلهة فابتعثت فينا قواها السحرية ، واستجمعنا كل ما فينا من
 مُنة اليأس ، ووضعنا الطرف المشتعل في عين السيكاوب المقفلة ، وحركنا
 الجذع وطفقت أنا أقلبه فيها من مكان علٍ ، كما يفعل السَّمان الصنّاع
 ممتقاه في خشب السنديان ... وانبجس الدم من عين السيكاوب العمياء ،
 وجحظ إنسانها كأنه عين حمئة من دم وعَازَ . وقصاراى : لقد كنا
 كالحداد الماهر الذى يطفىء سلاحا محمى في ماء بارد !! ولقد صرخ
 السيكاوب^(١) صرخة ردد أصداءها الكهف . ثم رددتها الغيران
 والجبال المجاورة ؛ وذعرنا نحن ، فلصقنا بالشقوق والزوايا ؛ وراح الجنى
 الجبار يخبط في ظلام العمى بعد إذ انتزع الجذع المشتعل من عينه ،
 وهربول كالجبل نحو الباب فوقف عنده ، وطفق يولول ويهتف ويصيح ،
 ويدعو جميع إخوانه السيكاو پس كلاً باسمه ، فاجتمعوا إليه من كل فج
 عميق ... وقال قائلهم : « ماذا دهالك يا بوليفيم حتى تروعننا هكذا في ظلام
 الليل وحتى تقض مضاجعنا بصراخك العظيم ؟ هل خِفْتَ أن يستاق أحد
 قطعانك ، أم خشيت أن يقتلك أحد بقوة أو غدر ؟ » وقال بوليفيم وهو
 يتصدع : آه يا أصدقائى ! إني أموت ! ولقد قتلنى أوتيس ! » فقال

(١) يحس أن بلغت نظر القارئ إلى طبيعة السيكاوب وأنه لا يملك إلا

قائلهم : « إن كان أوتيس — الذى هو لا أحد — قد ألحق بك أذى فما صنع بك هذا إلا جوف ؟ تجلد يا صاح ، وادع أبانا بتيون ليساعدك ، يأتك من أعماق اليم » ثم تركوه وانصرفوا لشأنهم ، وضحكت أنا فى سرى رتى لأننى استطعت أن أعمى عليهم بهذا الاسم الملقق المفترى : وما برح يوليعم يبكى ويعول ويهرزه الألم والأسى ، حتى زحزح الحجر الذى يسد الباب ، وجلس عنده ، ماداً ذراعيه لينعم أحداً منا أن يفلت أو أن يذهب بعض أنعامه ... إنه يحسبنا بلهاء مثله !!. وجلسنا نعمل الفكرة بعد الفكرة ، ونرسم الخطط تلو الخطط لنجائنا ... حتى تاحت لى فكرة حسنة ، أيقنت أنها تعلتنا من هذا السجن السحيق إن كان شىء مستطيعاً أن يطلق سراحنا منه ؛ لقد فكرت وفكرت ، فبدالى أن لدى السيكاوب كباشاً كئازاً تستطيع أن تحملنا إذا رُبط كل منا تحت بطن واحد منها . لقد كانت الكباش سمينة حقاً ، ذات فراء كثة وقوة كبيرة فقامت من فورى فجذلت من أغصان الصفصاف التى كان السيكاوب الشنيع ينام فوقها ، وجعلت من كل ثلاثة حبلاً واحداً ، ثم ربطت كل رجل تحت بطن كبش كبير قوى جعلته بين كبشين لا يحملان أحداً ، بل يكونان وقاية للكبش الذى يحمل رجلاً بينهما ... أما أنا فتعلقت بصوف الكبش الأخير ، وبقيت ساكناً صامتاً ، ومكثنا هكذا ننتظر الفجر المقدس الرهيب ، بعيون واكفة وقلوب واجمة ... حتى بزغت أورورا مهرولات الذكراى كعادتها المرعى ، وبقيت الإناث لى تحاب ، وتهادت الكباش بالأنقال المعلقة تحتها وهى تسكاد تنوء بها ، وكان السيكاوب

لا يزال يعول ويشكو بثه إلى غير سميع ، وكان يلمس بيديه ظهور الكباش
وهو لا يدري ما تحتها ، حتى إذا رز كبشى ، زلزلت زلزالا ، وسمعته يقول له
وهو يتحسسه : « يا كبشى الحبيب مالك استأنيت هكذا وكنت دائما
سباقا إلى المرعى على رأس القطيع تقصم السكلا الحلو . سباقا إلى الغدير
ذى الخريز تنهل من مائه السلسبيل ؟ بل كنت سباقا كذلك إلى ما واك
هنا . فى كل مساء ؛ ويحك ويحك يا كبشى الحبيب ! لقد أسيت لى ،
وحزنت من أجلى ، وشعرت بما دهمى صاحبك من التعس الرجيم أوتيس ،
وأتباعه اللؤماء المفلوكين . أوتيس الذى سحرنى بخمره . . . ويل له ! إنه لن
يُفَلَّت من الموت اليوم ! آه لو كان قلبك مثل قلبى ، وآه لو كان لى بصرك
الحديد بيدانى أين احتبأ أوتيس التعس ! إذن كنت أحطم رأسه فوق
هذا الصخر ، أوتيس الوغد . . . الذى اسمه لا أحد ! ! فهو لا يساوى شيئا ؟ » .

ثم أفلته المغفل فانطلق السكبش فى إثر رفاقه ، حتى إذا كنا بعيمين
من الكهف ومن صاحبه قفرت من مكنى ، وعدوت فأطلقت سراح
رفاقى ، وسقنا نخبة من أحسن النعاج إلى حيث سفينتنا الختبتة فى الجون
الهادىء . فى ظلال الحور والسنديان ... وأبحرنا من فورنا فوصلنا إلى
إخواننا فى الجزيرة الأخرى ، الذين هناؤنا بقدر ما ذرفوا الدموع على ضحايا
بوليفيم ! ! واعتزمنا الإبحار فاستعد كل فى سفينته ، وأقلعنا لا نلوي على
شئ . حتى إذا كنا على مبلغ الصوت من الشاطئ ، نهضت وجعلت
أهتف بالسكوب بوليفيم هكذا : « بوليفيم ! لقد بوئت بما صنعت يدك ،
وكان جزاؤك وفاقا ، أيها الغذل الخسيس ! لقد حسبت أنك تغتال رجال

فأند لا سلطان له عليك ، ولا قدرة له على الانتقام منك ، فرحت تغتذى كالوحش بلحم ضيوفك الذين لجأوا إليك وتقيأوا ظلك . فاهناً الآن أيها الهولة بما حل بك ! » . وما كدت أصمت حتى ثار نائره وغلت مراجله ، وانتزع صخرأ كبيرأ من شعاف الجبل ، وقذف به فى قوة وعنقوان ناحية الصوت ، فهوى الصخر على مقربة منا ، وكاد يهشم سكان السفينة ؛ وقد انفرج البحر ، وانشطرت أمواجه ، وارتدت السمينة نحو الشاطئ حتى لكادت أن تغوص فى رماله وتتحطم على أواذيه ، لولا أن أمسكت بالسارية الكبرى وجعلت أأدفع وأأدفع حتى عادت السمينة إلى مكانها فى البحر . وابتعدنا قليلا .. وجاهد رجالى بمجاذيفهم حتى كنا على مسافة هى ضعف المسافة الأولى . وهنا ، حاولت أن أأصيح بالسيكاوب مرة أخرى ، غير أن إخوانى حالوا بينى وبين ذلك ، وسمعت بعضهم يقول : « ويك أوديسيوس ! لم تهيج الجنى بكلماتك . وقد كاد الجهر الذى قذفه إلينا يودى بنا جميعأ ويحطم سفينتنا على الشاطئ ؟ أما محمد الآلهة التى أنقذتنا من ساعديه الجبارتين ، وهولو سمع ركزأ من أحدنا لحشمتنا جميعأ قبل أن نأادر غاره ؟ » على أننى ما أصخت لهم ، بل هتفت بالمارد الجبار أقول : « أيها السيكاوب الطاغى ! إذا سألك أحد عن عماك فقل له أعمانى أوديسيوس ابن ليرتيس الإيتاكي ! » وتأوه المارد حتى كاد يتصدع وقال : « ويل منك ! لقد صدقت النبوءة ، وتحقق ما قال تلموس يوريميد النبى الذى شب بيننا وطالما تحدث إلينا معشر السيكاوبس عما حبأ القضاء فى صحف الغيب لنا ؛ لقد قال لى إننى سأفقد بصرى على يد

رجل من البشر يدعى أوديسيوس ، فظلات أنتظره ، وكنت أحسبه مخلوقا
طويلا عظيم الجسم بادی القوة ... فإذا هو أنت أيها القزم — اللاشئ ! —
الذى قهرتني أولا بالخرثم أذهبت بصرى وأطعأت النور من عيني ! أوه ...
ولكن . عد إلى يا أوديسيوس وحل على ضيفاً من جديد ، أكرم
مشواك .. وأصل من أجلك لأنى ... نيتيون .. الفخو ، نى ، أن يمهّد
لك البحر ، ويطامن من تحتك الموج حتى تصل إلى بلادك سالماً ... إنه وحده
هو اللطيف نى ، وليست قوة فى الوجود غيره تستطيع أن تشفىنى وترد
على بصرى ! » فقلت له : « بنفسى لو استطعت فقذفت بك من حلقى
إلى قرار جهنم فلا يقدر أحد على رد بصرى إليك — حتى ولا أورك هذا ! » .
وغيظ السيكاوب وحنق ، ورفع كفيه إلى السماء يصلى لأبيه هكذا :
« أبتاه نيتيون المحيط بالأرض اسمع دعائى ، يا صاحب السم
الازوردى ، إذا كنت حقاً نى ، وإذا كنت حقاً تفخر بينى — ونى
فاحرم هذا القزم المدعو أوديسيوس بن ليرتيس الإيثاكي من العود إلى
بلاده ، إلا أن يكون هذا قضاء فى الأزل فأقم العقاب فى طريقه ، وشرده
طويلا فى البحر ، وأغرق سفنائه ، واقبر فى الأعماق أصحابه ، وأحوجه إلى
ذل السؤال وطلب المعونة من الناس ليمدوه بمركب يعود عليه ؛ وإذا عاد
فليلق الهم والغم مقيمين ببابه ... آمين ! » ولبنى نيتيون ، ورفع السيكاوب
حجراً أضخم من الأول ، وجعل يهوم به بكأنا يديه ، ثم قذفه قذفة هائلة ،
فذهب يرتق فوقنا ، وسقط وراءنا بمقرة من السكان ، فانشار البحر
فرقين كل فرق كالطود العظيم ، ثم انحسر الماء فجرت السفينة إلى الشاطئ .

مرة أخرى ، ولكنها هذه المرة أرست على الشاطئ الآخر الذي أرست عنده سفائننا الأخرى ، حيث أقام إخواننا يشهدون المعركة الهائلة ويمجزعون ... ثم إننا نزلنا إلى البر ، وفرقنا الأنصبات من نعاج السيكالوب بيننا وكان من نصيبى ذلك الكبش القدى الذى يجانى ، فذبحته على رمال الشاطئ قرباناً لجوف المتعالى ... وأسماه ! إن أكبر ظنى أنه لم يقبل قربانى ، لأن أكثر سفائننا أغرقت فيما بعد ... وأكلنا هنيئاً ، وشربنا الخمر الممتعة ، وانتظرنا مد البحر ، ولكنه استأنى علينا ، فنمنا حتى نضرت أورورا جبين الشرق بالورد ، ونهضنا ... ونشرنا الشراع وأصلحنا القلاع ، وأبحرنا ، بقلوب واجفة ، ونفوس نال منها الهلع ، لأنذنين بالفرار .

أودسيوس يروى قصته

١ — إيبولوس وجعبة الرياح الأربع

ب — فى جزيرة الجبابة

٢ — غرام سيرس

« وبلغنا جزيرة الأيوليين حيث يحكم الملك إيبولوس بن هيوتاس ، حبيب الآلهة . وهى جزيرة تلوح طافية فوق العباب بسورها النحاسى المائل ، وأواذيتها التى يتكسر فوقها الموج . ولقد زوج الملك أبناءه الستة من بناته الست ، وهو يقيم معهم فى قصره المنيف ، فى قىء وارف من حب اللسكة ، فى بلهفية ورغد ، وعيش واسع مخفرج ، ونعمى

طائلة ، ولذائد شتى ... يقضون وقتهم في لهو برى وصرح ، وبأوون
إذا أجهم الليل إلى سرر موضونة ، وزرائى مبتوثة ... وأرائك من
حرير .

ولقد لقينا الملك بالبشر والإيناس ، وأقمنا في كنفه شهراً كاملاً ،
ناعمين طاعمين ؛ ثم سألتى فقصصت عليه قصة (اليوم) وكيف سقطت
في أيدينا ، وما كان من إبحار أسطول الآخيين بعد ذلك ، وما تم من
رحلتنا في ذاك العباب ، عاشين ، ضاربين على غير هدى ... ثم إنى
ضربت إليه أن يعيدنى في خفارته إلى بلادى ، فأجاب سُولى ، وأمدنى
بكل ما ييسر رحلتى ، ثم تفضل فشئى معى إلى البحر ، حيث قدم إلى
جعبة مصنوعة من جلد عجل كبير جسدٍ ، خيل إلى أنه ذبح في سن
التاسعة ، وهى جعبة من صنع جوف سيد الأولب ، حبس فيها عظيم
الآلهة رياح العالم أجمع ، وأحكم رباطها بسلك فضى متين ، حتى لا يفلت
منها نفس واحد إلا بإذن ... وانطلق الملك بعد أن أمر زفيروس - رب
النسيم الحلو - فلاُشراعنا ، وهب بين أيدينا ... وا أسفاه ! لقد كانت
هباته اللطيفة الرخية عبثاً ، وضاعت في غملة من رجالى سدى ! فلقد
جرت بنا العلك آمنة مطمئنة طوال تسعة أيام بلياليها ، ثم بدت لنا
شيطان إيتا كما خفقت قلوبنا فرحاً ، واستطعت أنا نفسى أن ألمح مواطنى
الأعزاء يوقدون النار فى شعاف الجبال ... بيد أنى كنت منهوكاً موهوناً
من كثرة العمل ووعثاء السفر ، وطول السهر والمراقبة ، فداعبت عيني
سنة من الكرى ، لأنى كنت أسهر على القيادة بنفسى طيلة الرحلة ،

ولم أكن آمن أحداً من رجالى على الاضطلاع بها خشية الوأنى ، ومخافة التأخير ... وبينما كفت نائماً ، لعب الوسواس فى صدور رجالى ، زاعمين أنى أحل أذخاراً من الذهب والفضة أسبغها على "إيولوس الملك ... قال قائلمهم : « يا لآلهة ! أبدأ ما وطئت قدما أودسيوس بلاد قوم حتى تنالكو عليه مرحين معجبين مكبرين ! وهو اليوم يعود من طروادة ومعه من طرفها وسكاتها الجهم الكثير ... أما نحن فوا أسفاه علينا ! لقد شاركناه تلك الرحلة المشثومة ، وها نحن نرضى من الغنيمة بالإياب ، ونعود منها أصفار الأيدى ، لا أمامنا ولا وراءنا ! وها هو أيضاً قد فار دوننا رقد ملك الرياح ، إيولوس العظيم ، هلموا يرافقوا ! البدار إلى هذم الجعبة ننظر ما احتوت من أصفر وأبيض ، وأعطيات وهبات ... ولهى ! » ، وأقبل بعضهم على بعض ، وامتدت أيديهم إلى الجعبة فخلوا رباطها ... واحسرتاه ! لقد انطلقت الرياح الحبيسة ، وزحجرت العواصف الهوج من كل صوب ، وطفقت تكسحننا فى شدة وعنف .. بعيداً ... من إيثاكا ! ولقد قفزت من غفوتى خائفاً مذعوراً ... حتى نخليل لى أن طوفاناً قد غمرنا ! ... وظللت برهة فى ذهول ودهش ، وطفقت الأحزان على قلبى ، ورائت الهموم على نفسى ، وفث اليأس فى عضدى ... ولكنى لم أجدر من الصبر بدءاً ؛ فتحملت الكارثة فى هدوء وصمت ، وعصبت رأسى بثوب شف ، وانبطحت فى قرقى ... وراحت العواصف تدفع الأسطول فى غير هواة ، حتى بلغ شطآن الأيولين مرة أخرى ... وهنالك بكى صبحى ... ولات حين بكاء ! وهبطنا الشاطئ ، وكان معنا

أن نرتشف من ماء إيوليا العذب رشقات ، ثم جلسنا نعد أكلة عملى
ونلتهمها ؛ وتوجهت أنا وصديق إلى قصر الملك ثانية ... وقد كان يجاس
لوليمة كبيرة هو والملكة الحسناء المصون ، وأبناءؤه الغر الميامين ... واشد
ما بدهه أن يرانا بعد طول النأى ، فخدجنا وقال : « ويك أودسيوس ميم
عدت أدراجك ؟ وأى سلطان مشثوم لوى عنانك بعد إذ أرسلناك مزوداً
بغير زاد لتصل إلى بلادك ، وتلقى آلك ؟ أو أى آل آخرين ؟ ! » ،
وكان فؤادى ينخلع حين قلت أجيبه : « تبارك الملك ! لقد حاننى رجالى
اللؤماء ، وخاننى معهم طائف من السكرى ! فإذا شاء الملك فليجبر
ما انصدع منا ، وهو لا يزال صاحب الحول والطول ! » ... وهكذا
شاءت المقادير أن أقف ضارعاً إلى هذا الملك مزرة أخرى .. وقد تلمت
أبناءؤه صامتين لا ينبسون .. واكفهر وجه الملك وقال : « أيها الرجل
انطلق . أغرب عن جويرتنا هذه يا أتعس الناس ! إنطلق ووالله إلى
لأستغفر الآلهة أن أكرمت مشوى رجل مثلك عدو نفسه ، ممقوت من
الأرباب ، مغصوب عليه من السماء ! » وهكذا طردنى الملك شرطردة ،
فضيت على وجهى ، واقيت أصحابى ، وأبحرنا نذرع اليم المصطحب
بمجاذيفنا ، ونسكب فى هذه الأعماق المضطربة قوانا ، لا أمل لنا فى
الوصول إلى بلادنا ، ولا رجاء فى الخلاص من هذه البؤوس ! ووصلنا
مدينة ليستريجونيا بعد نصب ستة أيام بلياليها ... تلك المدينة الموحشة
التي بناها منلالموس العظيم ... والتي (تغزو الحشرات مروجها نهراً ،

فيمخرج الرعاة قطعان الغنم ذات الفراء الكثة التي تحمى الحيوانات من ذبابة الماشية وتدفع عنها غائلتها ، فإذا جن الليل عادوا بأغنامهم إلى حظائرهم ، وذهبوا بالنعم لترعى في هدأة الليل ، ولتكون بأمن من غوائل الذباب الذي يكون قد غلبه الفعاس^(١) . . . وصلنا إلى هذه المدينة فألقيناها محصنة بسور عظيم من الحجر الصلد ، يفحدر قليلا قليلا إلى الميناء ، بمضيق صغير لا تعلو فيه موجة ، ولا يتحرك فيه الماء ... وقد أدخل رجالى سفائنهم في هذا البوعاز ، وآثرت أنا أن أظل بسفینتى عند فمه مما يلى البحر ، فألقيت مرساى ، وثبتها في حجر كبير ، ثم وثبت إلى الشاطئ ، وتسمنت ربوة عالية ، وأخذت أجيل ناظرى في الجزيرة ... ولم أقف لإنس أو حيوان على أثر ، وبذت الأرض جرداء بلقعا ؛ بيد أن دخانا كثيفا كان يصاعد من وسطها ؛ فرأيت أن أبعث ثائنين من رجالى جعلت عليهم ثالثا رئيسا ، ليعلموا لنا من أنباء الجزيرة ، وليتجسسوا أخبار أهلها ... وقد قص هؤلاء آثار العربات التي يستعملها السكان في نقل الأخشاب من الغابة إلى مدينتهم ؛ واقفوا عند مدخل المدينة فتاة عذراء تملأ جرتها من عين ماء هنالك ؛ فما كادوا يسألونها حتى علموا أنها ابنة الملك آنتيپاتاس ملك هذه البلدة ... ومشت بين أيديهم حتى كانوا في قصر الملك ، وهناك لقيتهم امرأة هولة عظيمة الجسم ، كأنها هضبة ، فلم يحسروا أن يمدوا إليها أبصارهم مما غشيتهم من

(١) كلام هومر ما غامض شديد الغرض ولذلك انكنا في إبانته على شرح

الفرع وكانت هذه هي الملكة ، التي صاحت ، عند ما لحث رجالى ،
 بزوجها ، فأقبل يهتز وتزلزل الأرض من تحته ، وما كاد يلح هؤلاء
 الغرباء حتى أمسك واحد منهم وخبط به الأرض فخطمه ... كأنما أقبل
 ليخوض معمة .. ؛ وانطلق الآخرون لا يلويان على شيء ؛ حتى بلغا
 سمائنا .. ثم زجر الملك بصوت قاصف كالرعد يدعو إليه رعاياه ،
 فأقبلوا إليه من كل حدب ، مرده جبارين كالأغوال ، لا عدد لهم ،
 ولا تقع العين على أبشع منهم ... ثم تهاووا إلى الشاطئ حيث أرسى
 سفننا ، فجعلوا يقذفونها بحجارة من سجيل ، جعلت رجالنا كعصف
 مأكول ، وجعلت مراكبنا حطاماً كان يهوى إلى الأعماق ؛ بينما هؤلاء
 الجبابرة ينشلون قتلانا بحراهم ليعودوا بهم إلى بيوتهم فرائس سائفة
 يملأون بها بطونهم ... وهكذا استمرت هذه المذبحة الدامية . وكنت
 واقفاً فى مركبى ، وجرأى إلى جانبي ، فأسرعت إلى حبال المرساة
 فقطعتها به ، وبادر رجالى إلى مجاذيفهم فأعملوا فيها أيديهم ... وبذلك
 نجونا من هذا الروع برغم الحجارة الهائلة التى كانت تنطير فوق رؤوسنا
 وتهاوى عن شمائلنا وعن أيماننا ، فتشيع فى فرائصنا خطر الموت ...
 وظللنا نكافح الموج ونصارعه ، فرحين بنجاتنا ؛ ومع ذلك ، فقد
 كانت تعتلج قلوبنا هماً وأسى على إخواننا ... ثم رسونا آخر الأمر عند
 جزيرة إيايا ، حيث تقيم سيرس ، ربة الغناء والسحر ، ذات الشعر
 السكرمانى ، أخت إيتيس الحكيم من أبيها الشمس ، وأمها برس ابنة

أوشيانوس^(١) . وكأنا مشيت عناية السماء بين أيدينا فرسونا في حون هادئ ساكن في غير جلبة ولا ضجيج ، ثم هبطنا إلى الساحل فتلبثنا فيه يومين كاملين نستجم ونستروح مما بنا من أين وجهد ، وكلما فرأنا لما في أفعالنا من شجو وهم وشجن . ثم إني تساحت ربحى وسيفى وحثت خطاى في أسناد الجبل حتى كنت في ذراه الشاهقة ، ووقعت ثمة أنظر وأتمسّس ، فلمحت في البعد دخاناً يصاعد بين الدوح والزه من قصر سيرس . وبدأ لي أن أتوجه إليه من فوري عسى أن أجد عنده خيراً . ولقد ترددت بعد ذلك كثيراً وكدت أعود أدراجي إلى السفينة لأرسل نفرًا من رجالى يكشفون لي الطريق إلى القصر ؛ وما كدت أخطو خطوات حتى ساق إلى أحد الآلهة ظبيًا غريبًا شرد من المرج المعشب الحلو ليستقي مما ألح به من ظمأ فأرسلت إليه ربحى فقعم ظهره ، وسقط يتخبط في دمه ؛ وقطعت شيئًا من عساليج الصفصاف وحدث منها حبلا ، وأوثقت الغزال من أياطله واحتملته على ظهري ، ومصيت قدما إلى رفاق متوكئا في كل خطوة على ربحى إذ لم تعد شيخوختي تستقيم لمثل هذا الحمل الكبير ! وهتفت برجالى في مرح وظرف : « هاموا يارفاق فلن نقضى قبل أن تحين آجالنا ! هاموا إلى ظبي فنيق وخر عتيق ، واطرحوا ما بكم من هم وضيق ... » وأقبلوا فرحين وشمروا عن سواعدهم وهم يستهلون من جدل هذا القنص الغريص ، وظالما يومنا هذا نظم ونشرب ، حتى إذا أرخى الليل سدوله انكفأنا على الشاطئ

(١) لم يتعرض شراح هومر لهذه الفقرة ولذا أثبتناها كما هي .

نقط في سمات هادىء ... وذرت أورورا ابنة العجر الوردية فهتفت برجالى
 فهبوا ، ثم جلسا ساعة تتشاور ، وأنا أقول لهم : أيها الرفاق ! يا إخوان
 الشدائد! ها نحن أولاء قد لصقنا هذه الأرض ولسنا ندرى أيان نذهب؟ هل
 نشرق ، أو نغرب ، أو نظل هنا أبداً الدهر؟! ولكن هلموا ننظر لأنفسنا
 مخلصاً مما نحن فيه : فإني حينما تسنمت ذروة هذا الحبل أجأت الطرف
 في أرجاء هذه الأرض وعرفت أنها جزيرة تترامى إلى مدى البصر؛ ثم
 إلى آنت دخاناً يعلو في الجو من وسطها ، ينبثق من سروات طوال فيها ،
 فَرَوْا لأنفسكم أنابكم الله ! » — وكأنا سقط في أيديهم ، وكأنا حاقت
 بهم ذكريات آتية تاتس وقومه اللستريجون ، وما اقوا من هول السكالب
 أكلة اللحم البشرى ، فبكوا ساعة من الزمان ، ثم استرجعوا حيث
 لا يجدى البكاء ... ثم قسمتهم فريقين ، جعلت على أحدهما يوريلاخوس ،
 قرن الآلهة ، وجعلت نفسى على الفريق الآخر ، وجلسنا نقترع على من
 يذهب لارتياذ الجزيرة ، فوضعنا الرقاع في خوذتى ، ثم كانت القرعة على
 يوريلاخوس ، ففضى ، وتحت إمسته اثنان وعشرون من رفاقنا ، كانوا
 جميعاً يذرفون الدمع خوفاً وفزعاً مما وجهوا إليه ، وكنا نحن نبادلهم دمعاً
 بدمع وبكاء وبكاء ... ووجدوا قصر سيرس في بطيخة^(١) منخفضة ،
 فماذا رأوا؟! قصر منيف مُمرّد تحديق به تمانيل حية من سباع وذؤبان
 سحرتها سيرس بعقاقيرها ذات القوى الخارقة الخفية ... ولم تؤذهم تلك
 الوحوش ، بل كانت تثب على أرجلها الخلفية في دل وتلطف ، ثم تبصص

بأذانبها كأنها كلاب السادة العظماء حينما تتملقهم في وليمة من أجل لقيات ...
وتسمعوا ، فإذا سيرس تغنى بصوتها المعجب المطرب وهي تعمل على نولها ،
مشغولة بنسيج سابري عبقرى عجب ، ليس يقدر على مثله إلا الآلهة .
وكان في رجال الفريق أمير عظيم هو عندي أربطهم جأشاً فقال :
« أسمعون أيها الأصدقاء إلى هذا الغناء الخلو تردده جنبات القصر ؟ إنه
لا شك غناء ربة الدار التي تعمل على نولها ، ولست أدري أربة خالدة
هي ، أم من بنات حواء ... وعلى كل هلموا نهتف بها » . وتنادوا ، وأقبلت
سيرس فهشت لهم وبشت ، وأذنت لهم أن يدحلوها . فدخلوا ، وأأسفاه ،
إلا يوريلاخوس فقد خشى أن تكون ثمة مكيدة أو أحبولة . قادتهم إلى
بهو كبير صفت فيه عروش فخمة من ذهب ، ما كادوا يستقرون عليها حتى
أقبل الساقى بنخمر وعسل ثم جىء بجبن وطعام آخر ، مخلوط بعقاقير سحرية
تذهب وعى آكلها ، وتنسيهم ما سلف من أمورهم ، بل تسلمهم ذكريات
أوطانهم ، ثم ضربت كلابعصاها السحرية بعد إذ أكلوا ورووا ، واستأقنهم
إلى حظائرهم حيث مسخوا فكانوا خنازير ، وإب أبقى السحر على
ألبابهم . أما طعامهم بعد هذا ، فقد كانوا يتناولونه من يدها مباشرة ،
فكانت تطعمهم جوز البلوط والشاهبلوط والسكريز^(١) السكلاني . وما
إلى هذا وذاك من أكل الخنازير الحسيسة السائبة .

وأقبل يوريلوخوس ينتفض من الذعر ، وينمقد لسانه فسا يكاد
يبين ، ثم هدأ روعه قليلاً فطفق يصعقنا بأنباء ما رأى : « أوديسيوس

(١) السكريز : وجعه السكراز بالضم الأقط ، والمراد هنا فاكه السكرير .

ياذا المجد ! لقد ذهبنا نتحسس كما أمرتنا ، ونزود هذا الوادي الأترب ،
فوجدنا قصرًا مشيدًا فوق أكمة عالية ، وسط بطيخة منخفضة ، ذاقبة
سامقة جلست تحتها امرأة أوربة — لا أدري — وهي لا تفتأ تعمل على منسج
بخفية وصنعة ، وترسل الحانًا حنونًا حلوة ؛ وما كادوا يفتنون بها حتى نهضت
فلقيتهم بالبشر وفتحت بابها على مصراعيه فدخلوا جميعًا — حاشاي —
فقد أوجست حيفة ، ووقر في قلبي أن ثمة شركًا نوتك أن نتردى فيه ؛
وقد راقبت رفاقي إذ هم جلوس لحظة غير قصيرة ، ثم هاتني ألا أراهم فجأة !
وما كاد ينتهي حتى قفزت إلى سيفي فتسلحت به وأخذت قوسى وسهامي ،
وأمرته أن ينطلق بين يدي إلى حيث ذهبوا من قبل ، ولكنه ركم أمامي وتعلق
بساقى وجعل يرجو ويلحف في الرجاء ألا أذهب ... « فإنك لن تفشل
في إعادة رفاقنا فقط ، بل قد تفشل في أن تنجو بنفسك . فانطلق بمن
بقي منا ، ويا حبذا لو استطعنا الفرار ! » ولكني أجبته أن له أن يبقى
هوفياً كل ويشرب في السفينة ، ويكون بنجوة مما فزع منه ، أما أنا ،
فلم أر ضرورة لبقائي .

وانطلقت لا ألوى على شيء ، ولكني قبل أن أبلغ البطيخة التي
بها القصر ، لقيني هرمنز الحبيب إله العصا السحرية . وكانت محاليل
الصبا ومداوات الشبات تتدفق في بردتيه ، وحمرة الورد تلهب في خديه ،
لقيني فصافخى متلطفًا وقال : « أيها التعس أيا ن تضطرب وحدك في هذه
الأرض ، وقد حبست سيرس من أرسلت من رجالك في حظائر هابعد إذ
سحرتهم إلى خنازير شقية ؟ هل أقبلت لتنجيهم ؟ أم جئت لتحتجزك

معهم إلى الأبد؟ ولكن اصغ إلى ؛ إني سأحبط ما فعلت ، وسأحريك وأحفظك . خذ هذا العقار^(١) ولا يهملك بعد أن تدخل قصر سيرس فإنه ينقذك من كل خطر ... وهلم أعلمك ما عندها من السحر ، إنها ستمزج لك كأساً من الشراب مما عندها من رجس ، وستصع لك منه في طعام تقدمه لك فكل وارو ولا تبال ، فهذه البقلة العجيبة التي أعطيتك ستحبط كل ما نحيك لك فلا تقدر على مسخك كمن مسخن من رفاقك ... فإذا عاجلتك بعصاها السحرية فاهجم عليها بسيفك غير هيب ، وأرسل إليها شرر الغضب من عينيك فإنها حينذاك تنقاد لك ، وتقودك إلى فراشها ، وتحتال عليك بصنعة الحب وتلطفات الهوى ، فإياك أن تنصاع لها حتى تعطيك موثقها أن تبطل ما أنزلت برفاقتك من سحر وأن تترفق بك فلا تمسك بأذي ، واحذر يا صاح أن تدنس فصل خيرك بما ركب في طبعها من شر . » وانحنى رسول الآلهة فانتقط عتبة من الأرض ثم وضعها في يدي وأخذ يكشف لي أسرارها ويقص عليّ قواها الخارقة . وذكر لي أن اسمها (مولي) ، وبه يدعوها في السماء وأن الآلهة وحدهم يعرفون كيف يشفون بها رُقي السحر ... وكانت جذورها سوداً حالكة السواد أما زهرتها فكانت بيضاء ناصعة البياض كاللبن ... وودعني هرمز ، ثم رف ورف ، وعرج في السماء . وانطلقت أنا أخبط في ظلمات من هواجسي حتى كنت لدى باب ربة السحر التي وجدتها تعمل كما ذكر لي صاحبي على نولها ... وصحّت صيحة عالية ، فأقبلت تتهادى

(١) واحد العقاقير .

نحوى وفتحت مصاريع أبوابها ، ودعقتى ، فدلقت وراءها ، حتى كفا
عند عرش عظيم ممرد فضى ، دى درج ، فاستويت عليه ، وذهبت هى
فمزجت لى كأساً من الخمر بشىء من عقارها ، وقدمته لى فاحتسبته ، بيد
أنى لم أنغير ولم أتحول عن صورتى ، فضربتنى بعصاها السحرية وهى تقول :
« هلم إلى الحظيرة حيث تقرر مع رفقاءك » ولم تكذب تصمت حتى وثبت
من مقعدى وامتشقت سيفى ، وهجمت عليها ، وفى عيني جحيمان من نار
الغضب ؛ فروعت ربة السحر ، وزلزلت زلالا عظيما ، وجرت نحوى ،
وركمت عند قدمى ، وتعلقت بساقى ، وأخذت تضرع إلى وتقول فى بيان
رائع وكلمات باكية : « عمرك الله من أنت ومن أين قدمت وما ديارك ؟
تتكلم ! أنت يا من لم تسحرك جرعتى الهائلة التى لم يذوقها أحد وظل فى
صورته لحظة واحدة ! ولكنك تحمل قلباً لا تجوز عليه نقشات السحر ...
هلم ... تعال ... إلى ... إلى أعرفك أحسن المعرفة . إنما أنت أوديسيوس
الصناع ذو الذكر ، ولقد وصلت إلى هنا من اليوم بدورك فلم يشأ هرمز
ذو العصا الذهبية أن يخبرنى بمجيئك ! ولكن اغمد سيفك ، وهلم نعلم
بالعناق فوق فراشى الوثير كزوجين ، وليفرخ روعك وليهدأ نالاك ...
اطمئن يا أوديسيوس هلم ! » وصمت لحظة ثم انطلقت أجيبها : « سيرس !
كيف تتصورين أن يفرخ روعى ويهدأ نالى وقد حبست فى رحابك
رفاقى وشركاء رحلتى بعد إذ سحرتهم إلى خنازير أيتها الربة ؛ ثم تخشين
إفلاتى فتخادعينى وتبهرجين على بطلاسم الحب ، داعية إياى إلى فراشك
لتشوبى صفاء فضيلتى برجس رذيلتك ... لا ... لا ، إنى لن أقاسمك

هذا الفراش حتى تقاسميني أغلظ الأقسام ألا تلحق بي أذى ، وألا تحاولي الإضرار بي » وراحت تحلف وتؤكد الحلف ، وتقسم وتغلظ في القسم ، ثم إنى انطرحت في سريرها الفخم الديباجي . وأقبلت أربع من عرائس البحر ، حطرن من اليم وأقبلن من العيون والخرج المجاور ليهن بخدمتنا ؛ أما الأولى فقد أصلحت من سريرنا وطرحت عليه مطارف الخرز ؛ وأما الثانية فقد صفت الموائد ورتبت الكراسي ، وجاءت الثالثة بزق عظيم من خمر طيبة ملأت بها الكؤوس الذهبية المنضدة فوق الموائد — أما الرابعة فقد أعدت لي حماماً ساخناً وضمختني بأحسن الروائح والطيوب ، حتى انتعش جسمي الخائر ، وتأرجحت روحي الفاترة ... ثم ألبستني ثوبين غاليين من أندر الديباج ، ومشيت بين يدي إلى عرش عظيم مزدان بأحسن التصاوير ، مطعم بالذهب والفضة ، فاستويت عليه ، واضعاً قدمي على درج من لباه ناعم . . . وأقبلت بعد ذلك عروس أخرى فصبت الماء على يدي من إبريق من ذهب ، في طست من فضة ، وجاءت بمائدة حاملة بأشهى الآكال فوضعتها قدامي ، لكنني ما مددت إلى شيء من ذلك يدي ، لما كان يساورني من الهم ، وما يشغل بالي من الانتقام ؛ فلما لحظت ذلك سيرس أقبلت تيمس ، وأخذت تلاطفي وتقول : « مالك تجلس ساكناً هكذا يا أوديسيوس ، كالذي غشى عليه ، ما تكاد تمتد يدك إلى شيء ، كأن ألف وسواس يخامرک ؟ ألا تزال تخشى مكيدة فتخاف أن تتردى فيها ؟ ألا ما أكبر غفلتك يا صاح ، إطمئن ، فلقد أعطيتك موثني وحلفت لك بأغلظ الأيمان ! » وأجبتها قائلاً : « كيف تمتد يدي

إلى طعام أو شراب ورفاق لا يزالون في إسار سحر ك ؟ أبداً إن أذوق
شديداً حتى ترديهم إلى صورهم ، ثم ألتقي بهم » ونهضت تحمل عصاها
السحرية ، وذهبت من فورها إلى الحظائر حيث أطلقت رفاقى ، وكأوا
لا يزالون في صور الخنازير ، ثم جاءت بترياق فمسحتهم به ، فعادوا إلى
صورهم البشرية ، وبدوا فى أنضر شباب وأصباه ، ثم أقبلوا نحو
يلثمون يدى ، ودموع الفرح تبلبل مآقيهم ، وطفقوا يصيحون ويصخبون
وتردد أصداءهم جنبات القصر ، حتى تأثرت سيرس نفسها مما رأت ،
وراحت تقول : « يا ابن ليرتيس الصنّاع ، هلم إلى مركبك فاستددها فوق
البر لتسكون بمأمن من غوائل البحر ، سم خبيء كنوزك وأذخارك في
غيران هذه الجبال ، وعد إلىّ في جميع رفاقك » وطربت لهذه العسكرة
فهرولت إلى الشاطئ حيث لقيت رفاقى الآخرين يندبوننا ويذرفون
دموعهم علينا . وما إن رأوا حتى أهرعوا نحوى برقصون ويطربون
ويحيون كهذه البهائم التى تعود فى المساء إلى حظائرها فتتلقاها صغارها
بالثغاء والرغاء والضوضاء . وهكذا تلقانى أولئك الرفاق . وبدأت دموع
أحزانهم بعبرات المسرة ، وخيل لهم أنهم رأوا فى وطنهم النائي المحبوب
إيثاكا ، حيث ولدوا وحيث نشأوا وترعرعوا ... قال قائلمهم : « تالله
لكأنا رأينا فيك أوطاننا يا أوديسيوس ، وتالله لقد ظفرت قلوبنا حين
عدت إلينا فعدت أرواحنا إلى أبدانها . حدثنا أيها العزيز كيف هلك
إخواننا فى هذا التيه » . وقلت لهم : « هلموا أولا نجر مركبنا على هذا
السيف الهادى ، ولنخبيء أذخارنا وسلاحنا فى غيران هذه الجبال ،

وانطلق جميعاً إلى سيرس حيث ترون جميع رفاقكم في أمانة وعز
 وطعام وشراب ، ونعيم مقيم . « وصدعوا بما أمرتهم إلا يوريلوخوس ،
 فقد سَمَرَ مكانه ، وكأنه لم يحفل بما أخبرت به ، ثم حرك شفتيه فقال :
 « وحي لنا نحن الأستقياء المائسين ! فيم ذهابنا نحن الآخرين إلى قصر
 سيرس ، وقد تمسخنا جميعاً إلى سباع أو ذؤبان أو خنازير ، ونظل إلى
 الأبد يحرس عرينها مرعمين ؟ لقد ذهب كثيرون منا ضحية هوس
 أوديسيوس وقلة بصره ، يوم حبسنا السيكلوب من أجل أطاع رئيسنا
 الطياش^(١) ! » وأوشكت أن أضرب رأسه بجرازي ، فيخر إلى الأرض
 برغم ما يربطني به من آصرة الوطن ووشيجة الغربة ، لولا أن هب
 رجالى الآخرون يصرخون ويقولون : « أوديسيوس الكريم ! لنتركه
 هنا ليخرس فلكنا ، أما نحن فراحلون معك إلى قصر سيرس ، ولو كان
 ملئه الفزع الأكبر ! » وتدفعوا من السفينة على الشاطئ ، وانخرط
 يوريلوخوس بينهم منصاعاً لنظراتى المتأججة .. أما ما كان من سيرس
 حينذاك ، فإنها أدخلت رفاقي إلى حمامها ثم ضمختهم بأحسن الطيوب ،
 وخلعت عليهم أفخر الملابس ؛ ولما وصلنا وجدناهم يطعمون ، فما إن
 رأونا حتى هبوا يعانقون أصحابهم ويبكون ، ثم جلسوا يستمعون إلى
 قصة ما حل بإخوانهم ، وهم يصعدون زفرات الحزن ، ترددها قباب
 القصر . ونهضت سيرس فوجهت إلى الخطاب إذ تقول : « ابن ليرتيس
 العزيز هون عليك ، وليرفه رجالك عن أنفسهم ولا يستسلموا هكذا

لفوبة الحزن ، واسترقاً دموعهم جميعاً .. إلى لا أجمل ما تحشموا من
أهوال في ذاك البحر المضطرب ، وما لقوا من فوادح في كل أرض ، ثم
كتب لهم في لوح القضاء ... واسكن ، تعالوا جميعاً . أنعشوا نفوسكم
الخالدة بكنؤوس الراح ، ولتستشعروا بأسكم الذى كنتم تستشعرونه يوم
عادرتم شطآن إيثاكا العزيزة ... إنكم إن لم تناسوا آلامكم فإنها تفت
في عصدكم وتوهى من قوتكم وتكون أبداً حلفاً لكم وإلباً عليكم ، ولا
تعودون تشعرون معها بلذة العيش وبهجة الحياة ! » ، ووقعت كلماتها في
قلوبنا فأقبلنا على الطعام والدمام ؛ ثم إننا أقمنا عندها عاماً بأكمله في
أرغد عيش وأحسن حال ، متقلبين في أرفه نعيم ؛ ثم استدار الزمان ،
وهتف بنا قانون الأزل ، فدعاني رجالى إلى جلسة خارج القصر فقالوا
لى : « تذكر يا مولانا لوطننا الأول ، فإننا نحن إليه ، ونتمنى لو ساقطنا
المقادير إلى شطآنه » ، وكأما نبهوا منى عافلاً ، فتلبثنا يومنا هذا على
مائدة ربة السحر في بلكنية وعيش محفرج وخمر ، وأقبل الليل فأوى
كل إلى فراشه ، وأويت أنا إلى سيرس فدايتها ولاطفها ، ثم قلت لها
فى رجاء وظرف : « سيرس ياربة ؟ حبدا لو وفيت بهدك فأرسلتنا فوق
هذه البحر رحمة بنا ، لتقضى حاجات الوطن ، ولتقطع شكاوى صحابى
التي مزقت نياط قبي » . وفالت سيرس : « أوديسىوس العزيز ، المعروف
بأصلة الرأى ورجاحة الفكر ، إنى لن أقسرك على البقاء هنا ، لأنت ،
ولا أحداً من رفاقك ، واسكنك قبل أن تفكر فى شد رحالك إلى
بلادك ينبغى أن تذهب فى رحلة شاقة بعيدة المدى ...

إلى هيدر^(١) ... دار يلو تو^(٢) و برسمونيه ... حيث تلقى النبي الصّديق الصالح تيرزياس ، الذى احتفظ وحده فى عالم الموتى بكل أسرار وقواه الغيبية الحارقة ، والذى يشوى فى رحاب مليكة الغناء يتنبأ لها وتستوحيه وتشتثيره فيعرف^(٣) لك دعما يهكم ويقفك على ما ينطوى لك من صحف الغيب » وما كادت تنتهى حتى احلوا لك الدنيا فى عينى وتدفقت الهموم فى نفسى ، وأجهشت وأجهشت ، ثم استخرطت فى بكاء طويل . وما كدت أصحو من هذه النوبة حتى قلت لها : « أنى لى يا ربة أن أذهب إلى هيدر ؟ ومنذا الذى يحدونى إليها ، ولم يسقنى إليها أحد من أحياء البشر ؟ » فقالت تيجينى : يا سليل ليرتاس العظيم ليفرخ روعك ، ولا يحزنك ألا يكون لك إلى هيدر من دليل . بل هلم إلى سمينتك فأصلح قلاعها وانشر شراعاها وستهب الصبا سيجسجاً فتدّهدبكم رويدا ، فإذا جرت هذا البحر المحيط ، وبلغتم الشاطئ الهز^(٤) الذى تنمو فوقه أشجار الحور والصمصاف الباسقة ، ثمّة باسم برسمونيه ، فادفعوا اليه بسفينتكم ثم تهاووا إلى مثنوى يلو تو السحيق الذى يبتدىء عند الصخرة الهائلة التى تتكسر فوق أواذيتها أمواه أشيرون^(٥) وستيكس وكوكيتوس فاتركوا سفينتكم ثمّة ، واحفروا عندها حفرة ذراعا فى ذراع صبوا فى جهتها الأولى قربانا من لبن وعسل ، وفى الثانية خمرا معتقة

(١) الدار الآخرة (٢) إله الموتى وزوجه

(٣) يتكهن — من العراة بالكسر

(٤) الذى ينز الماء مصدر استعمل صفة oozy

(٥) تفاق الشين كافاً مشددة وقد آثرنا الشين فى كل كتبنا لتسهيل النطق .

من أحسن ماتعصرون ، وفي الثالثة ماء قراحا ، فإذا كانت الرابعة فانتثروا الدقيق فوق الجميع ، واصنعوا ذلك باسم الموتى جميعا ، ثم اندروا لهم أن تذبحوا - يوم تعودون إلى إيثاكا سالمين - عجلًا جسدا من أحسن قطعانكم : وانذروا كذلك لثيرزياس كبشا سموريا ليس في أغنامكم أسمن منه ولا أقوى جلادا ، فإذا فرغتم من صلاتكم ونذوركم وأدعيتكم لجميع الموتى من كل الأمم فاذبحوا في الحال كبشا ونعجة سمورية ، على أن تكون رأسا الضحيتين تلقاء إربوس وعلى أن تشيحوا بوجوهكم تلقاء الشاطئ ، فإذا صنعتكم كل هذا فسرعان ما ترون أرواح الموتى تقبل محوكم من كل فج ، فسارعوا إلى ذبائحكم فاسلخوها وألقوا بلحمها في النار مصلين ملبين داعين كما تهدأ نفسا بلوتو وزوجته پرسفونيه ، ولا تسمحوا لأرواح الموتى أن تقرب أضحياتكم ، وذودوهم عنها بأسيا فكم حتى تلهجوا تيرزياس فادما فيلقاكم ويحدثكم ويوضح لكم ما غم عليكم من سبيلكم في هذا البحر الرجراج المتلاطم بالأمواج « وسكنت ، وانبلج الصبح ، فنهضت تصلح من أثوابها وتضفي عليها من شغوفها البيض كالندف ، ونثر فوق رأسها تلك الغلالة الرقيقة كالثلج . أما أما فنهضت كذلك ، واكتسيت صدارى ودثارى ثم توجهت إلى رفاقي فأيقظتهم وحثتهم على الإبحار من تونا كما رسمت سيرس . وقد هبوا جميعا إلا قى يافعا لم يكن له يدان في هذه الشدائد ، بل كان كل همه في كأس من خمر ينطرح بعدها وهو لا يعي شيئا وكان اسمه أليثور ، وكان قد غرق في سبات عميق فوق سطح القصر ، وقد أفزعته ما سمع من جلبة أسلحتنا فهب من

من نومه مخوراً متخاذلاً وساقته قدماءه إلى حافة السطح فزَلَّعاً
وسقط إلى الأرض ، ودُقَّ عُنُقُه ، فسقت روحه إلى هيدز . وقالت
لأصحابي لما اكتمل جمعهم . أنظنونا أنا مبحرون إلى أوطاننا ! كلا
يا رفاق ! فأماننا رحلة طويلة شاقة إلى هيدز ، حيث ينبغي أن تلقى
تيرزياس النبي الصالح ليُعَرِّفَ لنا ويقفنا على صفحة مما يطوى لفسا
الغيب ، هذا رسمت سيرس ، وإنا انصيحجتها لسامعون ! » ، وحفقت
قلوب إخواني ، ونظر بعضهم إلى بعض ، ثم جلسوا يشدون تنوعهم من
الحسرة ، واسكنهم صدعوا أخيراً ، بعد إذ أيقنوا أن لا شيء غير هذا
. ينفعهم . وانقلبوا إلى البحر ، وكانوا لا يزالون يذرون دموعهم ويصعدون
حسراتهم . وفيما نحن ذاهبون ، كانت سيرس تسوق إلى السمينة كبشاً
عظيماً ونعجة ممتورية . . . وإن كنا لم نرها قط ، ومنذ الذي تستطيع عيناه
أن تريا ربة كريمة رائحة أوجائية إن لم تشأ هي أن تكشف عن
نفسها ؟ »



أوديسيوس يروي قصته
رحلة أوديسيوس إلى العالم الثاني

« وذهبنا إلى الشاطئ وأزلنا الفلك إلى الماء ، ثم أصلحنا القلاع
ونشرنا الشمراع ، ووضعنا القرايين على السطح ، وذرفنا من الدموع
ما ساءت لنا الهموم والآلام ... وأقلعنا .. وأرسلت سيرس بين أيدينا
ريحاً رخاء كانت خير معوان لنا وخير رفيق في سفرتنا الرهيبة هذه ، حتى
لتركنا لها مقاليد الفلك ، وأنسَدَخْنَا^(١) فوق السطح من غير ما عمل .
ولم تزل تجرى بنا طول هذا اليوم ، حتى إذا أوشكت الشمس أن توارى
بالحجاب ، وقارب الظلام أن يلقى أُرْدَانَهُ على السكون الهادي ،، أشرفنا على
تخوم الحجر الأعظم ، حيث تنهض مدينة السمريين التي ينعقد من فوقها
دَجَنُ^(٢) كثيف وظلمات داجية ، فلا تنفذ إليها شعاعة من نور ، ولا
يحيطها رسول شمس هذه الدنيا العاملة الدائبة ، التي يسطع في سماواتنا
ركبها الفخم ، فهي ألدّاء في ليل متصل مدّهم ، لا تنجّاب عنها غواشيّه .
وهنا ، ألقينا مراسينا ، وأنزلنا الكبش والشاة إلى البر ، وانطلقنا فوق
سيف البحر إلى حيث أمرتنا سيرس ، وتركنا يوريلاحوس بن
برميد عند القربانين ، وعنيت أنا باحتفار الوهدة فجعاتها ذراعاً في ذراع ،
ثم شرعت أصب تقدمات الشراب باسم الموتى ، فبدأت بمزيج اللبن والعسل

(١) انسَدَخَ : ام وفرج بين ساقيه .

(٢) السحاب الظلم .

المصفي ، وأتبعته بالخر المعتقة ؛ وثلثت بالمساء القراح ؛ ثم نثرت على ذلك كله دقيق الشعير ؛ وصلبت من أجل الموتى ، ونذرت — إن عدت إلى إيثاكا — أن أضحي لهم بمجمل جسد ذى خوار يكون أسمن وأقوى ما فى قطعانى ؛ أذبحه وأحرقه فى نار مجللة بكل ما يشوق الأشباح من أرواح وطيوب . وخصصت الكاهن الطيبى (تيرزياس) فنذرت أن أضحي له بأحسن كباشى وأعظمها منة ثم شمرت عن ساعدى ، وذبحت القربانين فتدفق الدم فى الوهدة ... وهنا ... أهرعت الأشباح من كل فج ، وأقبلت مهطعة كأسراب الدبى^(١) ... يا للآلهة ! هنا ، زرافات العذارى جو عن كأس الحمام فى ميعة الصبا ؛ وهنا ، جموع الشباب اليافع كأفواف الزهر غالم عاды الردى ؛ وثمة ، عرائس سادرات تسربلن سواد الحزن ، فجأتهن المايا ليلة الزفاف ؛ وهناك ، أطفال كأكام الورد لما تفتح قطفتهم أيدي المنون ؛ وعن كشب ، وقفت كواكب المحاربين الذين لطحوا بالدماء وجه البسيطة .. والآباء والأمهات والأجداد ... أقبوا يتدافعون نحو الوهدة صائحين صاحبين ، قاذفين فى قلوبنا الرعب ... ثم هتمت برجالى مشرعوا يحرقون القرايين ويصلون لرب هذه الدار — پلوتو — ولزوجه ، ورحت أنا أذود الأشباح الهائمة عن دم الضحايا بسيفى أضرب به ههنا وههنا ، حتى لحث روح رفيقى أليينور^(٢) الذى تركناه فى أرض سيرس دون أن نقيم له شعائر الموت لما كنا بسبيله من همرم .. لحث روح رفيقى فتصدعت ، ثم ذرفت عبرات وعبرات ، وكلمته قائلا : « أليينور !

(١) الحراد .

(٢) التمل الذى سقط من السطح فمدق عنقه (الفصل السابق) .

يا صديقي ! كيف وصلت إلى ظلمات هذه الدار الآخرة في مثل هذه السرعة ولم تحملنا إليها سفينتنا إلا بعد لأى ؟ عمرك الله هل سبحت في الهواء ؟ أم طويت إليها الرحب ماشياً ؟ » واهمرت من عينيه دموع ودموع . ثم قال يجيبني : يا ابن ليرتيس الغبيل ، المعروف في العالمين بالحكمة ودقة الفهم ، لقد أودى نى السكر فسقطت من سطح سيرس فدق عنقي ، وأسرعت من ثمة على درج الظلمات إلى هيدز .. على أننى أستعطفك بكل عزيز عليك ، بـنـلـوب ، بالنار المقدسة التى تتأجج عن قبسها حياتك ، بولدك الأوحد تليماك أن تجمع ما تبقى من سلاحى وعقادى إذا عدت إلى سيرس ، وإنك إليها لعائد حين ترجع أذراحك من عالم هيدز ، وأن تحرق جثمانى فى نيران هذا العتاد ، ثم تصلى لى ، وتضرع إلى الآلهة من أجلى حتى أقر هنا ، وتهدأ فى تلك الظلمات روحى ، وأن تغرس فوق السكومة التى تشمل رفاقى ، مجدافى العزيز الذى عملت به فى البحر تحت إمرتك ، وفى ذرى سلطانك وقيادتك ، حتى يذكرنى فى العالم الغانى الذاكرون . ووعدته أنى فاعل . ثم لم أزل أذود الأشباح عن الدماء المتدفقة . وخبأة لحت بين أرواح الموتى تنبح أمى ! أمى المحبوبة أنتكليا ابنة الشجاع أوتولييكوس ، التى تركتها يوم عمت شطر طروادة قوية ، غريصه الصبار يانة الشباب . وما وقعت عيى عليها حتى أجهشت وأجهشت ، ثم انهمرت من مقلتى أحر العبرات ... ومع ما كان يعتلج به صدرى من الأسى عليها ، فقد ذبتها عن الدماء كذلك ، وبى من الهم لتلك الفعلة ما أوهننى وأضوانى . ثم أقبل نبى طيبة وكاهنها الجليل ، يتوكأ على عصاه الذهبية ؛ وما كاد

يحملق فيّ قليلا حتى عرفني وحاطبني يقول : « لم غادرت الدنيا الدافئة
المشرقة أيهدا الشمس ، وقدمت لترى هؤلاء الموتى ولتصرب في ظلمات
هذا العالم العبوس ؟ ! ولكن نَحْ هذا السيف قليلا حتى أخرج من تلك
تلك الدماء ، وإني لمحدثك حديث الصدق عما جئت من أحله .
وأعدت سيفي ، وانحنى السكاكين فعب من الدماء ما شاء ، ثم قال لي :
« أوديسيوس ! إنك تجتهد أن تعود أدراجك إلى بلادك ، غير أن طريقك
إليها مخوفة بالمشكاره ، ممتلئة بالعقبات ؛ وإن لك فيها أعدوا لدودا يتأثر ،
ذلك هو نيتيون الذي أسخطته بما سمات عين ولده السيكلوب (بوليفيم)
على أنك واصل بعد أهوال جسام إلى وطنك ، فإنك إن كبحت جماع
شهواتك ، أنت ومن معك ، فإنك واصل يوما إلى شطآن تريناشيا ،
وتكون قد أفلت من روع اليم وأرزائه ، فإذا كنت ثمة . فاحذر أن تمس
قطعان رب الشمس السائمة في الجريرة بأذى إن كنت جد حريص على
العودة إلى بلادك سالما ، مهما اقتحمت بعد ذلك من عُباب وعِقاب .
فإذا مسها منكم أحد بأذى ، فويل لكم جميعا ! إن فلكك تغوص إلى
الأعماق ، ويفرق رجالك أجمعون ؛ أما أنت فتنبجو بعد جهد ، وتلقطك
سفينة عابرة وتعود بك بعد شقاء وبلاء ، وعناء أيما عناء ، إلى وطنك
الذي ينتظرك فيه ألف ويل وويل ! ستجد قصر ك المنيف محتلا بظفمة
أشرار من عشاق زوجك الوفية لك ، يُريغون حيرك ويُذبحون شاك ،
ويغرون بنلوب بالعطايا والرشي لتختار من بينهم بعلًا لها . ولكنك
ستنتقم منهم وتنتصف لما قدموا من سوء ، وستبيد جموعهم ؛ فإذا تم لك

النصر عليهم فانطلق من فورك إلى الشعب الذى لم ير البحر أحد من أهله ولم يذق الملح أحد منهم قط ، وليكن معك مجداف عظيم يدلك عليهم فانهم إن رأوه عجبوا من منظره ، وظنوه مذكراً مما يذرى به القمح ؛ فإذا عرفتهم فاغرس المجداف فى أرضهم ، وضح لنبتيون رب البحار بعجل جسد وكبس سمين وخنزير كنار^(١) ، ثم تبتل إليه وأخبت ، وانطلق إلى وطنك وضع بأحسن ما تملك من الشاء والنعم للآلهة ، وصل لسكل منها واخشع ، تعش آمناً غاماً ، وتمت بعد حياة هادئة مودة قريرة ناعمة بعد حكم عادل طويل ، وشيوخوخة هائلة موفورة ... هذا من أنباء الحق عرفتها لك .

وقلت له : « أنا لا أكذبك يا تيرزياس فيما كشفت لى من أنباء الغيب ؛ ولكن جعلت فداك : إني ألمح شبح أمى جائئاً بانقرب من الدم دون أن تتمطف بكلمة واحدة على ابنها الحبيب . فن ذالذى يشعرها أنى — أنا ابنها الأوحده — قريب منها ! » فقال : « لا أير من ذلك يا بنى ! فإنك إن تركت أيئاً من هذه الأشباح يرشف رشفة من ذاك الدم ، فإنه يتحدث إليك بعد ، وينبئك بما تشاء » . ثم غاب شبح الكاهن فى ظلمات مملكة يوتو ، وسمرت أنا مكانى أنتظر شبح أمى ، التى ما كادت تتذوق الدم حتى عرفتنى ، وانطلقت تكلمنى فى ترفق وحنان : أى بنى كيف أتبيح لك الضرب فى دياجير هذه الدار الآخرة وأنت لا تزال حياً تدب على رجليك ؟ ! ألا ما أشق هذا على بنى الموتى من أهل الدار لأولى ! إن ههنا أنهاراً من حميم يدور بعضها على بعض ، وقد تعانى

على شطآنها بعباب حمىء ، وبحيط بها البحر الأعظم الذى لا تشق
أجباله فلك ، بله قدم سائر عابر ! أواه ! لقد ذرعت البحار شرقاً ومغرباً
فى رحلتك من اليوم ، أنت ومن معك ، ولما تصل إلى إيقاكا
العزيزة ! » وسكتت قليلاً ، فسألتها « الظروف القاسية وحدها يا أماه
هى التى قادتنى الى مملكة يلو تو ، ليعرف لى السكا هن الصالح الطيبى
تير زياس ، ولقد تجشمت الأهوال الثقال منذ توجهت مع أجا بمنون للقاء
أبناء طروادة . وهأنذا منذ ذلك اليوم لم تطأ قدماى أرض وطنى ...
ولكن ... نبئنى يا أماه أية ضربة أودت بحياتك الغالية ؟ هل سمك
دمك أحد ؟ أم أصماك سهم من ديانا ؟ .. وحدثنى كذلك عن ألى
السند الشيخ ، وعن ولدى تليماك ، وحدثنى عن ملكى وعنادى ، هل
غلب عليها أحد من سادات البلاد ، حين يئس الكل من عودتى ؟
وخبرى عن زوجى ، ألا تزال تعيش مع ولدى محاصة وفيه لى ، أم
تزوجت من أحد أمراء هيلاس ؟ ! » وقال الشبح الكريم يمجينى :
حاشا يا بنى ! إنها لا تزال وفيه لك ، مبقية على ذكراك ، مبقية فى قصرك ،
وإن تسكن تقضى ليلاتها وأيامها فى حرن ممض عليك ، ودموع جارياة
من أجلك ، وآلام ما تنتهى لبعذك . أما أملاكك فلا تزال لك ، وما
يفتأ ولدك بغلبا باسمك ، وما يفتأ يغشى الولائم فى أهبة الأمراء ، ورؤاء
الأمائل العظاء ! ولم يزل أبوك مقياً فى مرارحك ، عزوفاً عن المدينة
وبهرجها ، وأرائك القصور وزرايتها ، وهو يقضى أيامه يصطلى نار المدفأة
فى الشتاء ، قابعاً على فروته الفقيرة المتواضعة ، غاراً فى أنماله ومزقه ، فإذا

جاء الصيف ، أو فجأه الحريف ، اعتكف في ناحية ، وانطرح على
المهشم المساقط من الأشجار ، وراح يعالج من الحزن عليك ، والبكاء
بسببك ، ما يوهيه ويضنيه ، طوال تلك السنين السوالف ؛ وهكذا
هلكت أنا الأخرى من طول التجمع عليك ، والتصدع من أجلك ،
فلا ديانا أصمت فؤادي بسهم ، ولا اعتدى على معتد ... بل الحزن وحده
يا أوديسيوس ، والوحشة والصنى ، وطول الوجد ، وذكراك في كل
حين ؛ كل أولئك يا بني اختصر عود حياتي ، وعمل إلى ماتي ! « وما
كادت تفرغ من حديثها حتى أزرفت^(١) إليها أود لو ضممتها إلى
صدرى ، بيد أنى فشلت سرّة وأخرى وثالثة ، إذ كانت تنفث في كل
مرة من بين ذراعيّ كما ينفث الظل . أو كما يسرى الحلم . ولم أطق على
ذلك صبراً فقلت لها : « لماذا تأبين على عناقك يا أماء وقد نتداوى به
ما بنا من شجو ، ولو كنا هنا في مملكة يلو تو ؟ أم ياترى أرسلت إلى
پرسفونيه شبحاً يعث بي ويتضاحك علي ؟ ! » قالت : « أواه يا بني ،
يا أنعس بنى الموتى ! ألدأ ما حاولت ربة هيدز أن تعث بأحد ، ولكنها
طبيعة الموتى هنا ، فهم لا عضل ولا لحم ولا عظم ، ولا ما ذهبت به النار
بعد الموت في الدار الأولى .. بل هم أرواح تشبه الظلال أو الأحلام في
حقتها وسرعة انفلاتها ... ولكن هلم فعد أدراجك إلى النور ... فلقد
جاءك من الحق ما هو حسبك » . ثم همهمت حول أشباح العذارى
والأرواح من بنات هيدز ، سعين من عند پرسفونيه ، فامتشت سيفي ،

وظفقت أذودهن فلا يقربن الدم إلا بإذنى واحدة بعد واحدة ، لتقص على كل منهن قصة حياتها . ولقد كلت تير^(١) الحسنة ، كريمة المحمد ، طيبة الأعراق فذكرت لى أنها ابنة سالمون وزوجة كريتيوس بن إيولوس - وأن أينپوس إله السلسيل ، أعذت أنهار الدنيا - قد كان مشغولاً بها حباً ، وأنها طالما كانت تغشى شطآنه النضر ، وخائله الخضر من أجل ذلك . وأنها كانت يوماً تلعب هناك ، فإذا شبّح جميل كأنه شبّح حبيبها يظهر فجأة ثم يأخذها بين ذراعيه ، ثم يعلو طوفان من اليم يطويهما معا ، ثم تفيق فتري نفسها بين ذراعى نبتيون الجبار رب البحار الذى يشاكيها غرامه هو الآخر ، ويبتها حبه ، ولاعج قلبه ، ثم يهوى بها إلى أعماق مملكته السحيقة ، ويعاشرها كزوجة ، ثم يرسلها بعد أن يوصيها بولديه التوأمين منها ، ثمرة الحب السرمدى المقدس . . . ويغوص في اليم . وتعود هى إلى بلدها فتضع ولديها العظيمين - وزيرى جوف الأكبر - بلياس ونليوس - ويشب بلياس ويضرب فى الأرض ، فينتهى إلى مروج إياؤلخوس ويرعى ثمة بهمه وقطعانه ؛ أما نليوس فيسكن الملقع الجذب من أرض پيساوس ... وتتزوج كريتيوس بعد ذلك كله ، فتنجب منه أبناءها الثلاثة الآخرين^(٢) ، ذوى الشهرة والمجد . ثم كملت انتيوس ابنة آسوب التى راحت تفخر بما كان بينها وبين

(١) لم نشأ أن نعلل أحاديث أوديسيوس مع بات هيدز كما فعل بعض مترجى هومر . بل آثرنا إثباتها كما هى ، ونحن نحل القارىء عن اللام لأن الأوذية أعلى من أن تمل .

(٢) حددنا هنا الأسماء مؤقناً

جوف — كبير آلهة الأولمب — من هوى وصباية وجب ، وأنها أنجبت له ولديه العظيمين أمفيون وريتوس منشيء طيبة العظيمة ذات القلاع والتلاع والأبواب السمعة ... ولقيت بعدها ألكمينة ابنة أمفثريون حبيبة جوف ، وأم هرقل الحديدي الجبار ... ولقد ذكرت لى أنها تزوجت من كريون بعد ، وأنجبت له ابنته ميجارا ، زوجة ابن أمفثريون ... ؛ ؛ ... ولقيت الحسناء أيبكاست^(١) أم أديوس الملك التاسع ، الذى تزوجها وهو لا يدري أنها أمه بعد أن ذبح أباه ، فصبث عليه السماء سياط عذابها ، وذهب على وجهه فى الأرض حيران ؛ أما أمه فقد سبقت روحها إلى هيدز بعد إذ شنقت نفسها فى سقف بيتها ؛ تاركة ولدها لربات العذاب يسمنه الخسف ويجرعنه الأوصاب ... ولقيت الغادة الحسان حلوريس التى هام بها نليوس ونتر تحت قدميها هداياه ، فأسلست له ورزق منها أبناءه الثلاثة نسطور وخروم وبركل ، الميامين ذوى الحد ... ثم كلمتنى ليدا روجة تندار ، أم كاستور الصديد وپوللكس الملاكم العتيد ، إنهما ينعمان بنعمة زيوس أى الآلهة ، مهما يتبادلان الموت والحياة ، سنة فسنة^(٢) ، وفاء منهما ومحبة وإعزازاً ... ؛ ... ثم رأيت إفيميديا الحبيبة التى نخرت بهيام نبتيون والتى أنجبت له طفليهما الجميلين أوتوس وإفالت اللذين برا بحمالهما كل من دب على وجه الأرض ، باستثناء أوريون ... يالهما من طفلين ! ! لقد شبا نيران الحرب

(١) وردت عنهما أسطورة رائعة مدسرها قريباً فى الجزء الثانى من كتابه أساطير الحب والجمال عند الإغريق .
(٢) چوكستا

على آلهة السماء وحاولا رفع أوسا إلى قمة الاولمب فجعلها يايون على أوسا
ركاما ، وقد أوتسكا أن يفلحا لولا أن ذبحهما نريوس وولده أبوللوايكونا
عبرة لغيرهما ... فيا للموت ! هذا المعتدى على سبابهما الغض ، فأذبل
الحدود وأذوى الورود !

ورأيت بعد ذلك فيدرا ، ولقيت آريادن المفتان وپروسير اللعوب ،
أما آريادن فقد حملها ثيزيوس من كريت إلى مراديس أثينا ... ولكن
وأسفاه ! إنها ما تمتعت ثمة لا قليلا ولا كثيرا ، فقد أصمتها ديانا الغادرة
بسهامها ، وشهد فعلتها المنكرة باخوس العظيم ... في ديا
ورأيت ميرا ... وكليمنيه ... وإريفييل التاعسة التي قبلت أن
تنال ثمن روح زوجها من الذهب

والآن ! ! وقد أوشك الليل أن يلقى علينا طيلسانه فما أحسنى
أستطيع أن أحصى زوجات الأبطال العظام وبناتهم اللأى لقيت في
هيدز ، فأرجو لو أمر الملك فانطلقت لأستريح في سفينتي ... أو هنا إن
أذن .. وكلية ثقة فيكم ، وإيمان بالآلهة ، أنكم ستدبرون أمر إبحاري
إلى وطني حتى الصباح ...

وسكت أودسيوس ، وصمت الجمع المحتشد في الردهة الملكية فكأن
على رؤوسهم الطير من روعة ما حدث ، حتى نهضت أريتا الملكة ،
ذات الذراعين العاجيتين ، فقالت : « أيها الفياشيون كيف أنتم وهذا
المهاجر النبيل الذي رادته الآلهة بسطة في العقل والجسم ، وأضفت عليه

هذا البهاء وذلك الرواء ؟ إنه ضيفي ، بيمد أنكم تشركونني في صيافته والاحتفاء به ، تخليق بكم ألا تسرحوه على عجل كما يجب ، بل حرى بكم أن تستبقوه أياماً حتى تخلعوا عليه ، وتقدموا له أطرف الهدايا وأعز الآهي ، وتقيثوا عليه بمحبةكم السماء ، فكللكم غنى جم الغناء ، ثرى واسع الثراء . وتكلم البطل إحنيوس ، أكبر أسراء فياشيا وأتقدم ذكرها فقال : « إن مليكتكم ذات المجد والكبرياء يا أصدقاء ، لا تبدى رغبة نخسب ، بل هي تصدر عن إرادة عالية وأمر سنى ، فخبذا لو أوصحتم وصدعتم .. على أن كل شيء هو رهين بمشيئة الملك ، فليز إذن رأيته . » وقال الملك : « إني أوافق على ما رأت الملكة ، زهرة فياتشيا وسيدة البحار ؛ ليمبق الضيف إلى غد إذن ، برغم ما يحدوه من الشوق إلى بلاده ، حتى أسبغ عليه ، وأدبر أمر عودته التي يُعنى بها الجميع » وكأما صادف مقال الملك هوى فى فؤاد أودسيوس فنهض وقال : « ألكينوس ! يا ملك فياتشيا العظيم ! بودى لو بقيت هنا عاماً بأكمله ليمت الملك نعمته على ، وليدبر أمر عودتي سالماً إلى أرض الوطن .. فما أجمل أن أعود بالعطايا والهدايا والنعم ، لأملأ عيون مواطني ، ولأكسب احترامهم وأنال محبتهم بعد طول النأى وفدح البعاد . »

فأجابه الملك : « لله ما أروع ما حدثت يا أودسيوس ! ويكأما حدثت بلسان ساحر عليم يهرج القصص ويوشى الأخبار ، ويروى ويروى ، فى زكاته وفطانه وحذق وترتيب ! أبدأ ما حملت هذه الأرض ألب منك ولا ألبقى فى رواية وتحديث ؛ وأبدأ ما تداكبت

الموسيقى والنعم الحلو من لسانك كلسانك الذرب الحبيب ! ولكن ماذا عندك من أخبار الأبطال الإغريق ، الصيد الصنايد ، الذادة المداويد ؟ حدث يا أوديسيوس ! قل ، قص علينا أخبارهم ؛ أرأيت أحداً ممن شهد معك وقائع طروادة ؟ إن الليل لا يزال في سمفوان يا صاح ، وما بأعيننا من سمة ففأوى إلى فراشنا في مثل تلك الساعة ؛ هلم فحدثنا ، فبنا من حديثك شغف ، وكلنا إليه شوق ، ولو حدثت حتى مطلع العجر ، إن لم ينل منك وصب أو يُعِيكَ ملال .

وقال أوديسيوس : « بورك سيد فياتسيا الملك ألكيموس ! لا يزال في الوقت متسع للحديث وللنوم معاً ، وإن شئت حدثتك طائفة من الأحاديث عن أبطال الإغريق سواء منهم من ثوى تحت أسوار طروادة ومن أملت من الموت ثمة فترصده المتايا في أرض وطنه صبيحاً من كف زوجه الأنيم الزنيم ! إليك إذن ... وحينما هتفت يرسموني — ربة هيدز — بأشباح العذارى وأرواح الحسان فتكبكن واشنين عني إلى ظلمات دار الفناء ، بدا لي طيف أجائمنون — ابن أتريوس — ومن حوله كوكبة من أشباح الدين قتلوا معه في داره بيد إليخستوس . أهرع إلى الدماء فرشف منها رشقات ، ثم نهض فعرفني ، وكأنا شاعت فيه رعدة من الدهشة والذعر ، وتحدرت دموعه الحرار السخينة فوق حديه ، ثم مد إلى ذراعيه يود لو عانقني ، ولكن ... وا أسفاه ! وهل يعانق الشبح إنسياً ؟ ! ونال مني الحزن فبكيت من هذا المنظر القادح الأليم ، وقلت أكله في أسلوب بئس وعبارة باكية : « ويحك يا ابن أتريوس يا ملك الدنيا العظيم

ماذا جرّك كأس المنايا ؟ خبرني ! هل جرّعتها في قرار اليم مغرقاً بيد
 بتيون أم فوق ظهر الأرض حين كنت تسوق قطعانك ، أم قتلت وأنت
 تحارب من أجل نبات أخايا إذ هن محاصرات حلف أسوار مدينتهن ؟! »
 فقال يجيني : « أودسيوس الزعيم النبيل ، يا ابن إيريس الحكيم أبدأ
 ما كنت مغرقاً بيد نتيون ، ولا فوق ظهر الأرض في حومة حرب ريون ،
 بل دبختي اللثيم إيجستوس بعد أن درغيلتي مع زوجتي الآثمة ، حين
 ملق^(١) لي وبالع جهده في الاحتمال لي ، ثم دبختي كما يدبح الثور في مدوده
 وكر على رجالي فذبحهم كما تذبح الخنازير لولية في عرس أو في حمل لزعيم
 عظيم . أوه أودسيوس ! لا جرم أنك قد شهدت ألف معركة ومعركة
 جندلت فيها أبطالاً وراء أبطال ، بيد أنها جميعاً لم تك شيئاً في ذلك
 الحديث الرهيب ! لقد هويينا نتخبط في دماننا التي قشرت الأرض ،
 تحت أخاوين^(٢) حافلة بأطيب الآكال وأشهى الأشربات . ثم ..
 حلجات في أدني الصرخة الرهيبة ، صرخة ابنة پريام ، فكانت ما أروع
 وما أفدح ! لقد انبطحت على الأرض إلى جانب كاسندرا ، قتيمة بيد
 زوجتي كليتمسترا .. ومع ذاك لم أفقد الأمل يا صديقي بل حاولت أن
 أمتشق جرازي ، لكن الخائنة انسحبت كالأمي ، ولم تعبأ بي ، بل لم
 تشأ أن تعض عيني ، أو تسند ذقني ، في اللحظة التي أوشكت أن أطرق
 فيها أبواب هيدز ؟ ! وويلي على المرأة التي طاوعتها يداها فأنت
 هذا المنكر ، وارتكبت إثم قتل زوجها ورفيق صباها ! !

(١) ملق فلاناً وملق له تودد .

(٢) أخاوين وخرن وأخونة ، جمع خوان موائد الطعام

أقد حسبت حين عدت أدراجى أننى سأفيل بالأهل وبالسهل ، من
أبنائى وأهلى وحاشيتى ، ولكنها ... المهاجرة إلغادرة ، التى نزت
بفجورها كل صنوف العجور ، قد سحبت على نفسها أذيال العار والحزى ،
بل هى قد سحبت أذيال العار والحزى على كل أنثى لم ترالنور بعد ، وعلى
كل الصالحات الطيبات من بنات جنسها .

وسكت أجاسمون ، فقلت بدورى : « يا سماء ! ! ما أقسى ما قصت
يد ريوس على بيت أتريوس ، منذ البدء ! كله من الأنثى دائما ! لقد
قتلنا فى غير رحمة ولا رفق من أجل هيلين^(١) ؛ وتدبر لك كليمتمسترا
تلك العمة بينما أنت نازح بعيد عن ديارك ! ! »

قال : « من أجل ذلك أوصيك ألا تلين عريكتك لامرأة قط ،
وإلا تجعلها موضع شرك ومحل ثقتك ، بل إن أسرت لها بشيء ، فخبىء
عنها أتياء ، هذا وإن تسكن زوجك وفيه خالصة لك ، لا يخشى عليك
منها رهق ، ولا غدر كهذا القدر ، لأنها ابنة إيكاريوس وحسب ، ذات
الخصافة واللب ، لقد غادرناها ولما نزل عروسا يوم غادرناها إلى اليوم ،
وعلى صدرها الوفى ولدك الحبيب ، الذى شب ليحمل اسمك ، ويعلى فى
الخالقين ذكرك ، والذى ينتظرك لهفان ليضمك إلى صدره يوم
تعود إلى إيشاكا .. وإنك إلى إيشاكا لعائد ، وبذا
قضت الآلهة ... أما أنا فوا أسفًا على أورست ، ولدى
المسكين ، الذى قتلتنى الغادرة قبل أن أتزود منه نظرة ! اسمع يا أوديسيوس ،

(١) التى فر بها باريس وكانت سببا فى حروب ماروادة

إصنع إلى ، إني سأفء عليك من كنوز خبرتي وتجاريبي ، عليك بالسفر
 في أوبتك إلى وطنك . واستعن على رحلتك بالسكتان لأنه لا ثقة في
 امرأة بعد اليوم^(١) ... ولكن اصدقني ربك ، أين يأوى ولدى الآن ؟
 هل يقيم في بيلوس ؟ أم يشوى في أرخومينوس ؟ أم هو يستدرى بذري
 جدته ، أمى الحبيبة ، في قصرها المنيف بأسبرطة ؟ إنه لا يزال حياً يرزق ،
 ولم يأو بعد إلى دار الظلال هيدز . واعتذر إليه أنى لا أعلم إذا كان
 حياً يرزق أو أنه غدا من أشباح هيدز . وظللنا نتحدث شجون الحديث ،
 ونذرف الدموع على كل ذكرى حتى وافى شبح أخيل البطل ، ابن بليوس
 العتيد ، وفي إثره شبح تيربه بتركوس العظيم وبمقرة منه طيف
 أنقيلوخوس يتدهدى مع طيف البطل المغوار أجاكس الذى امتاز ببسطة
 الجهم وجبروت المظهر على الجميع ما عدا بيليدس وحده ... وعرفنى شبح
 العداء الكبير إياسيدس^(٢) فقال يخاطبني في خفة وظرف : « أودسيوس
 يارجل الدهاء والحدع أى تدبير ليست فيه تدابيرك الماضية وحيماك السوالف
 تتيئاً ما ، أنى بك إلى هذه الدار ؟ أضيف أنت ؟ أم هو طيشك وقلة مبالاتك
 جمالك تضرب في دياجير هيدز ؟ هيدز الرهيبة بيت الأرواح والظلال .
 والأشباح ؟ » فقلت : « أخيل ! يا ابن بليوس العظيم ، يا أشجع أبناء
 أخايا قاطبة ، لقد سمعت إلى هنا لألقى السكاهن الطيبي تيرزياس ليعرف
 كيف أصل إلى شطئان إيثاكا الصخرية ، لأنى عييت بالزوابع والعواصف
 في عرض اليم ، فما استطعت أن أصل إلى أخايا أو أن أرسو في بلادى ...

(١) وهكذا عاد فاستمسك برأيه في النساء حتى في بنلوب

(٢) قد يكون أخيل .

إني أغبطك يا أخيل من أعماق ! فلقد عشت في هناء وعز ، وتجتلك
الناس كأحد آلهتهم ، وها أنت ذا تحكم هنا وتنهى وتأمّر على جميع هؤلاء ؛
الموتى ، فما أجدرك ألا تأسى لأنك مت هذه الموتة في الدار الأولى «
وأجانبى على الفور : « أودسيوس ذا الذكر ، لا تخانّ عزاء يخفف من
وطأة الموت ! لقد كنت أوثر لو أعيش في الدنيا كأحقّ الأحرار الأذلاء ،
وأتبلغ بلمعات قليلات لا تقيم أود الشيخ الفاني ، على أن أقيم هنا ممّا كا
في جميع هذه الأشباح والتهابيل ! ! ولكن تعال ؛ هلم خذني عن ولدى
الحبيب ، هل وصل ما انقطع من حياتي الحربية ، أم هجر السيف وطاق
المعركة ؟ وحدثني عن أنى پليوس الكريم ، ألا يزال يتمتع باحترام
الناس وتبجيلهم وحب الميرميدون^(١) وفدائهم ، أم تجرد من الأبهة ونزل
على حكم الشيب والكبر ، والأيام التي أوهنت عظامه ؟ أو اه يا أبتاه !
لئس لك اليوم أخيل كان ينشر الرعب في جنبات طروادة ؛ أو اه لو وسعني
أن أعود إليك لحظة ، إذن تقسرت الناس على الخضوع لك ، ولأرغمت
كل جبار عصى على تخليقك وذل العبودية لك ، بدل الثورة بك ، وقلة
الاحتمال بشيخوختك » . وقلت أجيبه : « أنا لا علم لي بما كان من أمر
پليوس أبيك ، ولكنني ذاكر لك ما تراجى إلى من أخبار وللك
نيو پتلموس لأنى حملته على سـفائني من سكيروس إلى الجيوش
الحاشدة من أخايا ؛ ولقد كنّا مجتمع للشورى^(٢) تحت أسوار اليوم فما
كان يتكلم إلا لماماً ، وما كان ينطق عن الهوى إذا فعل ، وإذا

(١) حنود أخيل في حروب طروادة

(٢) يحسن الفاعلى أن يذكر أن أخيل قتل قبل سقوط طروادة .

استثنينا نسطور . و... وأنا... فما كان أحد ينهض إلى مقامه ، أو يقارن به من جميع الأبطال الإغريق .. وكنا نكر حول طروادة ونفر ، فما أعرف أن أحداً كان أجراً منه كراً ولا أحقق فسرّاً ... ولقد جندل من أبناء طروادة الصناديد أقراناً وفرساناً حتى ما أستطيع سرّد أسمائهم جميعاً ، بيد أنني أذكر فيمن أذكر منهم يوربييلوس بن تلفوس البطل الذي أغرى (بريائ) نساءه بالرشى ليقنعنه نخوض غمار الحرب إلى جانب الطرواديين ، فما زلن به حتى خاضها هو وجنوده السيقيون ... لله ما كان أجل وما كان أروع !! أبدا ما رأيت زعيماً ولا سيد قوم ، باستثناء ممنون ، أبهى منه ولا أصفى جمالا ! وما أنس لا أنس يوم حصان إيبوس الخشبي ، يوم قمت أنتخير الصناديد المذاويذ من أبناء هيلاس ليكونوا معي داخله ، وكنت على أن أظل عند بابيه الدمري لأرى في فتحه أو إغلاقه ما أرى ... لا أنس ما كان من هلع أبطالنا وذعرهم وذهاب نفوسهم وتحدر دموعهم من هذه المهمة رعباً وفرقاً ؛ أما ولدك ، فيأما كان أشجع ، ويأما كان أربط حاشاً !! إن عبرة واحدة لم تنسرق من عينيه ، بل إنه كان يحثى ويحرص جد الحرص على أن أحتره ، حتى إذا فعلت تقدم متبختراً يجرح رجليه الضمى ، ويغلى صدره بنار الانتقام يود لو يصها على طروادة وأبنائها جميعاً !! وما إن فتحت عليهما ، وأبنا منها بالغنائم والأسلاب والسبي حتى نظرت إليه قبل أن يبحر فما وجدته يشكو رميّة ، ولا يئن من جرح ، ولا أثر في جسمه نلحش مما تصنع الحرب ، وما تسجل فعال مارس .

وزُهي أحييل من كثرة ما أثنيت على ولده فراح يتخايل ويدل
 وسط شجر البرواق^(١) ... وكانت جموع من أشباح الموتى تملأ
 الرب ، وقد جلس كلُّ أوهام على وجهه يبكي ويشكو بشه لغير سميع ،
 وقد رأيت بينهم شبَّح صديق التيلاموني — أجا كس — وكان يحُدِّثني
 في الفينة بعد العينة ، ولكنه لم يشأ أن يكلمني ! ! آه ! إنه لا يزال ينقم
 على ما تسجر بيني وبينه من نزاع على عُدة أحييل (بعد مقتله) ، وما
 كان من طلب ذيتيس^(٢) ألا يلبس دروع ولدها سواي ، ثم ما كان من
 تأييد مينرفا للأم الرؤوم فيما طلبت . لقد كان انتصاراً لي ، كم كنت أوثر
 ألا يكون ، لأنه كان فيما يبدو سبب مقتل أجا كس المغوار ، الذي لم
 يكن فينا من هو أشجع منه إلا أخيل نفسه .. ولقد وجهت إليه ألين
 الخطاب لأفل من سورة غضبه . فقلت له : « أيها العزيز أجا كس ،
 يا ابن تيلامون المجيد ، أما تستطيع أن تغضي ، وأنت في الدار الآخرة ،
 عما شجر بيننا بسبب هذه العدة المشؤمة ؟ اعنتها الآلهة من عدة كُتبت
 فوقها صحيفة موتك ، نخمرنا فيك أشجع فرساننا وأعظم مقاتلينا ! إنا
 ما نفقأ نيكيك ونشكو رُزاًنا فيك ، ونعد فقدك كفقدنا أخيل نفسه !
 ولكن لا تثرِب على أحد قط ، فجوف ، كبير الآلهة ، الذي ما ينفك
 يصب لعنته على جيوش آخايا ، هو الذي قضى عليك بالموت . أيها
 البطل هلم نحوى كيما نسمع إلى الكلم الطيب الذي أجهد أن أترضاك به ؛

(١) شجر كان يزرعه اليونانيون على قبور موتاهم وقد ذكره الفيلسوف أرسطو

(٢) أم أخيل وهي إحدى مرائس الماء .

اتخذ جذوة الغضب علىّ في نفسك ، ولنحسم ما بيننا من حصاد ! «
 بيد أنه ما حرك شفّتيه ، بل لوى عنانه وانخرط في جماهير الأسباح المائمة
 وترك الرغبة الملحة المشتعلة في صدرى شوقاً إلى تكليمه تنطفئ .
 رويداً ... فقلبت نظرى في الأرواح القريبة عسى أن أعرف منها أحداً
 فأثمدت إليه ، فلمحت بينها مينوس سليل جورف الأكبر ، وكان يجلس
 على عرش مرمّد للقضاء بين الموتى ، وفي يمينه صولجانه الذهبي الثمين ،
 ومن حوله زرفت جموع سكان هيدز ، فمنهم الواقف ومنهم الجالس ،
 ومنهم المنتصب يشرح للقاضى شكواه ، ويثنه بلواه ، بينما قد أهطعت
 الرؤوس والمحبت النفوس ، وتكاثرت الموتى عند البوابات الكبيرة
 الهائلة تنتظر دورها ... ثم راعنى أن أرى بين تلك الجموع أوريون
 الجبار يسوق قطعانه التى ذبحها بيديه فى الدار الأولى ، وهو يرعاها على
 أوراق البرواق . ورأيت فيمن رأيت تيتوس الجبار ، سليل هذه
 الغبراء ، وقد كان منبطحاً على الأرض بحيث يشغل فضاء تسعة أفدنة ؛
 وعلى كل من جنبه أفعوان هائل أرقم يتغذى بمصغ من كبده الكبير
 الدامى ، وينغب من أحشائه الغلاظ ، جزاء بما حاول أن يستذل
 لانونا اللعوب الطروب ، عشيقة خوف سيد أولمپ ، التى فرت من
 وجهه فى بطأخ بيترو إلى فراديس نانوبيوس . ثم رأيت تانتالوس فى
 ضعف من العذاب ! رأيت يتخبط فى عين حثّة من حميم ، وقد غاص
 فيها إلى ذقنه ، والموج يضرب وجهه ويسفعه ، وهو مع ذاك يلهث من
 الظمأ ، لا يجد ما يبل به غلته ، أو يطفىء جؤاده وصداه ! فهو إن حنى .

رأسه غمرته الحَمَم ، وإذا رفع جسمه كزّت الأرض على قدميه بأسرربها فهو في عذاب مقيم ... ولله أشجار الفاكهة دانية قطوفها فوق رأسه ، من رمان حلو وتفاح عطري ، وتين معسول وزيتون ، كلما انتهى أن يقطف ثمرة وكاد ، هبت الرياح عاتيةً فذهبت الغصون عاليةً في السحاب !! . ثم رأيت سيسفوس ذا الأنياب يضئ ويشقى ويتعذب ؛ يدفع أمامه حجراً جلوداً عظيماً فيجعلها في رأس جبل ، حتى إذا انتهى إليه عاضت الأرض من تحته بقوة حفية فكانت بئراً عميقة ، يهوى الحجر من علٍ ، فيعود المسكين إلى نَصَمِهِ عوداً ... على بدء ، ويتجدد عرقه على جسمه العظيم ، ويتبخّر من رأسه كأنما ينقذف من بركان ! ... ثم شهدت هرقل الحديدي القوى الجبار ... شبحه فقط ، لأنه هو قد منح بركة الآلهة وحلودها ، فهو أبداً يحضر ولائعها في شعاف الأولمب ...

شهدته يحتصن ابنةً جوف الجميلة المفتان ، هيب ، ذات القدمين الناصعتين ، والنعلين الذهبيتين ؛ رأيته وأشباح الموتى ترف من حوله صفات كالطير ، ثم يَقْبُضُ ... وراءني أن أراه عابساً كالحماً كقطعة من الظلام ، وقد حلق بعينه في الأرض وفي يديه قوسه وسهامه يوشك أن يرميها ، وعلى وسطه حزامه الرائع المموه بالذهب ، وقد نقشت عليه صور مئآت من الدببة والدوُّبان والسباع ، ينقذ الشرر من عيونها ، دأبّة في عواء وزئير وتقاتل ونهش ، صنعةٌ معجزةٌ لم يقدر على مثلها أحد من قبل ولا من بعد ... وما كاد يتبينني حتى عرفني ، وظل يقلب في عينيه السادرتين ، ثم قال لي : « آه يا ابن ليرتيس النبيل ذا المجد

ما أتعسك !! ما أظنك إلا معنياً ببعض المحارفات التي كنت أستغف
بها في حياتكم الدنيا .. ها أنت داتراى هنا ، فى ظلمات هيدز ، عبداً
رقيقاً لإله أحقر مى شأنًا وأقل قدراً ، لأننى وأنا ابن جوف الأعظم ، قد
كتب على أن أشقى هنا لأصل آلام الحياة ولأواءها .. أتصدق أنه
يأمرنى أحياناً أن أسوق كلمه ، مع ما فى هذا الأمر من سخرية
وتحقير ؟ ولكنى لن أنسى أنى جذبته من مملكته هيدز إلى نور الحياة
الدنيا بمساعدة أحدى هرمز ، وبمعونة مينرفا ذات العينين الزر حديتين «
ثم هام على وجهه فى ظلمات مملكة بلوتو ... ثم تلبثت أنا مكانى راجياً
أن ألقى غير من لقيت من أرواح الأبطال الذين عرفتهم فى الدار الأولى ،
أولئك العظماء ذوى العزة والمجد ... وكم وددت أن أرى بيريثوس
وثيذوس سليلي الآلهة ... بيد أن جموع الموتى الحاشدة التى أقبلت
نصرخ قذفت الرعب فى قلبي وخفت أكثر أن ترسل پرسفونيه ملكة
هيدز ، رأس الجرحون من ظلمات هيدز فتفعل بى الأفاعيل ... فأثرت
أن أسرع إلى مركبى ، وأمرت الملاحين فأقلعوا ، وجلسوا على الظهر ،
وحملنا تيار سريع عبر البحر المحيط بهدأن أعملنا المجاذيف وقتاً غير طويل



١ - السيرينات المغنيات

٢ - سكيلا الهولة

« والآن ، وقد احتملنا العباب ذو الثبج ، وذرعنا اليم المتراحي ،
وعتمنا نضرب في موج كالجبال ، فقد وصلنا بعد لأى إلى جزيرة إيايا
المرجانية حيث ترتع أورورا ابنة الفجر الوردية وتلعب ، وحيث مطلع
الشمس وراء البحر المضطرب .. وألقينا مراسينا ، وتلبثنا فوق رمال
الشاطئ رقب انبلاج الفجر ، حتى إذا لاحت تباشيره أرسلت طائفة
من رجالى إلى قصر سيوس فأحضر احثان إيلينور (الذى خر من السطح
فدق عنقه) ثم إننا بكيناه أحر البكاء ، وجمعنا له من الحطب
والخشب ما وسعنا ، وطرحناه وسط الكومة التى صنعناها من هذا
الوقود ، وطرحنا معه سلاحه ، وأقمنا إلى جانبه مجذاه العظيم ؛ ثم أدينا
له الشعائر الجنائزية التى أرويناها بأزكى دموعنا ، وأشعلنا البيران بعد
إذ أقمنا نصبا جليلا ، تحية وذكري . ولم تغل بعود تناسيرس ؛ بيد أنها
مع ذلك أقبلت فى رهب من وصيقاتها الحسان الأتراب يتهادين نحونا ،
حاملات دنائنا من أكرم الخمر ... ووقفت بيننا العروس الهيفاء ثم قالت :
« ويحكم أيها الأشقياء كيف حلا لكم أن تموتوا مرتين بينما يموت

جميع الناس مرة واحدة ؟ واسكن تعالوا ، هلموا إلى طعامكم ، ونحسوا
من هذه الحر لتقصوا يومكم فوق رمال الشاطئ في شراب وآكال ،
فإنكم ضاربون في ظلمات ذلك البحر فجّر غت . وإني منبئةكم عما يروكم
في طريقكم عسى ألا تصل بكم . ويأما أكثر ما تتجشسون من أهوال في
البر والبحر ! ولينا دعوة الربة المضياف ، فأقبلنا على طعام شهى وشراب
رؤى طيلة يومنا ، حتى إذا توارت ذُكاء بالحجاب ، وشملنا ظلام الليل ،
تطرح رجالى فوق الرمال النائمة ، ثم انتحيت أنا وسيرس ناحية ،
وجلست قبالتها ، وراحت هى تحدثنى وتقول : « أما وقد أوشكت
متاعبك أن تنتهى ، فاصغ إلى ؛ إفقه ما أقوله لك وتدبره ، فهو وحى
يوحى إليك من السماء ينفعك إذا جد بك الجد ، وأزفت حولك الآزفة ...
ستصل أول ما تصل فى رحلتك عبر هذا البحر إلى جزيرة السيرينات
الشاديات اللأئى يسجنن بغنائهن القلوب ، ويخلبن بحرسهن الأبواب ،
ويطبن^(١) كل من أوصله سوء حظه إلى جزيرتهن بحلو تطريهن وجميل
شدّوهن حتى ليلصق بأرضهن وينسى آله وأوطانه ، ولا يخطر فى باله أن
يعود إلى بلاده لهنأ بلقاء زوجه الحبيبة وأولاده الأعزاء ، بل يجمد
مكاه من الشاطئ حيث يكون بسمع من السيرينات ، وتكون عن
يمينه وعن شماله رفات الضحايا الكثيرين الذين عرجوا من قبل ليشنفوا
آذانهم بغناء أولئك العذارى فجمدوا مثله ، وذهلوا عن أنفسهم حتى
ذووا ، وذبلوا وضووا ، وحق بهم الفناء ، بينا يخطر السيرينات بين شجر

(١) لطى القوم فلانا حالوه وقتلوه .

البرواق متهاديات فوق السندس الحلو الجميل .. فأوصيك أن تُفرغ
 في آذان رجالك من سائل الشمع قبيل أن تبلغ أرضهن ، فإنهم بذلك
 لا يسمعون صدوهن ولا يسجرون بغنائهن . أما أنت ، فلك أن تنصت
 إلى ذاك الغناء إن شئت ؛ بيد أنه ينبغي أن يشد رحالك وثاقلك في قلع
 سفينتك شداً قوياً محكماً ، فيربطوا ذراعيك وساقيك بأمراس وأحبال ،
 حتى لا يسبيك ما يُشغف أذنيك من غناء وشدو فلا ترضى إلا أن تشوى
 بأرض السيرينات ؛ فإذا اشتد بك الوجد من سحر ما تسمع وطلبت إلى
 رجالك أن يخلوا عنك لزم أن يزيدوا في رباطك ويحكوا وثاقلك أضعاف
 ما فعلوا بك من قبل ... فإذا مُجِزْتُم تلك الجزيرة وغابت مناظرها عن
 أبصاركم ، فلرجالك أن يطلقوا سراحك .. على أني لا أدري أى السبل
 ينبغي أن تسلكوا بعد هذا ، فهنالك طريقان أحلاهما مر ، وأيسرهما
 عناء وضر ، وإني واصفة لك كليهما ، وأدع لذكائك أن يختار لك ...
 إنكم بالغون في سبيلكم إلى صخور هائلة ناتئة في البحر ، تتكسر فوقها
 أواذيه ، وترتطم بجلاميدها أمواجه ، وتدافعه على أحيادها أمفترت
 (زوجة نبتيون) الجبار . وقد أطلق الآلهة على هذه الصخور اسم
 (إبراتيك) وهي قِلال موحشة لا يستطيع مخلوق أن يقترب منها ، ولا
 يجسر الطير أن يهبط فيها ، بل طير أبينا چوف نفسه الذي يحمل إليه
 غذاء الإلهي المقدس ، لم يجازف مرة فخط فيها يستجم من سفر ؛ لما
 يعلم من أنها مهلكة زَلِقة . ولم ترس عندها سفينة قط إلا ارتطمت فوق
 نتونها وهوت إلى القاع بما حملت ، أو ابتلعها العواصف الهوج فغابت

حيث لا يدري أحد . ولا يعرف أحد سمية جازت ههناك هذه الصخور
إلا السمية (آرجو) التي حاطتها جيو^(١) برهايتها رحمة بجاسون وحمائنا
من لدن سيدة الأولمب ، حين أقلعت من حزيمة إيايا ؛ وقوام تلك
الصخور هضبتان شاختان شاهقتان ، تمثل إحداهما صنما هولة ضخما
يضرب في السماء رَوْ قَويَه وتتراكم فوقه منذ الأزل ثقل السحاب التي
لا يذنبها حريف ولا صيف ، لأن الشمس لم تفسر عليها أستعتها قط ...
ولو أن أحداً من العالمين له عشرون يداً وعشرون رجلاً ما استطاع أن
يرقى عليها أداً ، لأنها ملساء ناعمة كأما صقلتها يدا متال صناع .. وإن
في سندره الغرى لسكهاً سحيقاً نقر ثمة باسم إريوس^(٢) ، وإني لأحذر
أن تقترب منه حين تجوز به يا أوديسيوس ، بل كن منجوة منه ، بعيداً
بقدر ما تستطيع ، أو على الأقل على مرمى سهم مراش من سمينتك إلى
وصيده ؛ ذلك لأنه مأوى سكيللا الخيفة التي تدوى بصوتها وعوانها ،
ويُفرق الناس والآلهة من وجهها المكثم القبيح ؛ وحسبك أن تعلم أن
لها اثنتي عشرة قدماً كلها أمامية ، وأن لها ستة أعناق طوال ينتهي كل
منها برأس كبير فظيع ، سلاح ثلاثة صفوف من أنياب حداد أصلها نابت
وحشوها سم زعاف وهي تربض في غور كهفها السحيق ، بينما أروؤسها
بارزة من فوهة الكهف تبحث في الماء عن الدلافن وكلاب البحر
ودواب الماء وجميع حيوان مملكة امفريت ... وليس يجسر بحار أن يفخر بأنه
نجا مرة من شرها فهي تنقص كالصاعقة على السفينة العارة ، وتلتهم

(١) هي حيرا روج ريوس كبير الآلهة .

(٢) إله الظلماء الذي نروح من أمه (ليله) .

بأفواهها الستة الجائعة ستة من بحارتها مرة واحدة تقضمهم قضمًا ... وتلقاء هذه الهضبة ، هضبة أخرى على مرمى سهم يا أوديسيوس ، وقد نمت فوقها تيمة رية كبيرة ذات أفتان وعساليج حانيات فوق الماء ، وتحتها عين خارٍ بديس الحثة التي يغيض فيها ماء البحر كله ثم تعود فتمججه ثلاث مرات في اليوم . ويك أوديسيوس ! حذوا حذرکم ! فوالله إنكم إن دوتم منها فإنها تبتلعكم ، ولا يستطيع نقيون نفسه بعد ذلك أن ينجيكم وإنى أرى أن تدبوا من الصخرة الأولى فتلتقم سكيللا ستة منكم ، وهو خير لكم من أن تفرقوا جميعاً » وسكتت سيرس ، وقلت أسألكها : « بحق الآلهة عليك يا ربة أن تخبرى : أما أستطيع أن أنقذ رجالى المساكين من سكيللا إذا نجونا من خارٍ بديس ؟ » فقالت تجيبى : « أيها التعس ، أما تفتأ تحن إلى مجازفات الحرب وخوض غمار الوغى ؟ إنه لا سلطان للآلهة نفسها على سكيللا ، وهى ليست مخلوقاً مما يجور عليه الغناء ، بل هى غول سرمدى شديد المراس ، تنكس شديد الشراسة ، لا يغالب أحداً إلا غلبه ؛ فأطلق سفينتك للريح ، ولذ منها بالعرار . وإياك أن تفسكر فى التسليح لها ، فهى لاند ملتقمة ستة من رجالكم ، وإذا حاولت مدافعتها فإنك منهم ! ! فإذا بعدت فاضرع إلى كرايس ، أم هذه الهولة التى هى إلى الأبد طاعون للبشر ، أن ترد كيد ابتها عنكم فلا تنفعكم فى سبيلكم ولا تلتقم منكم أكثر مما فعلت ... وإنكم باغون (تريناشيا) بعد هذا حيث ترعى الربتان الحسنوان : لميتيا وفيتوزا ابنتا هيريون من عروس الماء نيرا ، قطعان أبيهما السبعة التى يشمل كل

منها خمسين شاة ذوات صوف ناصع كالثلج ... وكل هذه الشاة يرعى
ثمة باسم رب الشمس العظيم . فإذا كنتم حقاً تشوفون لبلادكم ،
وتعشقون شوقاً إليها ، فاحذروا أن تصيبوا تلك القطعان بسوء ، فإنكم
إن فعلتم غرقت بكم سفينةكم وذهب رجالك أبديداً . أما أنت ، فتنبجو
بعد لآى وبعد نضال وأهوال ، فتصل إلى بلادك ملوماً محسوراً ! »

وتنفس الصبح الندى الرخي فذهبت تتبختر وتجرر أذيالها إلى
قصرها المنيّف ، وذهبت أنا إلى الشاطئ فأيقظت رجالى ، وأمرتهم فجروا
السفينة حتى استوت في الماء ، ورفعت مراسيها ، ثم جلس كل إلى مقعده ،
وأعملوا أيديهم في مجاذيفهم فتدافعت الفلك في البحر ، وما هى إلا لحظة
حتى أرسلت سيرس ، الربة المقدسة ، نسما رُحاءً كان خير رفيق لنا ،
إذ كهانا عماء التجديف ، فتطرحنا في المركب ، واشتدت الريح في غير
عصف فأسرعت بنا درّاً كما ... ثم كلمت رجالى وفي قلبى وجيب فقلت :
« أيها الأصدقاء تعالوا أحدثكم عما تنبأت به سيرس لنا في رحلتنا هذه ،
فإيه سيان إن أفلتنا من العذاب أو تردينا فيه ؛ بل أردت أن أطلعكم
على ما حبأنه المقادير لنا لتأخذوا حذرکم ، وتبرموا أمرکم ، ويكون كل
على نفسه وكيلاً . لقد حذرتنى أن يستمع أحدكم إلى غناء السيرينات
الشاديات وحلو تطريهن ، وأجازت لى وحدى أن أصغى إليهن ؛ بيد أنها
أوصتنى أن أخبركم أن تشدوا وثاقى بأمتن الأمراس في سارية السفينة
ولا تطلقوا سراحى حتى نبعد عن جزيرتهن . وكلما رجوتكم أن تخلوا عنى
شددتم وثاقى أكثر فأكثر (هذا إن أردتم أن نكون بنجوة من الهلاك .

في تلك الأرض الملعونة) . وهكذا نهت غافلهم بتحذيري . ثم إننا انطلقنا في اليم ، وأخذنا نقرب من جزيرة السيريفات ، وعرفنا ذلك لما هدأت الرياح غفأة ، ونام الموج ، وخفت أنفاس الطبيعة ، وشمل الركود كل شيء حولنا ، كأنما مسحت يد مقدسة علوية كل هذا الوجود الرحب . ونشط الملاحون إلى مجاذيفهم فالتع تحتها بساط الماء ، ثم نشطت أنا إلى قِدر من الشمع فعالجته بسكين ، ثم قومته راحتي وتركته كي يلين قليلا في أشعة الشمس ، ثم جعلت منه في آذان رجالي واحداً فواحداً . واستسلمت لهم بعد هذا فشدوا وثاق في شراع السفينة شداً محكما ، وجلس كل إلى مجذاه ، وانسرت الفلك في السماء تشقه وتجرحر فيه .. وصرنا على مدى ما يبلغ الصوت من الجزيرة إلى آذاننا فأصغيت وأصغيت ، وإذا السيريفات الشاديات يتغنين هكذا :

« أودسيوس أيها الزعيم ! يا من لهج بذكره كل لسان »
 « ألق في جزيرةنا مراسيمك يا فخر اليونان »
 « تلت عندنا أيها العزيز وشف أذنك بأغانينا »
 « فما من أحد جاز بجزييرتنا حتى عرج يترود من هذا الغناء »
 « ثم يقلع أسعد ما يكون ، وأفطن ما يكون »
 « ذلك ونحن نعلم من أنباء ما أصابك كل شيء »
 « ما خضت من معامان طروادة ، وما أصابك الآلهة من مصيبة ، وما اتى قومك في كل مكان »
 « تعال تعال .. هلم نحدثك فعندنا علم كل شيء » .

وهكذا شرع العدارى يسكنن إرمانهن الجميل فى قلبى ، ركأنا كن
ينعن فى السحر فيصغى ويصغى وتلح عليه الرغبة فى الإصغاء ، ورحلت
أنا أضرع إلى قومي أن يفكوا قيودى ويطلقوا سراحى ويخلوا بينى وبين
السيرينات المطربات ، فلم يسمعوا لإشاراتى ولم يستجيبوا لتوسلاتى ، بل هب
يوريلوخوس وپرميديس فصاعفوا أعالى وشدوا على حبالى . ثم بعدنا . .
وظللنا نبعد ونبعد ، حتى إذا كنا حيث لا يصل إلينا من شدو السيرينات
شى ، نهض رجالى فأرأوا ما كنت قد جعلته فى آذانهم من الشمع ،
ثم عمدوا إلى فأطلقوا سراحى ... وما كادوا يفعلون حتى أبصرت فى ظلام
البعد موجاً كالجبال كأنه ظلمات بعضها فوق بعض ، ودخانا كثيفاً ينعقد
فى الجو ، ثم إذا بى أسمع رعداً قاصفاً يعم الأذان ! وقد ذهل رجالى عن
أنفسهم ، وطارت المجاديف من أيديهم فلم تعد تجديهم نفعاً ، ووقفت
السفينة كأنها الأرجوحة على رأس الموج ؛ وذهبت أنا أستجهم رحلاف رجلا:
« أيها الرفاق ! ها نحن نلقى أولى عقباتنا ، وهى ليست على كل حال أشد
هولاً من مصيبتنا يوم حبسنا السكلوب فى كهفه السحيق ، وكيف احتلت
لعرارنا من وجهه ؛ وسيأتى يوم نذكر تلك الشدة المماثلة بمثل القبطة التى
نذكر بها الشدائد السوالف ... هلموا إذن فاثبتوا فى أماكنكم ، واصمدوا
لهذا الراج المصطخب ، واضربوا فيه فى جلد وصبر ، عسى أن يكلائكم
چوف ربكم فينجيكم منه . وأت أيها الرمان أصنع إلى ، إنك تقبض
على ناصية الحال فتعاش أن تقترب من هذا الدخان وتلك الأمواج الثائرة
إبتعد ما استطعت عنها ، وحذ سبيل هذه الصخرة ، ذلك أدنى ألا تقذف

بنا في حاة الخطر .. » وظلت أنمخ فيهم روح الصبر حتى فاءوا إلى
أمرهم فاستقتلوا في مجاهدة الأمواج استقتلا ... وتسبحت أنا بكل
ما استطعت من عدة ، وجعلت في يدي رحين طويلين ، ووقفت أرقب
سكيلا الهولة من بعد ، ولم أجسر أن أذكر كلمة عنها لرفاقى حتى لا تفرغ
أفئدتهم فرقا فيهربوا من عملهم ويكتظوا في بطن السفينة مخافة أن يمسمهم
منها أذى .. وشرعنا نعبّر البوغاز ، .. ولشد ما أفزعنى أن أرى سكيلا
ترمقا وتنامظ ، وقد انتصبت كالمت على الشاطئ القريب ، ثم أرى في
الوقت نفسه خاربديس على الشاطئ الآخر تحشرج في حلقة الرحب
الفضيع عباب الماء ثم تمجه ، فكأنما تقذف من جوفها ماء فائرا يعلو في
الجو كالجم ، ثم ينهر وبله في كل فج ، وتعود فيفيض في البحر من بلعومها ،
ثم تقذفه ، وهكذا دواليك .. يا للروع ، يا للفزع الأكبر ! تالله لقد
كنا ننظر ما تبدئ خاربديس وما تعيد في جزع وفي هلع ، بينما كانت
سكيلا تتوثب وتتوثب ثم ترسل رؤسها الستة فتلتقم ستة من رجالنا
كانوا وأسفاه أشجعهم جميعا ، وكان قلبي يتمزق حين راحوا يهتفون بي
وينادونى باسمي وأنا كالذى أسقط في يديه ، ما أستطيع شيئا فأصنعه ،
بل أنظر إلى أذرعهم وأرجلهم تتقلب في الهواء وهم يصيحون ويعولون ،
وأنا ساكن ذاهل أقلب كفى ولا أفعل شيئا آخر ! واحزنه ! ! ما كان
أشبه سكيلا المتوحشة بصائد السمك الذى أطعم سناره وأرسلها من فوق
صخرة تداعب السمكة المسكينة ، حتى إذا حان الحين جذبها إلى عل
تترج هنا وهناك . هكذا كانت هذه اللعينة التى جذبت إلى كهفها أشجع

رجالاً وراحت تفتت بهم بين الصراخ والبكاء ، وبين التوجع والأنين ،
وكلهم يمد إلى ذراعيه مستنجداً مستغيثاً في قنوط ويأس !! أبداً ما وقعت
عيناي في جميع مخاطراتي ، على منظر أبعث للأسى ، وأمض للنفس ،
وأجرح للمؤاد ، من ذلك المنظر الرهيب !

وما كدنا نقلت من سكيلا وخاربديس بعد تلك المفاجعة حتى
اقتربنا من أرض الشمس ، حيث ترعى قطعان هيريون^(١) الجميلة
الكثيرة ذات الفراء الناصعة ... ولقد كنت أسمع ثغاءها ورغاءها إذ أنا
على ظهر سميتي في عرض البحر. وسرعان ما ذكرت ما قاله لي الكاهن الطيب
الأعمى ، تيرزياس في هيدز ، عن هذه القطعان ، ثم ما أذرتني به سيرس
سيدة إيايا من وجوب الابتعاد عن هذه الجزيرة التي كانت منذ الأبد
غواية البشر ، حتى قتت في رجالي فجعلت أحذرهم وأقول : « أيها الرفاق
اسمعوا : هذه هي جزيرة الشمس الهائلة التي حذرنا تيرزياس الكاهن
الطيب من الرسوبها أو الاقتراب منها . وكذلك حذرتني منها سيرس
ربة إيايا ، فإن كان ما لقينا من أهوال ليس شيئاً إلى الهول الذي يحيق
بنا إذا حللنا بها . فاسمعوا نصحي وسيروا بنا نذرع هذا البحر نسلم من شر
مستطير ، وبلاء لا يبحرنا منه بحير » وكانوا يصغون إلى في حيرة وذهول ،
وما كدت أفرغ حتى انتصب يوريلوخوس يرد على في جفوة وضيق :
« أوديسيوس ، أيها القاسي الطاغية ، أما أوهنت كل تلك الشدائد
جلدك ؟ أمحلوق أنت من حديد ما ترق وما تلين ؟ أتأبى على رجالك

(١) في بعض المصادر أن الشمس غير هيريون ، وفي بعضها أنها هو ، وفي
بعضها أنه أحد سواس عربها .

الوهونين المكشودين أن يرسوا هذه الجزيرة الفيحاء المشمة ليربعوا مما بها من آلاء ، وليطعموا من خيرها الكثير ؟ أتصرفنا عنها بنزقك وقلة نصرك نفحط طول الليل في هذا البحر الأجاج حبط عشواء مع ما تكون الريح عليه حينئذ من شدة وعنف ؟ خبرنا أيها الأحق ماذا نصنع إذا عصمت بنا نكباء من الجنوب تحطم فلكنا ولا ينجنينا من بطشها أحد حتى الآلهة ؟ أليس الأفضل لنا أن نرسو في هذه الجزيرة فنقضي بها أيامنا ، حتى إذا انفلق الإصباح أقلعنا منها على هدى ؟ ! » .

وحمد الملاحون ما قال ، فدار في حلدى أن لا يد مما ليس منه بد ، وأن لا بد من وقوع القارعة الكبرى بنا ، فقلت في كلمات يائسات : « لا ضير يا يوريلوخوس ! وليس بى من بأس أن أحصع لما ترى الجماعة ؛ ولكن تعالوا جميعاً فأعطوني موثقم ألا تذبحوا شاة ولا تجزروا نعمة مما هنا من هذه القطعان ، مهما ألح عليكم السَّعْبُ ، وأضواكم الجوع ... بل يكون حسبكم ما حملتم من آكالٍ من عند سيرس » .

وأقسموا أغلظ الأقسام أن يفعلوا ، ثم يعموا بالملك في جون هادىء ترتفع في وسطه نافورة رائعة ؛ فأرسوا ثمّ وتدققوا الشاطيء ، وراحوا يعدون وجبة المساء ؛ بيد أنهم سرعان ما نسوا مسغبتهم حين تذكروا إخوانهم الذين غالتهم سكيللا ، وراحت تتغذى بهم أمام كهفها السحيق فأخذوا يبكونهم ويذرفون عليهم دموعهم حتى غلهم الدماس ، فناموا ... وفي المزيغ الثالث من الليل ؛ حين عبرت النجوم فكانت في كبد السماء ، ساق جوف رب السحاب الثقيل ريحاً جابت البر والبحر ،

وغمرتهما بماء مهمر ، ثم عقد في الكون ظلمات فوق ظلمات يتدحى بعضها في بعض .. ثم أشرقت أورورا الوردية ، فنهضنا من مراقبنا ، وسحبنا الفلك إلى غار كان لبعض عرائس البحر يرقصن به أو يستروحن فيه ؛ وما كاد شملنا يجتمع ثمة حتى نهضت في رجالى أقول : « أيها الرفاق إننا ما ينقصنا غذاء ، وما بنا من حاجة إلى أكل ، فمعنا من ذلك الشيء الكثير ، فياكم أن تمسوا هذه القطعان بأذى ؛ وحسبكم أن تعلموا أنها ملك خالص لربة الشمس التي تراكم أينما كنتم » وهكذا أيقظت في نفوسهم النخوة . ثم إنا لبثنا في هذه الجزيرة شهراً ما نريم عنها وما كان لنا إلى غيرها متحول ؛ ذلك لأن الدبور^(١) ظلت تهب من الجنوب في صرامة وشدة ، فإذا هدأت ، لم تهدأ إلا لتهب ريح شرقية أشد منها عنفاً . لم يمض قطعان الجزيرة السائمة بأذى ما دام لم ينفذ ما كان معهم من طعام . فلما تناقصت ميرتهم راحوا يتلمسون صيد البر والبحر ، أما أنا فكنت أجوس خلال الجزيرة غسى أن ألقى إلهاً أصرع إليه فيجعل لنا من أمرنا مخرجاً .. وبينما أنا أحوب الجزيرة إذا بي أبعد كثيراً عن رفاقي ، فبدأ لي أن أسكن إلى منعطف دافئ هادئ على سيف البحر ، فأغسل^(٢) يدي مما علق بهما من قدر ، ثم جلست أصلى للآلهة ، وأدعو واحداً بعد واحد أن تهين لنا من شدتنا مرفقاً ، واسكنها جميعاً — وأأسفاه — أصمت آذانها عن دعائى ، ثم أرسلت على طائفاً من الكرى ... فنمت نوماً عميقاً ... بينما كان يوريلوخوس التعس يوسوس إلى رفاقه فيقول : « أيها

(١) ريح الجنوب ضد الصبا

(٢) كان غسل اليدين كالوصوء عندنا شراً لا تصح الصلاة اليونانية بدونه .

الأحلاء ! أما أحوكم في البلاء فاسمعوا وعوا . ليس أشنع من الموت إلى النفس ، ولكن الموت جوعاً هو أشنع ألوان المنايا التي يرتجف منها الإنسان ... هلموا ... لنذبح من هذا الشاء والنعم ، ولنضج الآلهة أضخم ثيران الشمس ، ولنسذر أن نبنى للرب المبارك هيبريون هيكلًا عظيمًا حالما يصل سالمين إلى إيثاكا ، ولنسذر أيضًا أن نجعل في الهيكل من الطرف والتحف ما يرضى الآلهة ويكفر عن سيئاتنا . أما إذا آثر أن يغرق فلسنا وتضافرت معه جميع الآلهة على ذلك ، لأننا ألحقنا أذى بعدد من قطعانه ، فإني أول من يجاهر بقبول الموت مره واحدة في أعماق هذا اليم ، على أن أموت هذا الموت البطيء جوعاً ! » ويزين لهم ما قال ، فاستاقوا أسمن ما في القطعان التي كانت ترعى العشب قريباً منهم ، ثم أطعموها أنضر أوراق الشجيرات الباسقة إذ فرغ كل ما لديهم من الشعير ، ثم صلوا للآلهة ، وجزروا الحيوانات البائسة ثم سلقوها ، وفصلوا الألفاظ والشحم ، وقذفوها إلى النار مقدمة للآلهة وقرباناً ... ولم يكن معهم خمر ليطمئنها الشمائر القدسية ، فقذفوا في النار بدلاً منها ماء قراحاً ... وجلسوا بعد هذا يعدون شواءهم من الحوايا^(١) والكبد وما إلى ذلك مما في جوف البهيمة ؛ حتى إذا طعموا ملء بطونهم انطرحوا في مراقدهم بينما استيقظت فجأة من سباتي ونهضت لأنطلق في طريق صوبهم . وما كدت أشرف عليهم حتى ملأ خياشيمي قنار^(٢) ما فعلوا ، فوجت وجوماً شديداً ؛ ثم أجهشت ، ثم استخرطت في بكاء طويل وضرعت إلى الآلهة وطلت أقول . « أهكذا

(١) الامعاء

(٢) ريع الشواء .

يا أرباب السماء تاتقون على ذلك الطائف من الكرى فيفعل أحماني .
 ما فعلوا إذ أنا أخط في نوم عميق ؟ » . وطارت لمتيا بالخبر المشئوم إلى
 إله الشمس فتثار ثائره وطلق بصمخ ويهتف بالآلهة ويقول : « يا جوف
 العلي ، وأنت يا آلهة السموات ! إنا نرى لما فعل السفهاء من رجال أوديسيوس .
 لقد احتراؤ فجزروا من نعمي وشأني التي هي بهجتي وأنسى والتي أرمقتها
 أبداً من علياء السماء ؛ فإن لم تنقم لي فوعزتي لأهبطن بشمسي إلى
 إلى هيدز فأثير آفاقها وأصفي أضوائى على الأشباح ثمة (وأدع هذا العالم
 المشرق الجليل يضرب في دياجير ما مثلها دياجير » . وأحابه رب السحاب
 الثقال فقال : « يا إله الشمس على هيئتك ؛ بل ظل مشرقاً على بني
 الموتى الدائبين في تلك الأرض ، وإلى مسخر صواعقي على سفينتهم في
 لمح العصر فتذهب بها وبهم أبديد » ... أما من أخبرني هذا فقد حدث
 به همرز رسول الآلهة . ثم وقعت فيهم أنهرهم وأنعى عليهم ، ولكن ...
 واسفاه ! أى اتهار وأى نعى وقد سبق السيف العذل ؟ ! ثم حدثت
 المعجزة !! وبدأت السماء تشهد آياتها فقد تحركت الجلود الملقاة على الأرض
 وزحمت بحونا ثم سمعنا مضغ اللحم الغريض سواء ما ظل منها دون أن
 يمس وماعلق منها بالسفافيد ، وقد أرسل ثغاء وخواراً كأنها لا تزال على قيد
 الحياة . . . وهكذا ظل رفاقي يجزرون كل ثور حنيذ من ماشية إله الشمس
 ويقتذون بجواياها طوال ستة أيام ، حتى إذا كان السابع أمر جوف
 العاصفة هددت ، والبحر فتطامن ، فأهرعنا إلى الفلك فأنزلناها في الميم ،
 ونشرنا الشراع ، وأقلعنا حيث لاندري ماذا يراد بنا ! ! ثم غابت الأرض

عن الأنظار ، ولم يكن إلا البحر من ورائنا وأمامنا وعن شمائلنا وأيماننا ...
ثم السماء من فوقنا ... ثم شرع زفيروس^(١) يهب ويهب ، ويقلب
الاج من حولنا ، ثم اشتد واشتد ، وصار ريحا عاصفاً هوجاء ، كسرت
قلاعنا وحطمت سكاننا ، وذهبت بقلب الربان المسكين فلم يعد له صبر
ولا جلد ... ثم سَلَط علينا جوف صواعقه فقصمنا ، وحطم سفينتنا فترنحت
أول الأمر ، ثم عاصت إلى الأعماق ، وطفونا على سطح البحر العاصب
بلا أدنى أمل في أي شيء ، بله العودة إلى بلادنا ... ولقد كنت أقرب حطام
الفلك يطفو معنا ويغوص ، حتى عنّ لي أن أعلق بالهراب القريب مني ،
وطويت عليه قطعة من الشراع الممزق وجعلته لي ثماماً لصقت به ، بينما
نامت الشمال لسوء حظي ، وأخذت الجنوب تهب في غفوان وبأس ،
وتدفعني بقسوة وقوة حتى خيل لي أنها ستنتهي بي إلى عين خاربديس
الحمئة ... يا للهول ! لقد مضى على ليل أيما ليل ... حتى إذا أشرقت ذكاء ،
رأيتني ويا للأسف عند صخرة سكيللا ، وعلى مسافة من عين خاربديس .
ولحسن حظي كانت اللعينة قد ابتلعت كل مياه الشاطئ ... ثم دفعتني
موجة من الأعماق فاستطعت أن أعلق بأحد أغصان التينة الهائلة النامية
فوق صخرتها ، فبقيت لاصقاً به كالخفاش لا يمكنني أن أهبط أو أن
أتسلق اعظم ما كانت الأغصان تبتعد من الأرض وتمتد من حولي ، ولأنها
كانت تعرش من فوق خاربديس ، حتى كنت أرتعد من فزع وهلع عند ما
كنت أبصر تحتي فأرى العين الحمئة الملعونة تبتلع الموجة إثر الموجة ؛ ثم

أوديسيوس يصل إلى إيثاكا

وفرغ أوديسيوس من حديثه ، وجلس القوم في الردهة ذات الظللي
مسهوين مشدوهين من روعة ما حدث ، ومن غريب ما روى ، حتى
تكلم الملك فقال : « أوديسيوس ، يا أيها العزيز ! صفا بالاك وطاب حالك
واستذريت من ذرى هذه القبة السماء بركن ركين ، فلن ينالك أذى
بعد اليوم ، وإن تقدر عليك الرياح الهوج في رحلتك الآمنة إلى بلادك ،
وإن يكن مثلك لا يبالي الحدثان ، ولا يأبه لصروف الزمان ، بعد إدراع
لبانها ، وتقلب طويلا في أحصائها .. وإنه والله ليس أحب إلينا من أن
تقيم آخر الدهر عندنا فتتحسى معنا من أكرم هذه الحجرة وتشنف أذنك
بما يتغنى مطربا الحبيب الإلهي ؛ وإلا ، فذاك صندوقك العزيز وفيه
أذخار الهدايا وأعز اللهى ، من مطارف الذيباج ، ومكنون الذهب
الوهاج ... ولكن على رسلك ، هلموا يا معاشر الفياشين فليحضر كل
منكم للنازح الكرم طرفة من أبر الطرف ، وتحفة من أحل التحف ،
ولتكن ركيزة من الذهب وأصيصاً صغيراً للزهر ؛ وليساهم الشعب في هذا ،
ذلك أدنى ألا تطيقوا ثمنها^(١) . »

وصادفت مقالة الملك هوى في قلوب السادة زعماء الفياشين ؛ ثم
نهصوا ففترقوا إلى منازلهم يلتمسون الراحة ، وينعمون بطيب المنام ؛

(١) في الأصل : إنه سيكلف الشعب بعض الضرائب اسداد الشئ ولا بدري
كيف يسينر ملك أن يقول ذلك

ونضرت أورورا ابنة الفجر جبين المشرق بأفواف الورد ذهب الزعماء
العظام من مراقدهم ، وبأدروا إلى السفينة بهداياهم التي وصف للملك .
وقد كان ألكينوس نفسه ينتظرهم ثمة ؛ وكان يتناول كل هدية بيديه
فيضعها موضعها الأمين تحت مقاعد المجدين حتى تكون ببجوة من ضرر
يصيبها ، أو أذى يلحق بها ، حين يكون الملاحون مشغولين فيما هم بسبيله
من عمل البحر ومصارعة الموج ... حتى إذا أسلموا تذكاراتهم عادوا مع
الملك إلى قصره المنيف لولية الوداع العاحرة وقد قرب إلى جوف الكبير
المتعال ، رب الأرباب ورب السحاب الثقيل ، بشور جسد عظيم ؛ وأعد
من نغذيه سواء شهي أقبل عليه القوم بأكلون ويروغون^(١) ، بينما
يسكب في آذانهم غناه ديمودوكوس مطربهم الخدق الحبيب . وكان
أوديسيوس يرنو بطرفه المشتاق إلى الشمس يود من أعماقه لو عجبت إلى
خدرها ، وكان يصجره منها جريانها الوثيد ، فهو دائماً يرقب مغيبها بعيني
الزارع الشقي الجوعان الذي أجهد طوله النصب في حرث حقله ، فعلق
بصره بالشمس يتمنى لو هبطت فجأة في المغرب ليلوى أعنة بهائم إلى
كوحه ، وليتبلغ هناك بلقيات ! وما كادت تتوارى بالحجاب حتى وجه
الخطاب لزعماء الفياشيين في شخص الملك ، فقال : « مولاي الملك الجليل
ألكينوس ! يا نغر شيرا وعماد الفياثيين ! تمنيت لو أدبت الصلاة الخمرية
يا مولاي وتفصلت فأذنت لي في وداعكم ، ما دمت قد أعددتهم لي الهدايا
واللهي ، والأبطال الصناديد من رجالكم الملاحين ... وإني لأضرع

إلى الآلهة أن ترعاني في رحلتى فى اليم ، وأن أصل إلى بلادى فألقى فيها
آلى وعشيرتى سالمين ، كما أسأل أرباب الأولب أن ترعاكم وأن تقر
أعينكم جميعاً بذوبيكم ، وأن تفيء عليكم من نعمائها ، وتحفظ بلادكم من
عادات الزمان وملكات الحدثان » وسر الجميع من مقالته فهتفوا له ، ورجوا
الملك أن يأذن له فى السفر ، فالتفت ألكينوس إلى مشيره وقال : « هلم
يا بُنْتُون فأدهق الزق واحمل الحمر إلى جميع أضيافنا ليريقوها خالصة لوجه
سيد الأولب ، كي نتأذن لأوديسيوس بالرحيل إلى دياره » ولوى المشير ،
وأخذ كل كأسه ، ولم ينتظر أوديسيوس حتى يصل الندمان إلى المملكة
المسجلة الوقور ، بل هب مسرعاً وقدم إليها كأسه الهائلة ، وقال : « وداعاً
يا مولاتى المملكة أحر الوداع ! وداعاً إلى آخر العمر ! وليكن عمراً موفوراً
مُخْفَرَجاً تقرين فيه بمولاي الملك والسادة النجب أبنائك المحبوبين
وسعبك » وحيّاً وبيّاً ، ثم أهرع إلى الرفأ ومشير الملك يسعى بين يديه ،
وثلاث من وصفات الملكة يتهادين فى إثره ؛ أما أولاهن فكانت تحمل
الثوب الديباجى الموثى ؛ وأما الثانية فكانت تحمل الصندوق الثمين
ذا الأذهار ؛ وحملت الثالثة مثونة حافلة من أشهى الآ كال وأطيب
الشراب ... حتى إذا كن عند السعينة ، سلحن ما حملن للملاحين الشجعان
وانثنين من حيث أقبلن ... واشتغل بعض البحارة بإعداد فراش ونير
فى قرة خلعية من أجل أوديسيوس ... الذى آوى إلى منامته واستغرق
ثمة فى سبات لذيذ ، بينما كان الملاحون دائبين فى فك الحبال ورفع
المرساة من صخور الشاطئ ، حتى إذا انتهوا توزعوا إلى مجاديفهم وأعملوا

وبها أيديهم ، فهمت الفلك واحتواها الماء ، وأقلعت تشق الأمواج ،
وتأخذ سبيلها في البحر سرباً ... هذا بينما كان النائم البريء قد امتسلم
لظائف من السكرى بشبه ظائف المنون .

وعمرك الله هل رأيت أربعاً من صافات الجياد قنبارى في حلبه ،
وقد أذن المؤذن فاندفعت تنهب الرحب ، وأرسلت في الهواء أعرافها ؟
أقد كانت السفينة تتوالب على أعراف الموج مثلها ، والعباب الزاخر
يصطخب من ورائها ، واللجة من بعد اللجة تجبّس وتضطرب تحتها ،
كلّما تتحدى اليم في طمأنينة وثبات ، أو تسابق في الجوابواشق
البراة ! وكيف لا ، وقد حلت رجالاً لا كالرجال ، وبطلاً لا كأبطال ،
وحكماً تركاً^(١) للآلهة في المسكرات وعظيم العمال ، وقرناً ليس كمثله
قرن في يوم كريهة أو نزال ؛ لم يَغْف من قبل هذه الغفوة الناعمة التي
باعدت بينه وبين ما نجشم من آلام وأحزان وأتجان ...

وتلألأت في الأفق الشرقى نجمة العجر الصادق ، حينما كانت الفلك
قبالة الأرض للمعودة ... إيتاكا ... بعد إذ آتت رحلتها الحافظة في
جنبح الليل ... وهناك في شاطئ المدينة ، أنشأ صرفاً أمين باسم
فورسيررب الأعماق يُدخَل إليه بين حازى أمواج ممتدين على مدى
الجون الجميل ، بين ذراعى الميلاء ، فاستطيع ربح أن تعبت بما فيه من
سفين وقد بسقت أشجار الزيتون على الشاطئ ، وامتدت امتداداً هائلاً
إلى كهف حريز تأوى إليه طائفة من عرائس البحار يقال لها القياد .

(١) القرب بالكسر اللدة أو المشبه

وثمة ، أى فى هذا الكهف المقدس ، صفت أباريق من حجر وحرار كثيرة ، يأتى النحل فيودع فيها شهده ؛ وقامت فيه أيضاً عمد من حجر يقال إن عرائس الماء تنسج عليها أثوابها العجيبة . وفيها أيضاً عيون من ماء زلال تسقى ساكنيه . ويؤدى إلى الكهف طريقان عظيمان ، أحل أحدهما للناس يضربون فيه ما يشاءون ؛ أما الآخر فلا تطؤه إلا قدم إله كريم ، ويعرف بطريق الجنوب المقدس .

ويم البحارة بفلكهم شطر الميناء ، ثم أرسوا فيه ، وجنحت السفينة بنصف حيزومها على رماله ... وحملوا أوديسيوس الزعيم دون أن يوقفوه ، ووسدوه على فراش^(١) وطأوه على الشاطئ ، ثم حملوا كل متاعه وأذخاره فجعلوها إلى جانبه خلف زيتونة ضخمة تحجبها عن أنظار المارة ، حتى لا يعثب بها عيار إذ هو مستغرق فى نومه العميق ... وركبوا العلك بعد هذا وعادوا أدراجهم إلى شيرا . . وأحس نبتيون الجبار رب البحار وعدو أديسيوس الأكبر بما فعل الفياشيون فثار ثأره وقال يعتب على زيوس : « أيها الإله الأعظم الأبدى ، أبداً ما أحسبني أنال نصيبى من التقديس والتبجيل بين الآلهة منذ اليوم ، مادام شعب فياشيا لم يأتوها أن يحرقوا أو يبالوا بى ، فقد كنت عولت على ابتلاء أوديسيوس بأروع صنوف البلايا قبل أن تطأ قدمه أرض بلاده ، ولم يكن فى تصميمى أن أحول بينه وبين العودة إليها لأنك كنت قد وعدت بتمهيد السبيل لهذه العودة ، ولكنهم حملوه على فلكهم غاراً فى أحلى المنام ، ثم حملوه إلى

(١) فى نسخة أنهم حملوه بفراشه

الشاطيء الايتاكي بما معه من المطايا والأذحار ، وطرف الدجس ،
وتحف النضار ، ومطارف الديباج ، وما حمل من كنوز لم يكن يحمل
شيئاً منها حتى لو عاد بنصيبه من أسلاب طروادة ! وا أسفاه ! »
وقال يجيبه رب السحاب الثقال : « ماذا تقول يا مزلزل الشطآن والخلجان
يا ذا المللكوت والجبروت ، يا أيها العظيم نتيون ؟ ! لا عليك يا أخى !
لا عليك ، فإنه ان تحمرك الالهة ولن تستخف بك ! فإذا استخف بك
ملاً ضعيف من بنى الموتى — عبادنا الشر — ما يصيرك ؟ أنيس في
يديك ألف فرصة للبطش بهم والانتقام منهم ؟ أربح عليك يا بتيون ،
وصل ملاذك ، فانك لست عبداً لأحد » قال نتيون : « جوف يارب
السحاب إنه ليس أحب إلى من أن أبطش بهم كما أشرت ، ولكنى
لا أخشى إلا تحديك لى دائماً بغير حق ، وإلى أرجو أن أعصف
بسفيتهم فى دأمائى اللجى حتى لا يحملوا ضارباً فى البر والبحر مثل
أوديسيوس مرة أخرى ، وإنى مقتف آثارهم الآن ، مضارب فلكهم
اللعين ، فساحره فى الحال إلى طود عظيم ينهض روقيه أمام مدينتهم حتى
ليحجبها عن كل سارب فى البحر فلا يراها أحد أبدا ! » فقال جوف
يجيبه : « هلم يا أخى فاصنع ما بذاك ، وافعل فعلتك التى رسمت ،
وليسكن ذلك حينما يقتربون من مدينتهم حتى يرى أهل شيرا ما يحل
بسفيتهم لتكون لهم آية ! » . وانطلق مزلزل الأعماق فى أثر الغياشين
حتى إذا كانوا فاب قوسين من الشاطيء أرسل يده تحت ناكهم
فضر بها ضربة هائلة أرسلتها فى الهواء وهوت بها إلى اللج ، ثم تركت

مكانها جملاً عالياً أشم ، ولوى عنانه إلى أرجاء ماسكه الرحب .

ووقف المياشيون — ملوك البحار — على شاطئ البحر مسبوهين دهشين يسأل بعضهم بعضاً : من ذا الذى أرسى هذا الجبل الهائل مكان سفينتهم تلقاء المدينة حتى ليحجبها عن أنظار السفن العارة فى اليم ؟ والتفت الملك وكان واقفاً بينهم فقال : « يا الآلهة ! لقد ذكرت نبوءة قصها على والدى فيما غبر من الزمان ... فلقد ذكر لى أن شعبنا المجيد مأذون له من نبتيون أن يحمل الناس من كل فج ، من ضل سبيله منهم إلى بلادهم مهما تناءت . وقد ذكر أيضاً أن سفينة من سفننا بعد إذ ترد من رحلة لها إلى بلد رجل غريب نازح ، ستفرق فى اليم ويسق مكانها جبل عظيم شامق يحجب شيرا عن البحر .. وها قد تحققت النبوءة ، فلهوا بقرب الإله البحار نبتيون باثنى عشر رجلاً جسداً تكون أعظم عجولنا وأعلاها قيمة ، عسى أن يرثى لنا فيكشف عنا هذه النعمة ولا يحول بين البحر وبين مدينتنا بهذا الطود الكبير الراسى » وتزعزع عزم الفياشين ، وبادروا إلى عجولهم فجزروها باسم نبتيون ، وتككبوا حول مذبحه فصلوا له ، وسبحوا بذكره ... أما أوديسيوس فقد هب من نومه وهو لا يدرى أين هو ؛ ومع أنه كان ينام ألد النوم فوق شاطئ بلاده ، فإنه لم يعرفها لطول ما شطت به النوى ولأن مينرفا الكريمة ، سلبية جوف العظيم ، كانت قد ألقت حوله ظلالاً تحجبه عن أعين المارة مخافة أن يعرفه أحد منهم قبل أن تلقنه من حكمتها ما هو ضرورى له فى حالته هذه ... كما أنما أرادت ألا يستبينه أحد من مواطنيه ولا من أصدقائه

وذويه حتى يبطش البطشة الكبرى بأمشاق الفساق الذين استباحوا
عرضه واستحلوا بغير الحق زاده وخيره ، وعمرؤا كالشياطين داره . لذلك
موته مینرفا كل شیء فی عینی أودیسیوس ، فالطرق مستقيمة مستطيلة والواویء
رحبة مترامية ، والجبال ذاهبة فی السماء ، والدروح باسق يطاول الجوزاء ، وكل شیء
لیس بما عهد البطل فی بلادہ ... ووقف یقلب عینیہ فی المشاهد المحدقة به ،
ثم تهد من أعماقه ، وبسط کفیه إلی السماء ، وضرب بهما فی برم علی
نخذه ، وأنشأ یقول : « ویلاه علیّ وألف ویل ! آی شعب من الشعوب
یقیم بهذه الأرض یا ترى ؟ أأجلاف ظلمة هم ، أم أطهار أخیار یحبون
الآلهة ؟ لیث سمری این أخیء هذه السکنوز والأحرار ؟ ربي ! بل إیان
أذهب أنا ؟ لعمري لقد كنت أوترأ أنال شیئا منها من هؤلاء الفیاشیین
علی أن أكون قد حلت بأرض ذی نخوة وذی نخزة من ملوک الأرض
غیر السکینوس هذا ، مکان یرسلنی آمنًا سالما إلی بلادی ! ماذا أصنع
یا ربی ؟ أأتک هذه الثروة الطائلة هنا ؟ أأدعها فریسة حللا لغيری من
الناس ، وأهیم فی هذه البطحاء علی وجهی ؟ وا أسفاه ! أهكذا یفر ربی
میلقونی فی شاطئ غیر شاطئ بلادی ، وقد وعدوا أن یهبطوا بی مرأ
إیثاکا الأمين ؟ اللهم یا خوف العظیم ، یا من إلیه یجار أبناء السبیل
ولما جرون والمساکین ؟ إنقم لی یا رب الأرباب من هؤلاء الخونة المبطلین !
ولکن ... یجدر بی قبل کل شیء أن أحصى أذخاری لأرى هل سلنی
منها هؤلاء اللصوص شیئا ؟ » ثم راح یحصر کنوزه ، فما وجد شیئا
منها ناقصا أو غیر موجود ، وزاد ذلك فی أشجانه ، فأخذ یندب حظه ،

ويبكي على ما نفي من زمانه ، وينشج نسيجاً مؤلماً لهذه الهجرة الظالمة
عن أوطانه ، وجعل يروح ويغدو على سيف البحر المضطرب ، وحيداً مُعَنَّى ،
ويرسل دموعه وزفراته حتى بدت له آخر الأمر مينرفاً في صورة راع صغير
غص الأهاب عجيب الثياب جميل الحياء ، كأناء الملوك ، ملتفماً حول
عنقه ومن فوق صدره بشفيف^(١) صفيق طوى حولهما طيتين وفي قدميه
نعلان متواضعتان ، وفي قبضته حربة ناعمة لامعة . وكانت مفاجأة
سارة فوجيء بها أوديسيوس فخطا خطوات عاجلة إلى الشاب وراح يسأله :
« مرحباً أيها الغرائق الجميل ! لقد كنت أول إنسى ألقاها هنا ، فبحق
هذا عليك أن تحميني وتحمي أذخاري هذه ، وألا تلحق بأيذا أدى !
إلى أتوسل إليك كما لو كنت أتوسل إلى أحد الآلهة أن تصدقني فيما
أسألك عنه : أية بلاد هذه ؟ وأي قوم يعيشون فيها ؟ أي جزيرة آهلة ،
أم حدور من بلاد مترامية ؟ أخبرني بأرباك أيها الفتى . »

وقالت مينرفا ذات العينين الزبرجديتين تجيبه : « أيها الغريب
اللاجيء كم أنت ساذج ! كيف تسائل عن هذه البلاد كأنك لست من
أهلها ؟ إنها بلاد ذات ذكر في المشارق والمغارب ، ومنها وإليها تصدر
الركبان إلى كل فج ، ثم هي ليست يهماء مجهولة ، بل هي جنة مأهولة ،
زاخرة الخيرات موفرة البركات ، ففيها أنصر سهول القمح ، وأهيج
عرائش السكروم ، وأخصب المراعى الخضر الحافلة بقطعان النعم والشاء ؛
تسقي من ماء معين ، وأنهار وعيون ... هذه يا رجل إيثاكا ... إيثاكا

(١) الثوب الرقيق . -

المباركة ، التي استطالت شهرتها ، واستطار ذكرها حتى ملأ الحافين ،
وجاوز طروادة ذات المجد ، التي لا تبعد شطآنها من أخايا .

وتشاع البشر في نفس أوديسيوس لما سمع الراعي الجميل يؤكد في
لمحة قاطعة أن هذه البلاد هي إيثاكا الموعودة ، وهز السرور أعطافه لما
رأى من زهو الشاب وافتخاره بها . بيد أنه مع ذاك راح يتجاهل ،
ويؤدى عدم معرفته لهذه البلاد ، ويحاول أن يخدع العنق عن نفسه ،
وما يخدع إلا نفسه هو .. قال : « أجل .. لقد سمعت عن إيثاكا في
أقصى البحار ... والناس يعرفونها حتى في كريت التي وصلت منها اليوم
بعتادى هذا ، تاركاً فيها أبنائى وذوى رحى ، فاراً بنمسي من القفلة
المائلة التي فعلت .. يا ويح لى ! ! لقد قتلت العداء المعروف أرسيلابون
أيدومين العظيم الذى لم يكن يباريه فى سرعة عدوه أحد . لقد حدثته
نفسه أن يسلبنى ما غنمت من كنوز طروادة وأسلابها وما حصلت عليها
إلا بعد قتال شديد ولظى جرب ، وركوب أهوال فى ذلك اليم ... وذلك
لأنى أبيت أن أقاتل تحت لوائه ، أولواء سيده ومولاه ، بل قدت فيلقاً
من الجند فظمرت وانتصرت ، فكبرت عليه هذا ، وحفظها لى ، وأضمر
فى نفسه الغدر ، فلما عدنا أدراجنا إلى أرض الوطن ، حاول أن يسرقنى
كنوزى ، فأقصده ^(١) ربحى فأردبته ، وكان معه زميل له شرير فدبحته ،
واستعنت عليهما بدجى الليل ودُجَّتته ؛ ثم هربت تحت أستار الظلام
بأحرارنى إلى الشاطئ ، حيث حملتى سفينة فياشية رجوت ملاحيا أن
يمجروا نى إلى شاطئ بيليا ، أو إلى مرفأ إيليس ... لكنهم وأسفاه

اضطروا إلى الإرساء هنا لأن ريحاً عاصفاً قسرتهم على ذلك ، فوصلنا هنا
برغمنا في جنح الليل البهيم ، ونقمينا عناء عظيماً في النزول بالمرأى الآمين ؛
ومع شدة حاجتهم إلى الطعام ، فإنهم لم يستأنوا ، بل تركوني وحدي ،
وأبحروا على عجل ، بعد إذ تمت على الشاطئ من الإعياء ، وبعد إذ حملوا
إلى هنا متاعى ... وهم الآن في طريقهم إلى سيدونيا ... وهأنذا وحدي
هنا ، لا أعرف أيان أذهب ، ولا أين أمضي ! ! » .

وسكت أوديسيوس ... ولكن الراعى الشاب الجميل أخذ ينحول
في فتون وسحر إلى صورة حلابة أخرى .. لقد أصبح امرأة حسناء
هيعاء ... وها هي ذى ... تلك المرأة الحسنة الهيفاء ... تبدو في صورة
مميزفاً — ربة الحكمة — التى اقتربت من البطل في تبسم وظرف ،
وأخذت تعبت بلحيته الكثثة الشعناء في دلال وسخرية ، وراحت
بدورها تجيبه : « مرعى أوديسيوس ... مرعى مرعى ! ! ما أحسب
أن أحداً — أحداً من الآلهة — يفوقك في مكرك وراعة حيلتك
يا ابن ليرتيس ! ! أما أن تقلع عن سراواتك التى حذقتها مذكنت يافعاً
وعن توتية الأحاديث الملفة التى حذقتها واشتهرت بها في العالمين ! !
ولسكن ... تعال ... ليدع كلانا ما يحاول أن يزوق به كلامه ، مكلاًنا
بارع في ذلك صناع ... أنت بعصاحتك . ودقة فهمك وطريف حيلتك
بين الناس ؛ وأنا بحكمتى وقوة تدبيرى بين الآلهة ... وما أحسبك تجهل
ميزفا ابنة جوف الأكبر ، التى كانت رائدك ورفيقك في كل ما حاق
بك من مكروه ... فقد كنت أقذف الشجاعة في قلبك في مواقف شدتك .

كما كنت أثير الحمية في أفئدة الفياشيين الذين وصلوا بك إلى هنا ، وهأنذا طويت إليك فدافد الرحب لأخلو ساعة بك ، ولأن لي حديث نصح معك ، بودى أن أمحضك إياه ... وقبل هذا ينبغي أن تحبىء كنوزك التي أسبغت عليك بمشورتى ... ثم إنى محدثتك عما يتحيفك من أرزاء ، وما يدبر لك من كوارث تحت سقف بيتك ، ونصيحتى أن تحتمل ما يصيبك أول الأمر بقلب جليد وصبر ثابت وطيد ، واحذر أن يعلم أحد ، رجلا كان أو امرأة — بوصولك إلى إيثاكا وحيداً شريداً لا حول لك ، كما وصلت ، بل اصمت كلما حاول أحد أن يتعرفك ، واحتمل الأذى كلما امتدت به يد إليك » . وقال أوديسيوس ، وقد أسقط في يده : « لله درك يا ربة ! ما أبرعك في تغشية العيون وتضليل الأبصار ، والتشكل في أى صورة شئت ! بيد أنك برغم ذلك حليلة رحيمة كعهدى بك دائماً ؛ ألا كم نصرت أبطال أخايا المداويد ، وأظفرتهم بأعدائهم في ميدان طروادة ... ولكنى لن أنسى منذ أقلع أسطولنا من مياه تلك المدينة ، بعد سقوطها في أيدينا أنك لم تظهرى لنا قط ، ولم تبادرى مرة إلى إنقاذى من إحدى الرزايا التي كانت تحيق بى والتي كنت أحتملها بقلب جديد ، وصبر شديد ، حتى رثت الآلهة لحالى فجعلت لى منها مخرجاً وأنقذتنى إلى بر فياشيا ، حيث أثرت فى صدرى النخوة ، وأوليتنى الشجاعة ؛ وكنت دائماً دليلى ورائدى .. ولكن ... أصدقينى بأبيك يا ابنة جوف ، هل وصلت حقاً إلى إيثاكا ؟ أم أنا فى صقع سحيق عنها وإنما أنت تسخرين منى وتعبثن بى ؟ أصدقينى بأبيك يا ربة ، هل هذه

بلادى العزيزة إيثاكا ؟ هل هى حقاً ؟ » وفالت ذات العينين الزبرجديتين
تجيبيه : « دائماً حَذِرْ يا أوديسوس ، وإلى الأبد يملأ الوسواس صدرك ،
رغم ما أوتيت من حكمة وتديان ورجاحة هكر وسلامة جنان ! بيد أنك
معدور يا صاح ، إذ أرى رجل يتشوف لرؤية زوجه وأبنائه ولا يتحرق
شوقاً للقيام ، بعد هذا النوى الطويل ، والبعد الممص ، والأهوال الجسام
الجنة ؟ غير أنه أفصل لك ألا تعلم شيئاً ولا تسأل عن شيء حتى تلمس
بنفسك مقدار ما تكنه لك من الحب ، تلك الزوجة الوفية المخلصة التى
ذهب شبابها عليك حشرات ، والتى ذرفت دموعها من أجلك آناء الليل
وأطراف النهار طوال تلك السنين الباكية الحزينة الموحشة . إني
لم أتركك يا أوديسيوس كما تظن ، بل كنت أعلم أنك راجع دون ما ريب
إلى بلادك ، وإن فقدت كل رجالك ورفاق سفرك الطويل الشق ...
غير أنني أشفقت أن أثير حنق نبتيون ، عمى وشقيق أبى ، الذى يحزن الأسى فى
قلبه من فعلتك التى فعلت بعين ابنه السيكلوب ... ولكن هلم ... إني
سأقطع شكك باليقين ، وسأدلك على علائم تؤكد لك أنك فى إيثاكا ...
فهذه هى ميناء فورسير حكيم البحار ، وهى الزيتونة السكرى عند رأس
المرفأ وعلى مقربة منها ذلك الكهف المقدس الإلهى الذى تأوى إليه
عراس البحر المعروفة باسم النياذ ، وقد طالما كنت تجزر القرايين والأصاحى
باسمهن عند وصيده ، وهالك جبل نيريتوس وأولئك غاباته الشجراء ... »
ثم رفعت ربة الحكمة العشاوة عن عينيها فعرف دياره ولم ينكر شيئاً منها ،
وهكذا شاءت العناية أن يشهد البطل المكدود بلاد الحببية مرة أخرى ،

وهكذا خيراً أوديسيوس جاثياً يقل ثرى الأرض المقدسة ، ثم رفع يديه يصلى لعرائس الماء كسابق دأبه : « يا عرائس البحر ، يا بنات جوف الأعظم ، لقد قنطت قمل هذا من أن أراكن ، فهأنذا أعود إليكن بألف ندر وألف تحية وسلام ... ولأسكن القرايب الغوالى إذا مدت أختكن — مينرفا الحكيمة — فى أيامى وباركت رجولة ولدى ومعقد أحلامى » .

وقالت ابنة جوف تؤيده : « تشجع يا أوديسيوس لا طائل لهذه الوسواس التى تعذبك ! هلم ! البدار ، البدار ! لنجى هذه الكنوز فى أغوار ذلك الكهف السحيق لتكون فى مأمن من عبث عابث ، ثم هلم أدر الأمر معك » وانطلقت الربة فى ظلمات الكهف تتكشفه بينما حمل أوديسيوس أذخاره فوضعها حيث أشارت مينرفا ، ثم حملت يديها الجبارتين صخراً عظيماً فأحكمت به غلق المدخل الرهيب . وجلسا عند أصل زيتونة باسفة ، وشرعا يرسمان الخطط ويحكان التدبير لهلاك العشاق الفساق المعاميد ، فقالت مينرفا : « أوديسيوس ، يا ابن ليرتيس المجيد ، هلم ، أعمل فكرك الآن فى الوسيلة التى تبديد بها أعداءك الذين لا يستحيون ، أولئك العشاق الذين استبدوا بأسرتك طوال أعوام ثلاثة ، واستباحوا حماك ، وتكالبوا حول زوجتك كل هذه السنين يغرونها بالوهود ، وبزخرفون لها الأمانى ، ويعسلون لها كلة الفسق ، وهى ما تزداد إليك إلا تحرقاً ، وما ترقأ دموعها من أجلك ، فتحتال لهم ، وتعد هذا وتوشى المنى لذلك ، معللة نفسها بعودتك لتسحقهم جميعاً ! » واستعبر أوديسيوس قليلاً وقال : « أوه ! كأن القضاء الذى أسكت نائمة أجاممنون يكاد

يحقيق بي أنا الآخر في صميم دارى ! ولكن ... وى ! اضرع إليك أيتها
الربة أن تشيرى على وتنصحنى لى وتلقينى كيف أثار من هؤلاء الطغاة ؛
وأتوسل إليك أن تقذفى فى قلبى الشجاعة كما قذفتها فيه تحت أسوار طروادة ،
فانى بعونك أدوخ المئين من أهدائى ، وما دامت يدك فوق يدى ، فإنى
مستأصل شأفتهم جميعاً » قالت مينرقا : « اطمئن يا أودسيوس ، فساكون
معك وإن لم يمتد إلى طرفك حتى تغتالم أجمعين ، وحتى تطيح رؤوس
أكثرهم على أرض قصرِكَ ... ولكن تعال ، ألق بالك إلى ، إنى سأغير
من هورتك ، وأحور من شكلك حتى لا يعرفك منهم أحد ؛ فهاتان
الوفرتان ^(١) تستطيلان حتى تغطيا كتفيك وحتى تتصلا باللمة ^(٢) ، وسأدرك
بدثار مرقع رث يشير التقزز فى نفوسهم فلا يمدون أبصارهم إليك ،
وسأحدث أوراماً حول عينيك تزيد فى تفكيرك ، حتى ليحسب من
يرى إليك من أعدائك أنك وأهلك بعض المساكين الذين لا يفتأون
يضربون فى الأرض ... على أنه ينبغى أن تلقى راعيك الأمين (إيبومايوس)
الرجل الوفى الذى لا يزال يخلص لك ، ويبنى لابنك ، ويؤثر بأصنى وده
زوجك ... فاذهب إذن إلى جُبيل كوراكس المطل على نبع أريثوزا ،
تجد قطعانك ترعى العشب الحلوثة ، وتسقى من السلسبيل المجاور ؛ وتجد
راعيك الشيخ يتشوف إلى رؤيتك ، فحيه واجلس إليه ، واسأله عن
كل ما ترى أن تعرف من أنباء بيتك وأهلك وعقارك ، وتلبث معه حتى
أعود إليك بابنك من أسبرطة ... إبنك تليماك الذى ذهب يذرع الرحب

٠ (١ - ٢) الوفرة ما بلغ شحمة الأذن من الشعر واللمة ما ألم بالنكسب منه .

سائلاً عنك ، متحسساً أحبارك حيث حل ضيفاً كريماً على الملك منلوس ،
الذى أرسله إلى ليسديمون ليرى هل لا يزال أبوه حياً يرقق ؟ » قال
أوديسوس : « وأسمعه عليك يا ولدى !! ولم أيتها الربة المحيطة بكل شيء
لم تخبر به أننى حتى أرقق وأننى لا بد عائد إليه ، فكنت كفيته بلاء
الرحلة فى تيه البحر ، بينا هؤلاء الكلاب يستنزفون ثروته وماله ؟ »
فقال تيجيبه : « لا تأس على ولدك هكذا يا أوديسيوس ؛ لقد أرسلته أنا
ثمة ينشد الشرف وينشر ذكره بين الناس ... إنه لا يلقى عنقاً هناك ،
بل هو ينعم بالرعاية فى قصر أنريديس ! واعلم أن فريقاً من عشاق بنلوب
يترصدونه ، ويترصدونه فى طريقه ابتغاء أن يقتلوه قبل أن يبلغ أرض
الوطن ... ولكن لا ... خاب فألمهم ... إنهم لن يمسوه بأذى حتى
تكون الأرض قد رويت من دمائهم ، وغيبوا جميعاً فى بطونها ؛ أولئك
السفلة الذين يستحلون زادك وعتادك الآن » . ثم مسّته بعصاها السحرية
مدت عليه بدوات الكبر ؛ فهذا جلده قد تغضن ، وهاتان وفرتا ولته
قد استطالت حتى بلغ شعرها قدميه ، وهما هى ذى تضى عليه الدثار المرقع
الرت ، وهما هى ذى تحدث الأورام حول عينيه وتزوده بمزق قدرة
علق بها التراب والسخام^(١) وهما هى تضى عليه بعد ذلك جلد ظبي قديم
غليظ وتدفع إليه بمكازة طويلة يتوكأ عليها ، وتمده بمزود^(٢) تدلت منه
أوشية قبيحة ، وأحيط بسيور من جلد عتيق ...
وافترقا ... فهو إلى حيث يلقى راعيه ... وهى إلى حيث تلقى تليماك
فى مملكة ليسديمون .

(١) الفحم أو ما يعرف بالعامية بالهاب .

(٢) خرج .

مع السرى

وسلك سبيله فى طريق وعمر مخفوف بالأشجار الباسقة إلى مرمى
صديقه الراعى الشيخ الأمين ، فوجده جالساً وحده فى مدخل الحظيرة
الشاسعة القائمة وسط المرج المعشوشب النضير . ولقد سورها يومايوس ،
إذ سيده غائب فى أقصى الأرض ، بسور عظيم ضخيم من حجارة قوية
نحتها من محجر قريب ، وجعل على السور فروعاً من قتاد وشوك وحذوفاً
من سنديان ، حتى صارت أمانع من عقاب الجو . . كل ذلك دون أن
يساعده أحد ... ثم قسمها اثني عشر زرباً^(١) جعل فى كل منها خمسين
خنزيرة كغنازاً ... أما ذكران الخنازير فقد تركها سائبة فى الخارج
ليرسل منها إلى العشاق المعاميد ما يأكلون منه وما يرغبون . . وقد بقى
منها بعد تلك الأعوام الطوال ستون وثلاثمائة . وربضت لدى الباب كلاب
أربعة كسباع البرية ، تلاحظ الحظيرة بأعين كالجر ؛ وجلس الراعى يعمل
لنفسه نعالاً من جلد ثور مدبوغ ، بينما انطلق خدمه ومعاونوه الأربعة
يعملون ويدأبون هنا وهناك . وكان رابعهم على وشك أن يترك الحظائر
إلى المدينة ، حاملاً لحم خنزير حنيذ يذهب به برغمه إلى العشاق الفساق .
ولحت الكلاب أودسيوس فأهرعت إليه ، وظلت تعوى وتذبح ، وترغى
وتزبد ، وأوشكت أن تفتك به ، لولا أن ذهب يومايوس فكسر شرتها

(١) الرب : الرابية للعلم .

بأرماها به من الحجارة ، ولولا أن ترك أوديسيوس عكازه يسقط
من يده لأن الكلاب لا يغيظها إلا أن يُمسك لها أحد عكازاً ... قال
الراعى : « أيها اللاجئ العجوز سلمت ! خطوة واحدة ، وكانت هذه
الكلاب قد مزقتك إرباً ، وكانت قد لحقت بى سبة لانيديا ! ألا كم ترسل
على الآلهة من كروب ! وكم ترمينى به من آلام ! أنا ، هذا العجوز
الهالك ، الذى أمضى الحزن ، وشفنى الأسى من أجل سيدى ومولائى !
هأنذا أؤمن قطعانه وأرعاها لينعم بها غيره ، بينما هو نازح غريب يحب
الآفاق ويشتهى كسرة يتبلغ بها ، إن كان لا يزال حياً يرقق ! أوه !
تعال أيها الصديق ، هلم فاتبعنى إلى دارى أطعمك ما تيسر ، وأسقك
كفائيتك من الخمر ، وتجبرنى بعدها من أنت ، ومن أبى أقبلت وماذا
وراءك ! » وانطلقا ، وقدم إليه الراعى الكريم حشيدته التى كان يجلس
عليها ، واتى اتخذها من جلد عنز حشاه بالقش ؛ فشكره أوديسيوس ، ودعا
له بما يحب وبكل ما تصبو إليه نفسه . فقال الراعى بحبيبه : « أيها الصديق
ليس أمقت إلى من أن أذود لاجئاً إلى دارى وإن يكن أرث منك حالا ،
لأن أبناء السبيل جميعاً هم ضيوف زيوس رب الأرباب وأنا مع ذاك
أعتذر إليك إذا لحظت أن زادى قليل وأن حالى رقيقة ، فلقد مضى زمن
العز والعيش الواسع المحفرج وأصبحنا نعاني القل والفاقة والعيش العكد
تحت إمرة هؤلاء الرؤساء الأصاغر . آه يا مولائى يا زين الحياة ومؤدب
الناس أين أنت وأين أيامك وخيرك الوفرة ؟ امتها دامت ، وليتك ظالت فعشنا
فى كنفك ... وليت هيلين وكل من فى بيت هيلين مداؤك ... هيلين

التي قتلت سادات هيلاس^(١) رَمْنُ أبحروا مع أجاممنون لينيلوه النصر في
ميدان طروادة ! ». ثم لم دثاره وذهب إلى الزرب الأول فجاء بخنزيرتين
سمينتين فذبحهما وسـلخ جليدهما ، وجعلهما إزباً لإزباً ؛ ثم أشعل
ناراً عظيمة فسوّى على جمرها السفايد المثقلة باللحم ، وجاء بالشواء فوضعه
أمام أوديسيوس ، ثم نثر عليه من الدقيق ، وأحضر زق الخمر ، وجلس
قبالته وقال : « هلم يا صيفي العزيز فكل وارو ... لا تؤاخذني إذا رأيت
الشواء لا سميناً ولا حنيذاً ، فكل سمين وحنيز يذبح أولاً فأولاً ويرسل
إلى العشاق السفلة الذين لا يرعون في الآلهة إلّا ولا ذمة ، ولا يخافون
سماء ولا بشرأ ... يا لله من هؤلاء الفجرة ... ألا يلعون شعهم ويغيرون
بغيلهم ورجلهم على بلد قاص فيثوبوا بأسلاب الغزو وسخط الآلهة ؟ أم
ترام أوحى إليهم بموت مولاهم فهم هنا قائمون ما يريمنون ، ولزاده آكلون
ومن خمره شاربون ، حتى فرغت الجرار ، وخوّت الدار ، وضوّل الزرع
وجف الضرع !! أبدأ ما ملك أحد مثل ما ملك مولاي ! لقد كانت ثروته
تعادل ما يملك عشرة أو عشرون أميراً ؛ ولا أزال أذكر مما ملكت يده
اثني عشر قطيعاً من الأنعام كانت ترعى العشب في مروج الشاطئ^(٢) .
المقابل ، وكثيراً من قطعان الأغنام وأرعال^(٣) الخنازير وأسراب الماعز ،
عليها أجراء وخدم ورعاة لا يحصون ، ورجال مخلصون يزرعون في حقوله
الشاسعة ويحصدون ، ورجال يحلبون من قطعانه كل كناز للذبح ...

(١) اليونان وتسمى أخايا أيضا .

(٢) لعله شاطئ آسيا .

(٣) جمع رعييل ويجمع على رعال أو أراغيل وهو في الأصل للخيل والبقر .

أما أنا .. فقد عهد إلى هذه الأرعال التي ترى ، أطعمها وأعني بها ،
و ... وأأسفاه ؛ وأرسل إلى العشاق كل يوم بخيارها .

وصمت الراعي بينما كان أودسيوس يصغى ويلتهم طعامه ويفكر
ألف فكرة ، ويدبر ألف تدبير لسحق هؤلاء العشاق المغاليك . حتى
إذا انتهى ، قدم إليه يومايوس كأسه دهافا ، فقبلها وشرب ما فيها وقال :
« ترى ما ذا كان اسم سيدك أيها الصديق ؟ لا بد أنه كان مشهوراً
ذا ذكر ، لما وصفت من واسع ثرائه وسمو جاهه وبسطة ملكه . لقد
قلت إنه ذهب إلى طروادة مع أجامنون ، فهل تفضل فتذكر لي اسمه
عسى أن أقص عليك من أنبائه ؟ لقد ذهبت أنا الآخر نمة ، وسافرت في
بلاد شتى ، ومحال ألا أعرف العظماء الذين جاهدوا مع أجامنون . »
فأجابه الراعي : « وأأسفاه أيها الأخ العجوز ! أبداً لا تنطلي الأنبياء
الملففة عن مولاي على زوجه أو ولده ؛ فكم من جواب آفاق مثلك ،
محتاج إلى لفات أو سر وال ، قد لنى الزوجة المسكينة فلفق لها قصصاً
مكذوباً عن رجالها ثم دلت الأيام على كذبه وزحرفه ، والزوجة في كل
ما تسمع تذرف الدموع وتصدع الآهات كأحسن ما تصنع زوجة وفيه
من أجل زوجها الذي قضى في بلد بعيد . وأكبر ظنى أنك تطمع في
كساء تخلعه عليك هذه الزوجة المفقودة الرءوم ، فأربع عليك ، فالرجل
قد قضى ، وليس بعيداً أن تكون كلاب البرية وسباعها قد اغتذت به
أو أنه قد غرق فأكله السمك ، ولفظت عظامه على سيف البحر
اتذروها الرياح ، تاركاً وراءه قلوباً تأسى عليه ، أحزنها عليه قلبي .

تالله ما وددت أن أرى أبوى اللذين غادرتهما منذ أحقاب كما أنشوف
اليوم إلى رؤية هذا الرجل ... آه يا أوديسيوس ! أين أنت ... إنك مهما
تطت النوى وشحطت الدار فلن أبرح أذكرك وأسبح باسمك وأوقرك
بما أحسنت إلى وعنيت بشأى ، يا من فراقك عندى آلم لى من فراق
أعز إخوتى وأشقائى ! »

وحده أوديسيوس وقال : « أيها الصديق لم تياس من عودة
مولاك هكذا ؟ ولم يخامرك الشك فى أن رجوعه محتوم لا ريب فيه ؟
إذن فأنا أقسم لك قسما لا أحث فيه أنه عائد لا محالة ، ومعاذ الآلهة أن
أقسم وأؤكد الأيمان لأنال القميص الذى ذكرت أو الدثار الذى أنا فى
تسدة الحاجة إليه ، بل ليبقى القميص والثار حتى يتحقق قسمى ونهر
يمىنى فأتسلهما منك ، فإنى أمقت الكاذب الخائن فى يمينه كما أمقت
أبواب الجحيم ، والله على ما أقول وكيل ... إطمئن إذن يا صاح ، وثق
أن أوديسيوس لا يبد عائد هذه السنة إلى إيثاكا بل ربما عاد هذا الشهر ،
ولن يمضى شهر آخر حتى يكون قد ثار لعرضه من أعدائه وبطش بهم
جميعا ... أولئك الفجرة الأشرار الذين جسروا على استباحة حماه ،
وإهانة روجه ، وعدم المبالاة بولده ! » وسخر الراعى وقال : « أهكذا
تقسم وتؤكد القسم يا صاح ؟ أبدا لن تنال الرهان أبدا ، فقد أودى
أوديسيوس ولن يعود بعد ... هلم هلم ، تحسس كاسك الروية ودع هذا
الحديث فإنه يحزننى ويشير شجونى ... خل قسمك ، وليقدم أوديسيوس
فى خيالك أو فى الحقيقة ، فأنا وزوجه وأبوه وولده ... كلنا نشتى ذلك

ونتمناه على الآلهة .. يا ويح لك يا تليماك الحبيب ! لقد كنت أرقص
طرباً كلما رأيتك تغتبط كما نبت أنوك ، وتشب على الفضائل التي شب
عليها ! أين أنت ؟ لقد ذهبت إلى ملك ييلوس تتحسس أخبار أبيك ،
وهام العشاق يترصّدونك ويتربصون بك ليغتالوك في الطريق . ألا
طاشت أحلامهم ، وحماك جوف الأعظم من مكرهم ، وحفظك أبيت
أرسمسياس يا أغر الناس ... ؟ ولكن تعال أيها الضيف الكريم ...
قل لي بربك واصدقني في كل ما تقول : من أنت ، ومن أين أقبلت ،
وفيم قدمت ؟ وما بلدك ؟ وأين يقيم أنوك ؟ وأي سفينة حملتك إلى
شاطئنا ؟ فلمعمرى إنك لن تدهى أنك وصلت إلينا سائراً على قدميك !! »
فقال أوديسيوس يجيبه : « سأقص عليك من أنباء التي لا يأتيناها الباطل
مالو أبثت عندك عاماً بين هذه الخمر وذاك الطعام ، بينما يكد الآخرون من
أجلنا ويجهدون ، ما فرغت من قصها عليك ... فهي أنباء باكية وآلام
متصلة ، شاءت السماء أن أقاسيها ، وأن أجرع غصصها . إذن فأنا ابن
كاستور هيلاسيد أحد سراة كريت ، من سرّيته المحبوبة التي كان يعزها
كزوج . ولم يكن ألى يفرق بيني وبين إخوتي من زوجته ، بل كان
يوليناهم على السواء ، وكان الناس يجعلونه كأحد أهلكم لثرائه الواسع ،
وحسبه الضخم ، ولأعماله الناجحة ؛ فلما مات اقتسم أبناؤه كل ما ترك ،
وكان نصيبى منزلاً متواضعاً ، ومالاً هكثيراً ، وزوجة غنية ذات مال
وجمال . ولم يحاول إخوتي أن يدعوني أو يأكلوا ترائي ، لما كنت عليه
من كريم الخصال وحيد الفعال ، وجمال المنظر ووسامة المظهر — لا كما

ترأى الآن — واأسعأ على ما فات من نضارة الشباب ! تالله لن تستطيع ،
 ولن يستطيع أحد ، أن يتحدث كم شقيت وكم بُليت ، وكم من الآلام
 والصنك وأضرار الحياة تحملت ؟ فلقد كنت لا أهرب الردى ، وكنت
 دائماً أحوض أخبار المعامع فى حى مارس ومينرفا فأشك قلوب الأعادى
 وأبهر القادة والزعماء ببجلائل الأعمال ... ولم يكن من دأى أن أشغل
 نفسى بأكلاف البيوت ومشاغل الحياة المعيشية الدنيا ، التى هى بالأحداث
 والغلمان أولى ، بل كنت مشغولاً أبداً بركوب البحار وخوض غمار الوغى ،
 وملاحبة الأسنة ، وما إلى ذلك مما جعلته السماء غراماً وفرحاً لى ، وضراماً
 وفزعاً فى فؤاد سواى — والناس كما تعلم فيما يعشقون مذاهب .. ولست
 أرسل القول على عواهنه ، فلقد قدت إلى طروادة تسعة جيوش ظفرت
 بميالقها قبل هذه الحرب الضروس الأخيرة بينها وبين هيلاس .. ولقد
 حزت الثراء الجم والغنى الوافر من جراء هذه الحروب ، فأصبحت بين
 شعب كريت المفضل المبجل ... ثم كانت الحرب الأخيرة التى قتل بسببها
 مئات من السادة الصناديد من رجال الإغريق ، فاختارونى أنا وصاحبى
 إيدومين قائدين للأساطيل ... ثم حاربنا حول طروادة تسع سنين حافلات
 مُثقلات ، وفى العاشرة سقطت المدينة فى أيدينا ، وعدنا أدراجنا نطوى
 اليم لا ندري ماذا خبأت لنا المقادير ؛ ومن ثمّة بدأ جوف يرسل صبيّاً من
 الرزايا فوق رأسى ، حتى إذا وصلت إلى كريت سالماً لم ألبث طويلاً
 هناك ، ولم أمتع النفس بالأهل والوطن إلا شهراً واحداً ؛ ثم أقلمت فى
 نخبة من رفاقى بأسطولنا إلى مصر بعد أن أولت لهم وقربت القرابين .

وقد أرسلت العناية لنا ريحاً جرت بسفناً رخاء ، كأنما أبحرنا مع تيار نهر
لا جبار ولا عنيد ، ولم يحدث لأى من جوارينا سوء حتى بلغنا سبطان
مصر فى اليوم الخامس ، واتخذت سفننا سبيلها فى النيل عجباً ... ثم حدث .
ما لم أود أن يحدث ، إذ سطا رجالى بعد خُلفٍ فى الرأى وتجار بينهم
عنيف على حقول الفلاحين فاستاقوا أنعامهم وسبوا نساءهم ، واسترقوا
أطفالهم ثم ذبحوا رجالهم .. بيد أنهم لم يسلموا مع ذاك من شر المصريين !
إذ استيقظت المدينة على صراخ الجرحى وأنين القتل ونصويت النساء فقبل
أهلها كالجراد ، بين فارس وراجل ، وكل يحمل السيف البعاز أو الرمح
السهرى ، فأعلموا فينا ضرباً وتقيلاً واستنقذوا السبي كله ، وشفوا جرح
صدورهم منا .. أما أنا ... فىا ليتنى قتلت فيمن قتل واسترحت من هذه
الدنيا التى جرعتنى ضعف هذه الآلام بعد ! لقد كنت أشهد رجالى
يهوون إلى الأرض ، وأعلم أن خوف قد أنزل هذا البلاء بهم جزاء لهم
وفاقاً ؛ فلما رأيت أننى لا محالة شارب بالكأس التى شرب بها رفاقى ،
ألقيت سيفى ، وجريت أعزل من السلاح إلى حيث الملك الكريم ،
فركعت بين يديه ، وقبلت الأرض إجلالاً له ، وبكيت ما شاء خوف أن
أبسكى ، ثم سألته العفو والمغفرة ، فرق لى ، ورثى لحالى ، وأمر بى فأخذنى
فى جملة خدمه وخوله إلى المدينة . وقد رام رجاله أن يقصدونى برماحهم لولا
أن صدهم مخافة من الله الذى أمّن اللائذين به ، المستذرين بظله . ثم لبثت
فى أهل مصر سبع سنين هانئاً سعيداً محبوباً من الجميع . وحدث فى السنة
الثامنة أن قدم إلى المدينة رجل فينقى جواب آفاق ، ما زال لى حتى

أفنعنى بالفرار معه إلى بلاده ، وأغراني بأن له ضياعاً وأملاً كاملاً ، ففعلت ،
ولبثت معه حولا بأكمله ، ثم حدث أن كلنى بعد هذا الخول فى رحله
لا أعرف إلى أين ، كانت أكبر الظن للسطو والقرصنة ، أو على الأقل
لأباع فى بلد قصى بيع الرقيق ، فينتفع شئى ... ورحلنا .. ولكن
عاصفة جبارة هبت علينا وتلاعبت بنا ؛ وعبست السماء ، وكالج الدماء^(١)
وتمرد من تحتنا الماء ، ثم أرسل جوف صواعقه على السمينة فقصفها ...
وغرق الملاحون جميعاً ! ... وأكرمنى الله العلى اللطيف بمبعث إلى بقلع
السمينة الأكبر فتعلقت به ، ولبثت الصبا تقذفنى نحو الجنوب أياماً
تسعة ، وفى ظلام الليلة العاشرة ، دفعتنى على شطآن تسپروتيا حيث
أكرم مشواى ملكها العظيم البطل فيدون ، وعنى بشائى . وذلك أن
ولده رآنى طريقاً على الشاطئ أ كاد أموت من البرد والجوع ، فحملنى
إلى قصر الملك حيث ردت إلى الحياة وأعطيت دثاراً وصداراً ، وخصصت
لى غرفة فسيحة ذات أرائك ... وهناك سمعت عن مولاك النازح ،
البطل أوديسيوس ، ورأيت به بعينى رأسى وقد ذكر لى عن فضل الملك
وإكرامه مثواه ، ما برهنت عليه أعماله ؛ ثم أرانى أوديسيوس كنوزه
من الذهب والذخاس وطرف الحديد التى جمعها فى أسفاره ، والتى تكفى
للنفقة على أسرته عشرة أحياب ... وكان الملك يحفظها له فى غرف
كثيرة فى قصره إعزازاً له وتكريماً ؛ وذكر لى أنه ذهب إلى ددونا
النائمة بين أحضان الحور والسنديان ليستوحى كاهن چوف الأكبر عما إذا

كان حيراً له أن يذهب إلى بلاده متنكراً ، أوفى صورته الصريحة الحقيقية بعد هذا الغياب الطويل عن أهله . وقد أكد لى الملك أن المركب الذى سيحمل أوديسيوس إلى بلاده — إيثاكا — معد فى المرفأولولا أنى أبجرت قبله لشهدهته بعينى يركب الفلك ، ذلك أن فلسكا آخر الملاحين من جزيرة دلشيوم كان راسياً فى الميناء ، فأمرهم الملك أن يحملونى معهم ويذهبوا بى بأقصى ما يمكنهم من السرعة إلى الملك أكاستوس . ولكنهم — وأسماء تالبوا على فى عرض البحر ، وتآمروا بى ونزعوا صدارى ، ونضدوا دثارى ثم انتهزوا فرصة المد فأرسلوا بى إلى شاطئ إيثاكا ، بعد أن ألبسوا تلك البرة القبيحة التى ترى . ولكي لا أقاوم أدنى مقاومة ربطوا ذراعى وساقى وشدوا وثاقى فى السارية فلم أجد حراكا . بيد أن الآلهة رأفت بى وحلت وثاقى فقذفت بنفسى فى الماء وسبحت الى الشاطئ حيث وجدتهم يعدون عشاءهم ويلتهمونه سراعاً .. وقد اختبأت فى الأدغال الكشيفة فلم يرونى ... وهالهم ألا يجدونى حيث شدوا وثاقى ، فذهبوا يبحثون عى حتى إذا لم يقموا لى على أثر ، أقاموا عجلين ، وبجاني الله منهم ، وساقنى الى الرجل الصالح الطيب الذى وصل حياتى وأكرم مثواى ... »

فتبسم يومايوس وقال : « تالله لقد أثرت فى فؤادى مقاتلك أيها الضيف الكريم ، وأشجاني ما لقيت من أهوال ! ولكنك كما يبدو لى لم تسكن جاداً فيما رويت من أنباء أوديسيوس فلم أيها الأخ وعليك من سيما النبل ومخايل الفضل ما عليك ، تلفق مثل هذه الترهات المضحكات ؟ أما والله إنه إن يكن قد نجا من الموت فى ساحة طرواده مما ألب عليه من سحق

الآلهة أجمعين ، فأكبر خلني أنه قد غدا جزر السباع وكل نسر قشعم ...
 وأسفاه عليه ! ألا ليتته قتل في سبيل بلاده في حرب عوان يحمي في وغاها
 بيضة الوطن ! إذن لبكاه جميع الإغريق ، ولاجتمعت هيلاس كلها تتنافس
 في صنع لبنات قبره ، وتخليد ذكره ، ولأورث ولده الجدد والخلود ! هاأنذا
 يا صاح ثاو في هذا المسكان ، لاصق بذلك البيت العتيق ، يغد على في كل
 آنة غرباء مثلك ، يروون لي القصص ، ويلفقون الأحاديث عن مولاي ،
 فبعضهم يبكيه ويتحسر عليه ، وبعضهم يوشى الأكاذيب ليغنى بعض
 الرغد وينال بعض المطاء ، حين أقدمه للملكة الحزينة الكاسفة ،
 بنلوب ! واعمرى ما انطلت على يوماً أحاديثهم ، ولاخدعت مرة بما روقوا
 وزوقوا ! ! أفتحسبني أصدق ما رخرفت أنت الآخر عن أوبة مولاي
 مثقلا بأحمال الذهب من كريت ، واهما أنني بهذا أبالغ في إكرامك ،
 وأحرص على التلطف بك ؟ لم تصنع هذا أيها الرفيق بعد أن ترفقت بك
 الآلهة ، وهدتكم إلى شاطئنا ؟ أما والله إنى إنما أكرمتك حباً ايجوف
 ورهبة من بطشه ولما جاش في صدرى من الشفقة عليك والرثاء لك ،
 والتألم من أجلك . « وقال أوديسيوس يجيبه : « أشد ما أوتيت قلباً أفعمته
 الوسوس ، ونفسا ساورتها الشكوك أيها الشيخ ! هبها أنباء ملفقة ، فما
 يمينى التى أقسمتها لك إذن ؟ تعال ! هلم نتقاسم ميمناً تكون آلهة الأولمب
 عليها شهداء ، إنه إن آب مولاك إلى بيتك هذا فى أقرب ما تظن من
 الزمان ، فيكون لى عليك صدرار ودثار أصلح بهما شأنى حين أعود أدراجى
 إلى دالسيوم ... فإن لم يؤب كما عاهدتك فتجتمع أنت ورجالك وعمالك

وتقذفوا بي من رأس قلة عالية سامقة يخشى أحقر الآفاقيين أن يترجع عليها
وأجابه راعي الخنازير : جميل والله أيها القريب اللاجئ ! تكون ضيفي ،
وتؤاكلني وأؤاكلك على ما نُدتي ، وتطمئن إلي ، وتأنمني ، ثم أذفُ
بك من حالق ؟ جميل والله هذا ! وتضع صلواتي ونسكي لدى جُوف العلي !
سه ! هلم هلم ، المشاء يا صاح ! لقد آن وقت العشاء ... البدار قيل أن يدهمنا
عمالنا فيزحوا المائدة ولا تجد لك مكاناً بينهم »

وهكذا تشقق الحديث بين الرجلين ؛ ثم وصلت رجال الخنازير
وأهرعت إلى حظائرهما حيث ارتفع قُبَاعُهُمَا^(١) وعلت ضوضاؤهما ... وهتف
الراعي بأحد غلمانه فأمره أن يحضر واحداً من أسمئها لعشاء الضيف ولعشاء
الرعاة ... » ... أفما نستحق واحداً منهم — مما تلهم بطون غيرنا الذين
ينعمون بثمار كدنا ونصبنا ؟ »

وجيء بخنزير جسد ، وأججت النيران واتقد الجمر ، وصلى يومايوس
للآلهة ، ودعا لمولاه بالخير ! وتمنى له العود أحمد العود ، ثم أهوى بشاطوره
على عنق الحيوان نحر يتلبط في دمه ؛ وسأخوه بعد ذلك ، وهم به يومايوس
فقطعه ، ووضع إرب اللحم على صبغ الشحم ، ونثر من الدقيق على كل
ذلك ، ووضع الجميع في الجمر ، وكلما نضج شيء وضعه الغلمان على المائدة ،
حتى إذا فرغوا تولى الراعي العجوز توزيع الأنصبة ، فجعل لابن مايا^(٢)
سبعة أسهم ، ولعرائس الماء سهماً واحداً ؛ وجعل لكل من عماله نصيبه
بعد أن أحف أوديسيوس بأجزل الأنصبة جميعاً ، ثم كان يمدد بعد ذلك

(١) القناع بالضم صوت الخنازير ،

(٢) هرمز .

بإمدادات حجة ١١ مما أطلق لسانه له بالشكر وعليه بالثناء ... ورد عليه
 الراعى فى أدب وافر : « إن الله هو مانح كل شيء يعز من يشاء ويذل
 من يشاء ، ويعطى ويسلب ، له الملك ، لا شريك له » . ثم أدوا صلاتهم
 الخيرية فهاقوا المدامة للآلهة ، وكذلك صنع أوديسيوس ؛ وهم ميسولوس
 مولى يومابوس وخادمه الذى اشتراه بماله — فوزع الخبز ، ولبث يخدم
 ويسقى ، ويحىء ويروح ، حتى إذا فرغوا نظف المائدة وأعاد كل شيء
 إلى مكانه ؛ وانصرف القوم إلى مضاجعهم ليناموا ليلة ليلاء ممطرة شديدة
 القر ، عظيمة البرد ؛ ونام أوديسيوس قريباً من مضيفه ، ولم يكن عليه
 من الغطاء ما يقيه هول القرس^(١) فلقى هذا الحديث للراعى الشيخ ولن
 نام معه من عماله : « لله ما تصنع خرمك بالألباب يا قوم ! لقد أوشكت أهذى
 وانتفض وأملأ شدى بالضحك ... ولولا هذا القر لقمتم فرقصت ، ولكنى
 محدثكم حديثاً من أحاديث الشباب فيه هذيان وفيه ثرثرة ، وفيه من حيا
 سلافكم ما فيه . ألا ما أحلى أيام الشباب وما أروعها لو رجعت ! ! إن لها
 لهدى فى نفسى يتردد ، وإنى ما عشت لن أنسى تلك الليلة القارسة
 الشاتية التى قضيتها فى صدر الشباب وريمان الصبي مع صديقى أوديسيوس
 ومنلوس فى كمين تحت أسوار طروادة ، فى مستنقع آسن ذى قصب ،
 مرقب من عدونا فرصة تظفرنا به وتنصرنا عليه ، مقنعين فى الحديد
 والزرذ ، صبابرين لما يصفعنا به بوريس^(٢) من ربح عاتية وبرد ،
 ويسفنا به من قر وبرد ، حتى انعقد الصقيع على دروعنا ، وكدت أما

(١) القرس البرد الشديد جداً .

(٢) ربح العمال أو الصبا .

أحمد ويجمد الدم في عروقي ؛ لأنني والأسفاه استهنت أول الأمر بما أنذرت به الحال من هذا المآل ، فخرجت في عدتي وسلاحي ، ولم ألبس معطفي ولم ألتفع ربطتي^(١) ، بينما قد احترز رفاقي فتدثروا بكل ثقل ... وخفت أن أصبر لهذا البرد فتكون القاضية ، فهتفت بأخي أوديسيوس : « أدركني يا ابن ليرتس النبيل فقد أشفيت على الهلاك من ذلك الزمهرير ! أدركني بأربابك فإنني قد استخففت بالفصل الذي نحن فيه فلم أحضر معي معطفاً ويكاد يقتلني البرد ويهرؤني الصقيع » . وأسكتني أوديسيوس خشية أن يسمعن أحد فلا نفلت من الموت ، وقال لرفاقه : « أيها الإخوان ! رأيت رؤيا وبودي لو يذهب أحد إلى أجاثمتون فيطلب لنا مدداً فلقد بعدنا عن الأساطيل ، ولسنا بخير لما ترون من قتلنا ! » ، وانبرى لها أندريمون ، خلع معطفه وأطلق ساقيه للريح ... وأشار أوديسيوس الخبيث إلى ، علبست المعطف واستدفأت به ، وحدثت الآلهة « أفليس فيكم أيها الأجاويد رجل رشيد ، فينزل لي عن معطفه أتقي به هذا البرد الشديد وأنا في مثل سني وأنتم في ميعة شبابكم ؟ ألا تفعلون ! لتكن لكم هذه اليد على تفضلا أو تأدبا ! » وقال يومايوس يجيبه : « لا عليك يا ضيفنا العزيز ... إنك لن تشكو برداً ولا تقصيراً عندنا ... وليس لدى كل منا إلا دثاره وصداره ومعطفه ، وليس لدينا منها كثير نباهي به ، وسوف يعود تليماك بن سيدنا وولانا فيخام عليك من الملابس ما يسرك ويهيجك ؛ ولكن رويداً فساً كفيك عادية القرب رغم هذا ... وبرغم ما غمزت في

(١) الربطة تشبه الكوفية .

حديثك ولمزت ١١١ . ثم نهض فجمع شيئاً كثيراً من فراء الضم وجعله
 للماعز فجعله ركناً بالقرب من المدفن ، ثم جعل عليها ظهارة^(١) من الصوف ،
 فصاحت بذلك أن تكون لأوديسيوس وسادة وثيرة ليس بها من بأس ،
 نام فيها فاستراح ، والتحف بفراء آخر ، وبات ليلته والابتهاج يغمر نفسه
 لما رأى من حرص راعييه على ذكراه ، وحنينه للقياء ، وعنايته بقطعانه ...
 أما الراعي العجوز الشيخ ، فكأما أثرت فيه مقالة أوديسيوس فهب
 فالتقى عليه سلاحه ، وأضفى على كاهله دروعه ، بعد أن خلع معطفه ،
 وأنزر بمجلده عنقه ؛ ثم أجلس بازيه الباشق على كتفه الضعيف ، وحمل
 حربته التي يذود بها الناس والسباع عن رعاله ، وانطلق في الغراء ،
 حيث جلس على صخرة مشرفة على السهل ، وذلك ليحرس القطيع النائم ..
 غير عابئ بقرص الرياح ولا وحشة الليلة الليلية ...

(١) ظهارة الفراش ونمطه ما يفرش عليه كالملاء .

عودة تليماك

ثم رفت مينرفا رففتين أونحوها ، سكانت في وادي ليسديمون
الخصيب حيث حل تليماك ضيفاً كريماً على الملك منلوس ، وحيث
وجدته يتقلب على دراش السهد والأرق ، لا يستطيع أن يغمض عينيه
من هول ما يفكر في أبيه ... بيدنا نام ابن الملك نسطور ملء عينيه نوماً
هادئاً عميقاً على سرير مقابل لسرير القتي المحزون .

ووقفت الربة عند رأس تليماك وأنشأت تقول له : « إلام تظل هنا في
مهاجرك بأقصى الأرض نائياً عن وطنك يا تليماخوس ؟ أو هكذا
رضيت أن يأكل العشاق الفساق ترائك ويذهبوا بنعماء السماء عليك ،
ثم لا تلبث أن تتوب إليهم من تطوافك بالآفاق بقبضة من هواء ، وخيبة
من رجاء ! هلم هلم ! سل الملك أن يأذن لك في السفر من فورك فقد ألح
جدك وأخوالك على أمك أن تتزوج من الأمير يوريم ، لما اتفق عليه
من مهر ضخم ، وتقدمات وافرة ، أضعاف ما وعد الآخرون ... هذا فضلاً
عما يوشك أن يسلب من القتي العزيزة عليك من بيتك ، التي تنقص من
هنا لتزيد فيما هناك ، فإنه ليس أحب من هذا إلى فؤاد المرأة ، وهي
سرعان ما تنسى أطفالها من زوج شبابها ورفيق صباها من أجل زوجها
الثاني الذي تود لو تهبه كل شيء . فالبدار البدار إذن ، وعد أدرأجك
إلى بلادك لتحفظ تراث أبيك بنفعك حين تكون لك روجة صالحة

وذرار أنجاب ببركة السماء ورعاية الآلهة ... ثم خذ حذرَكَ يا تليماك ، فلقد
اختبأ زعيم العشاق في ثلة من رجاله بين ساموس وإيثاكا بتر بصون بك
ويترصدونك ليغتالوك قبل أن تصل إلى شاطئ الوطن ... وإب فآلم
لخُتب ، ولن يفعلوه حتى يهال تراب الموت عليهم جميعاً ... ألا فارحل
يا بني في ظلام الليل ، واجنُب سفيفتك أن تسلك سبيل ساموس ، وابتعد
ما استطعت عن الجزائر القريبة منها ، وسيرعاك بعض الآلهة ، ويسخرلك
ربحاً رخاء تسارع بك إلى بلادك فإذا بلغت أول الشاطئ الإيثاكي
فانزل إلى البر ، ولتسلك الفلك سبيلها من دونك ، ولتذهب أنت إلى
يومابوس راعي قطعانك الذي يحبك فأرسله إلى أمك كي تقر عينها
بأوبتاك « وما كادت تفرغ حتى زفت^(١) إلى الأولب . وهب تليماك
فأبْقَظ رفيقه من يومه قائلاً : « هلم ييزاستروس ! هلم فأسرج الخيول
ولنرحل من فورنا ! » وقال له ابن نسطور بحبيبه : « هلم إلى أين يا صاحبي ؟
كيف نخط في هذا الليل الدامس ؟ ألا نصبر حتى تشرق ذكاء ، وحتى
يلفك الملك فيخلع عليك ويحسن وداعك ، لتظل ذكراً الحسنة ماثلاً
إلى الأبد في روعك ؟ »

وانبلج الصبح ، فهض منلوس الملك من حصن هيلين الدافي ،
ريم شطر الغرفة التي نام فيها تليماك ورفيقه . وما كاد تليماك يدهج في غبشة
القجر صورة الملك حتى هب مسرعاً ، وأضفى عليه طيلسانه الفاخر ، وأتزر
فوقه بمنزلة آخر ، ثم دلف نحو الباب فلقى الملك ثمة وقال له : « بورك الملك

(١) زف الطائر أسرع في طيرانه ورأسه .

وتعالى جده اتالله لقد آن لي أن أعود إلى إيشاكا ، وبودي لو أذن الملك بذلك »
قال الملك : « إما لا نستطيع أن نحجزك إذا كانت رعتك أن تشد
رحلك يا تليماخوس ؛ وإنه ليس أشق علينا أن يقيم ضيف لدينا برغمه ،
أو أن نَعَجِّلَه على الرحيل من عندها ... بيد أنه يحسن أن تنتظر قليلا
حتى نهيئ لك أغفر الهدايا وأعرز الالهى ، وحتى نعدّها لك فى عربتك ؛
وسأمر ندأ مامى فيعدون لنا فطوراً يليق بوداع ضيف كريم مثلك ،
لا بد له من إكلة حافلة تصبر لسفر طويل يزعمه . فلو أن سفرك هذا
كان خلال هيلاس ، وكنت من أجله ستجتاز أرجوس شرقاً لغرب ،
إذن لاسافرت معك ، ولجزت بك مدائن شتى ، ولأهرع إلينا عمال الأقاليم
يقدمون إلينا الهدايا والتحف ، من صحائف الذهب وركائز الإبريز وكل
كأس ثمينة ، ومن كل دابة مطهمة وحواد كريم » وأجاب تليماك فى
أسلوب الفطين الحذر : « مولاي أتريدس ، منلوس العظيم ! نالته إنه
لأثر إلى أن أرحل لساعتي ، فلقد تركت ورائى بيتاً لم أدعه فى صيانة
أحد ، وحطاماً لست آمن عليه أحداً . وأخشى يا مولاي أن أفضى فى
رحلتى هذه وراء أبى ، فلا أكون قد أبقيت على نفسى ، ولا رعيت تراثه
الذى تركه لى » وأمر الملك خدمه فهبأوا الخوان ، وزودوه عما بقى من
عشاء أمس ، بعد أن أضرم رئيسهم إيتون ناراً أسخن عليها ما ينبغى أن
يكون منها حاراً ... وتوجه الملك إلى غرفته ، فلقى فيها زوجته وولده ؛
فتناول كأساً من الذهب الخالص ، ودفع لولده بدلها من الفضة ؛ أما

الملكة فهضت إلى خزانتها فأحضرت ساجاً^(١) عملت فيه يدها الصناع
فرخفته وزركشته حتى بدا كسواء التمتع فيها نجوم ... وعاد ثلاثهم إلى
حيث ينتظرهم تليماك وكلمه الملك فقال : « ذاك تذكاري إليك يا ابن
أودسيوس بودى لو تقبلته ؛ وهو كأس عجيبه من صنع فلـكان أهداها
إليّ البطل يديم ملك سيدون حين حلت عليه ضيفاً ؛ هذا وأنا أدعو
لك أن يكلأك جوف في رحلتك بعين الرعاية ، وأن يكتب لك السلامة
والتوفيق » ثم قدم إليه الكأس العظيمة وكذلك فعل ابنه ؛ أما هيلين
فقدمت إليه الساج ، وتبسمت عن فم ألد من أقحوانة ، وقالت له : « وأنا
أيضاً أدعوك يا بني ، وأقدم إليك سذوساً^(٢) من أنفس الديباج حبذا
لوجعلته قنينةً تذكرك أمه حتى تقدمه بدورك لعروسك ليلة زفافها
إليك » وكان لكتابتها في نفسه نشوة ، فأخذ الطيلسان وناول ابن نسطور ،
الذي عنى به ووضعه بمكانه من العربة . ثم يمموا المائدة الكبرى ، وصبت
الماء على أيديهم جارية ذات حسن وأناقـة وظرف ، وأخذوا بعد ذلك في
فطورهم ، بينما وقف ابن الملك يدهق الكؤوس ويشرب الخمر ، حتى إذا
فرغوا نهض تليماك ورفيقه فسما وردعا ، وركبا العربة الفخمة المثقلة بأثمن
الهدايا ؛ وتناول الملك كأساً من الخمر وسار حتى دنا من الخيل ؛ فصحبها
صلاة للآلهة من أجل الراحلين وقال : « لكما الصحة والصفاء أيها الشبان
اليافعان . تحياتي إلى نسطور أخي الذي كان يرعاني كأحد أبنائه تحت
أسوار طروادة » فأجابه تليماك : « لا غرو أيها الملك ، فسنعص عليه آية

(١) الساج الطيلسان .

(٢) هو الساج أيضاً .

كرمك وعظيم سخاؤك ... وأرجو لو وصلت إلى إيثاكا فلقيت أبي
أوديسيوس ثمة ! إذن لقصصت عليه هو الآخر ما غمرتنا به من خفاوة
وكرم وعطف ! » وما كاد ينتهى من كلمته حتى بدا عن يمينه نسر عظيم
يحمل فى مخالبه إوزة كبيرة بيضاء ، وقد حلق فى الهواء ، وجرى حوله
الخدم والحشم من أهل المدينة ، بيد أن النسرفاتهم جميعاً ... وقد زعج
الملأ الواقف لتوديع تليماك ، وبدا الملح فى وجه پزاستراتوس ، فسأل
الملك فقال : « ليتفضل الملك فيحدثنا عن هذه العلامة إذا كانت من
أجلنا أو من أجل مولانا » ولكن الملك لم يحر جواباً لقرط دهشه . فلما
لحظت حيرته هيلين زوجته ، تكلمت فقالت : « أيها الملأ اسمعوا وعوا ،
إني أحدثكم كما علمتنى الآلهة ... تالله إن هذه لآية ، فكما غلب ذاك
النسر أولئك الناس ، وذهب بتلك الإوزة البيضاء ، فهى له ، فكذلك
يعود أوديسيوس من تجواله وطويل ترحاله إلى إيثاكا ، فيبطش بأعدائه
الذين استباحوا عرضه وعشقوا زوجه ، ويخلوله وجه بنلوب » وانتفض
تليماك من شدة ما أثرت فيه كلمات الملكة فقال : « ألاحبذا أن يتم هذا !
اللهم يا جوف المتعال حقق النبوة أعبدك ، واكتب لأبى السلامة أخت
لك ، واكتب لى أن أعود إلى بلادى فألقاه ثمة تسكن لك صلاة دائمة
وذكر متصل يا إله السموات ! » ثم حيا الملك ، وألهب الجياد فانطلقت
تنهب الرحب ...

ولم يزالا على سفر طوال يومهما ، حتى بلغا قصر ديوكليس مع مغيب
الشمس ، فضيَّفهما وباتا ليلتهما عنده ؛ وما كادت أورورا تنضج جبين

الشرق بالورد حتى هبا مسرعين ، وودعا مضيفهما الكريم ، وواصلتا
رحلتهما ... وكان ابن نسطور قد أخذ بأعنة الخليل فجعلها تنساب حتى
لكائنها تسابق الريح ... ولما بلغا أبواب ييلوس قال تليماك
لصاحبه وهو يحذنه : « أنت عذيري يا أعز الأصدقاء إذا سألتك أنت
تصل بي إلى السفينة من غير أن تقوجه إلي بيتكم للقاء أبيك ، فقد يكبر
علي أن أرفض نزله ، وأستأني بذلك عنده ، في وقت أنا في أشد الحاجة
إلى العودة إلى الوطن ... على أنني سأحفظ لك في أعماقي ذكرى خالدة
لا تمحى ، زادتها هذه الرحلة الحزينة جمالا ، وعقد أواصرها ما بين أبويها
من الود ، وما بيننا من اتفاق السن ، وصفو المودة وجميل الإخاء » وتردد
ابن نسطور أول الأمر ، بيد أنه لم يستطع إلا أن يلجى رجية تليماك ، فثنى
أعنة الخليل إلى الشاطئ حيث كانت تنتظره الفلك ، فنقل فيها مقاعه ،
ثم ودعه صديقه وعقرت القرايين باسم مينرفا ، وصلى لها الجميع وسبحوا
سبحا طويلا ... وإتهم كذلك ، إذا شاب طويل مقتول العضل يتقدم
إلى تليماك ، فيخبره أنه قاتل آبق^(١) ، وأنه يلوذ به ، وأن اسمه تيوكليمين ،
وأنه يرجوه في أن يسافر معه . فمش له وبش ، وأخذ سلاحه فألقاه في
السفينة ، وأذن له في الركوب ، وجلس الرجل مع تليماك عند مؤخر
السفينة ، في حين كان الملاحون يهيشون القلاع ، ويذسرون الشراع ، ثم
أقلعت الفلك ، وأرسلت مينرفا بين يديها سحسجعا تدفعها في رفق ، وتطوى
تحتها الماء في حدب . وكانت الشمس تتوارى بالحجاب ، وكان الليل

(١) نمرت صفحة من قصة هذا الرجل املها من الموضوع .

يلقى سدوله فوق الكون . . وما هي إلا عشيّة حتى مرّت السفينة بهيريا ،
ثم باء بليس ، وجوّف في كلّ ذلك بحرسها ويرعاه
هذا ما كان من أمر تليماخوس القى . . أما ما كان من أمر
أودسيوس وراعيه ، فقد كانا يلتهمان في هذا الوقت طعامهما ، وما كادا
يفرغان من ذلك حتى أحب أودسيوس أن يرى لنفسه إذا كان الراعى
قد ضاق به ذرعا فينطلق من لدنه ، أو هو كريم ذو نخوة وبخيرة فيبقى
عنده ، فنهض يقول : « أيها الراعى يومايوس .. وأتم أيها الأصدقاء
الرعاة اسمعوا وعوا .. تالله إنى لأخشى أن أرهقكم بضياقتى أو أثقل
عليكم بلبثى عندكم طويلا ، فرجائى إذا انفلق الإصباح أن يقودنى أحداكم
إلى المدينة لأستجدى وأتكف ، فإن أعدم فيهم من يتفضل على بياغة
أو كسرة أو جرعة ماء .. ولسوف أيم شطر بنلوب ، وعسى أن أستطيع
لقاءها لأبلغها أنباء أودسيوس ، فإذا لم أستطع فلن أعدم عملا في خدمة
العشاق ، لأنى والله الحمد ولى من أولياء هرمز رسول السماء ونصير
الضعفاء ، ولن أضيق بتكسير الخشب ، أو إضرار الخطب ، أو حمل
الكس والطاس ، أو القيام على الشواء ... أو ما إلى هذا وذلك من عمل
الفقراء البائسين » واهتز يومايوس إشفاقا وقال : « أيها الرجل ماذا
تقول ؟ أتجازف بنفسك فتلقى بها إلى التهلكة وسط هؤلاء الناس ؟ من
أنت أيها الفقير حتى تحسبك تقدم الخبز لهم أو تأخذهم ، ولم خدم شباب
غُرانيق ، وندامى كالسكواكب نضرة وجمالا ... وحشّم يابسون أحسن
الوشى وأنغر الحرير والديباج ... لتبقى معنا أيها الشيخ فإن نصيق بك ،

وحين يعود سـيدى تلياك فإنه يكسوك ويسبغ عليك ، ويبعثك مكرماً
 معززاً أنى شئت . وشاع البشر فى أعطاف أوديسيوس فقال : « شكراً
 لك يا يومايوس ألف شكر ، وجزاك الله عنى أجزل الخير ، بما كفيتنى
 شر السؤال وذل الاستجداء ، وليس شراً منهما على نفس أبية قاست
 الأهوال ولا تزال تقاسى ... بيد أن لى مسألة عندك بوى لو جلتها لى :
 ألا يزال والد أوديسيوس حياً يرزق ؟ وهل لا تزال أمه بخير ؟ أم أنهما
 اليوم من أهل الدار الآخرة ؟ لقد غادرها أوديسيوس يوشكان أن يطرقا
 باب هيدز ، فهل عندك من أخبارها شئ ؟ » . قال الراعى : « ومالى
 لا أصدق أيها الشيخ ؟ إن إيرتيس — أبا مولاي — لا يزال على قيد
 الحياة ... لكنها حياة شاقة أُنْقَضَتْ ظهره ، وأُنْقَدَتْ صبره ، وهو ما يفتأ
 يضرع للآلهة أن تخلصه منها بالموت ... إنه قد فقد أحسن آماله
 حين فقد حامى شببته الذائد عن شيخوخته ، ولده أوديسيوس ،
 وقد هجل له الشقاء موته ، وحيأته هو من بعده ، فهو ما ينى يبكيه ، وما
 ينفك يُسَاقِط نفسه حسرات عليه .. أما أمه فقد قضت من أسى
 وحزن وطول بكاء ، قضاء ما قضى مثله صديق ولا عدو إلا نى حزين
 عليها يا صاح ، بل أنا أفتقدتها كأعز من أمى لأنها نشأتنى صغيراً ،
 ورعتنى كبيراً ، وكانت تحببى كمحبة ابنتها ستيמיينا التى تزوجت أحسن
 زيجة فى ساموس من كفء مهرها أحسن مهر وأعلاه ... أبدأ لا أنسى
 أنهم ألبسونى أحسن اللباس ، وأعطونى نعلين جديدتين ، فرحاً بزواجها ،
 ثم أرسلونى إلى الحقل ، ولكنهم لم ينقصوا من محبتي ... لقد عاشت

مولاتى بعد أوديسيوس معيشة شقية كلها آلام ، وكنت أواسيها وأعزبها ،
ولكنها ما انتفعت قط بعزاء ، ولا استروحت إلى سلوة ، حتى ماتت وهأنذا
أبكيها كلما ذكرتها ، وقل أن أنساها ، على أنى أحمد السماء على ما أولتني
من خير ، وأسبغت على من نعم ، هى حسبي وحسب الضيف الذى
يفشانى ... على أنى أعذر مولاتى وسيدتى بنلوب إذا لم أر منها عظفا
هلى ، لأنها فى شغل بحالها وسط هؤلاء الأوغاد المعاميد ... وهى بالرغم
من ذلك تولى خدمها المقربين منها نصائح غالية تدفعنا جميعاً ... ثم هى
لا تنسى أن تنفخ الكثيرين منهم ما يفرحون به من آلاء وأعطيات ،
غير ما يأكلون وما يشربون . وكأما أراد أوديسيوس أن يتهكم عليه
ويسخر به فسأله عن بلده ووالديه ، وعن القوم الذين أخذوه عنوة ، وفى
أى سفينة جاءوا به ، وبكم باعوه لأهل أوديسيوس ، فقال الرجل : « أيها
الصديق أعرنى أذنك ، وارشف خمرك ، أقص عليك قصتى ، فالليل
طويل ، وفى جنحه يحلو السمر ، وليس أشهى من أن يروى ذو أشجان ،
وأتم أيها الإخوان ، من كان منكم فى حاجة إلى النوم ليصحو مبكراً
فليذهب . ولينعم بالسرى ... ثم أحسبك سمعت أو عرفت جزيرة سيريا
التي عند أورتيجيا ... إنها جزيرة صغيرة ، لكنها غنية بأغنامها وماشيتها
وقمحها وأعنانها ، كما اشتهرت بهوائها العليل ، ومناخها الجميل ، وصفوها
وطيب رباها ... لذلك لا تعرف أبدان أصحابها الأوصاب ، بل يُعمَّرون
حتى يأتهم أبوالو ^(١) فيصممهم بسهامه ، وتعجل أرواحهم إلى هيدز ،

(١) تضيف من النسخ دانا — وهذه أول مرة نرى فيها أبوالو يقوم
بوظيفة عزرائل فى الأدب اليونانى ، لأنها وظيفة مرمز (مركورى) خاصة (المتجم)

ويقتسم أرض الجزيرة أهل مدينتين عظيمتين ، كانتا تخضعان لسيطرة
أبي الزعيم العظيم ستريوس أورميند ... وحدث أن أرست في شاطئنا
سفينة فينيقية محملة بالطرف والتحف وبلعب الأطفال ، من صناعة
الفينيقيين ؛ وحدث أن كانت في بيت أبي جارية قسيمة وسيمة ذات حسن
وذات دلال ، كانت تقف على سيف البحر لبعض شئون المنزل ، فرآها
بعض ملاحى المرك واستطاع أن يخدعها بكلام معسول ذى طين وذى
رنين ؛ ثم سألها من هى ، ومن أى البلاد أقبلت إلى هذه الجزيرة ..
وكان الخبيث يمزج ألفاظه بنظرات الأبالسة ، وغمزات الشياطين ،
وابتسامات الفزل ، فانقادت له ، ضعيفة كبنى جنسها إذا نصبت لمن
شراك الهوى ، وجذبتهن أحابيل الغرام ، وقد أخبرته الغادة أنها من
سيدون المشهورة بصناعة الصلب والنحاس ، وأن أباه أريباس الفلاح ،
وأن بعض القرصان قد اختطفها حين كانت عائدة أدراجها من حقله ،
وباعها لصاحب تلك الجزيرة بأبخس الأثمان ، وقد أغراها الملاح بالعودة
معه إلى بلدها على فلكه ، وبالفرار من حياة الرق والعبودية للقاء الأهل
والأحباب والأبوين الثريين اللذين كانا لا يزالان حين يرزقان ... فاستحلفتها
المسكينة إذا كان جاداً فيما قال ، فحلف لها ، واستقسمته إذا كان أميناً
غير ذى غرض أو لبانة ، فأقسم لها ؛ ثم تعاهدا على ذلك وقالت له :
« والآن فلا يذكر أحد من أمرى معكم شيئاً لأى من أهل المدينة ، حتى
لا يفشو السر ويعلم به صاحبي ، فيكون فى ذلك وبالى ووبالكم وهلاكى
وهلاككم ... بل امضوا فى بيع بضاعتكم وشراء ما يلزمكم ، ثم إذا

عزمت أن تفعلوا فابشعوا أحدكم إلى بقصر صاحب الجزيرة ، فأتى مرضع ابنه ، وهو الآن يحبو ، بل يدرج ، وإني محضرتة معي فانه سينفكم ، بل نستهطيعون بيعه في أحد البلاد ببعض المال ، وسأحضر معه كل ما نستطيع بدى أن تحمل من آنية وأكواب من خالص الذهب وغالى الفضة ، مما يخيف حمله ويعلو ثمنه » وعادت البائسة إلى قصر أبى ... ولبث الملاحون عامهم كله في مرفئنا يبيعون ويشترى ، حتى إذا حال الحول أو كاد ، حضر واحد منهم إلى بيتنا يبيع بنية^(١) من ذهب وكهرمان ، فالتف حوله وصيقات القصر ثم حضرت أمى فاشتريت بضاعة الرجل الخبيث ؛ الذى استطاع أن يوىء إيماءته المتفق عليها إلى مرضعى فلما انصرف من فى القصر من أضياف ، وذهب الخدم إلى شغلهم قادتني مرضعى التاعسة من يدى فرت بى فى غرفة الزائرين ، حيث كانت أكواب الشراب لا تزال على المائدة فدست منها ثلاثة فى ثيابها ثم ذهبت بى — وأنا طفل لا أدرك — إلى المرفأ ، حيث ركبت معها فى سفينة الفينيقيين ، فأقلعوا ساعة الغروب ... ودفعتنا ربح عاصف طيلة ستة أيام ، وفى صبيحة اليوم السابع ، أرسلت ديانا سهامها مسمومة إلى صدر المرأة — مرضعى الآبقة — فماتت لساعتها — ووضعوا جثمانها فى سَاب^(٢) ثم قذفوا بها فى البيم ، طعمة غير سائنة للأسماك ، ورحت أنا ، اقرط نحى لها ، أبكيها وأهول من أجلها ... ثم دفعتم الريح والموج إلى شاطئ إيثاكا ، حيث

(١) يوزن سفينة ولا تشدد ، هى (الباقة أو الكولة) .

(٢) السَاب والسَاب وعاء كبير للزيت أو الخل وهو الزرق ولم نجد مرادفاً لكلمة

(برميل) المعروفة فاستعملناه .

ابتاعنى صاحبها العظيم ليرئيس ، و بقيت فيها إلى اليوم » وألم أودسيوس لما قص الرعى وتوجع ، وواساه بكلمات طيبات ... « فلقد وصلت فى رعاية خوف إلى سيد رحيم ورجل بر ، كفل لك الهناءة والحياة الهادئة ... أما أنا ، فلا أزال موكلاً بنضاء الأرض أذرع ، وببيلد ألبسه وآخر أقلعه ... ولما ينأى طويلاً ، فقد قطع حديثهما حبلى الليل ... أما ما كان من أمر تلياك ورجائه ، فقد وصل ملاحوه سالمين إلى الشاطئ الإيثاكي ، وأرسوا ثمة ، وربطوا حبالم فى أوتاد المرفأ ، ثم اجتمعوا إلى فطورهم فأكلوا وشربوا ... فلما فرغوا أمرهم تلياك أن يذهبوا هم إلى المدينة ، « ... أما أنا ، فذاهب لبعض شأنى فى المراعى القريبة وسأعود قبيل الغروب ؛ وفى الغد ، سأستقيم سلافة الأوبة التى تذهب عنكم وعشاء هذا السفر . ونهض تيوكلين (الشاب الآبق) فاستأذن فى الذهاب بالبشرى إلى والده تلياك ، ولكن تلياك قال : « كلا يانيوكلين ، لا أريد أن تعلم أمى بقدمى اليوم ، فابق مع رجالى هؤلاء حتى لا تقع أبصار العشاق للمناكيد عليك ؛ وإن شئت فاذهب إلى أحدم ، يوريماخوس ، فهو أعظمهم قدراً وأنهمم ذكراً ، وهو الذى يحاول جاهداً الزواج من والدتى ، والجلوس على عرش أبى ، فاربط حبالك بحباله ... أوأه يا أرباب السماء ! حنانيك يا خوف ! بعداً لهذا الزواج ، وبعداً لمن يحملون به ! » وما كاد يفرغ من حديثه حتى بدا إلى يمينه بازى باشق — هو من غير ريب رسول أبوللو الأمين — وقد أمسك فى مخالبه حمامة بيضاء ، فظل يُدَوِّم ويرنق حتى إذا كان بين الفلك فى البحر وتلياك فى البر نثر خوافها فى الجو ، فترنن

بالقرب من تليماك — وهنا — تكلم تيوكلين فقال : « تالله إنها لآية
من السماء ياسيدى ، إنك ابن أعظم من فى هذه الأرض ، وإن بيتك
أعرق بيوتها ، وستظفر كما ظفر آباؤك » وشكره تليماك ، وتمنى لو صدقت
نبوءته ، ثم أوصى به أعظم رجاله وأخلصهم له — كليتوس — فاهتزت
أريحية الرجل ، ووعد أن يكون له كسيده (تليماك) حتى يثوب ... وسلم
تليماك — ومضى للقاء يومايوس ثم أقبلت السفينة بمن عليها إلى المدينة .



أوديسيوس يفتى تليماك

لقد كانت هدة الفجر الساكنة الجميلة حينما هب يومايوس وضيغه من نومها ليلبسا ثيابهما ويعدا فطورهما ، ويرسل الراعى عماله وراء قطعانه النائمة فى السهل الصامت الوديع ... وحينما أقبل تليماخوس أهرعت إليه الكلاب تلحس ثيابه وتعلق قدميه ، وتهتز من نشوة وطرب لأنها رآته بعد طول الغياب ... وقد لحظ أوديسيوس ذلك فقال يتحدث إلى الراعى : « يومايوس ! هذا أحد معارفك أو الأوداء إليك مقبل ... لشد ما تملقه الكلاب التى أوشكت من قبل أن تعقرنى ! إنها لا تنبح ولا تكشر ، بل تقمى فى إثره ذليلة ! » وما كاد يفرغ من حديثه حتى كان ولده واقفاً أمامه فى رحبة الدار . وما كاد يومايوس يلمحه ، حتى هب من مقامه مسبوها مرتبكا ، وحتى انقذت الأكؤس التى كان يمزج فيها الخمر من يديه ... بيد أنه ذهب إليه يقبله ثم يقبله ، ويبالغ فى تقبيله ، كأب مشوق لى ولده فجأة بعد بصع سنين من مهارة البعد وألم الفراق ! ثم قال يكلمه : « أواه تليماخوس ؟ أهو أنت يا نور عيني ؟ أنت نفسك ؟ أو قد عدت ؟ تالله ما كان يخطر بخلدى أنك عائد من سفرك بعد الذى دبروا لك ! هلم يا حبيبي ! تعال يا بنى ! فلقد عادت روحى من سفر سحيق برؤيتك ... تعال تليماخوس فما أندر ما تزورنا هنا لطول اشتغالك بالمعاميد المناكيد ! » وقال تليماك يجيبه : « أجل أيها الصديق ؛ غير أننى أتيت

لأسألك عن أمي ! ألا تزال مخلصه لذكرى أودسيوس ، قائمة على عهد ،
أم أنها هجرت مهاده لتقع في شرك من شرك العناكب المكددة بها ؟ ! »
وأجابه الراعي فوصف له ما تلقاه الأم المحزونة من الضنى والخرن ، وما
تذرف من الدموع في جنح الليل لما يرميها به الحداث ... ثم دخل
تلياك بعد أن أخذ الراعي حربته ، فنهض أودسيوس ليخلى لولده مقعده ،
فأبى تلياك ... « لأن المسكان فسيح ، ولأن يومايوس يستطيع أن يعد
لنسا مقعداً آخر ... فوالله لتجلسن أيها اللاجيء الكريم ! » . وهياً
الراعي لسيدته مقعداً من الحشائش الفضة والحلواء الرطبة جعل عليها فروة
كبيرة مما عنده ؛ وجلس تلياك .. وأحضر يومايوس فطوره في أطباق من
أطباق أمس وشيثاً من الخبز والخمر ؛ ونشر الصحاف على الخوان أمام
مولاه ، وأخذ الثلاثة يلثمونها أكلة مريثة هائلة ... حتى إذا فرغوا ،
توجه تلياك بالحديث إلى راعيه فقال : « ممن ضيفك يا أبتاه ؟ ومتي وصل
إلى إيشاكا وكيف ؟ وأى الملاحين حملوه إلى شاطئنا ؟ » . قال الراعي :
« والله يا بني ما أستطيع أن أخفي عنك ما قال ؛ فهو يدعى أنه من نسل
الأمائل الأجد من أسراء كريت ، وأنه طوف في الآفاق ، وسافر في البلاد
ورأى من المدن ما لا عين رأت ... وهو يقول إن فلکاً قبرسيا قد
حمله إلى شاطئنا قبل أن تحمله رجلاه إلى كوخي هذا ... ولكن .. لم هذا ؟
ولم أتولى أنا الإجابة ؟ إنه أمامك وأنا أدع أسره لك ، فاصنع به ما تشاء
إنه لا نذ بك ، قاصد بابك ، وأحسب أن له حاجة عندك ! » وبدا الألم
في محيا الشاب فأجاب : تالله لقد آلمني حديثك أيها الأب يومايوس ! أنت

تجعله لائذاً بي قاصداً بابي ، وأنت تعرف من حالي ما تعرف ، وتعلم
أنني مُمرزاً بهذه الطغمة ، مشغول بوالدي التي لا أستطيع
أن أدفع عنها إصر هؤلاء الأبحاس المناكيد ، الذين طال لبثهم حولها ،
وتوقعهم بسببها ، حتى لأخشى أن تضيق بهم فتختار مرغمة ، أفضلهم بعلا
لها ، أو أكثرهم عطاء ، وأوسعهم ثراء ... بيد أنني أوتر أن أمنحه دثاراً
وصداراً ، ونعلين ، وسيفاً جرزاً ، ثم أرسله إلى أي أقاليم العالم شاء ،
في حمايتي ... وإن أحب ، فليبق في ضيافتك أنت ، وسأرسل إليه
ما هو حَسْبُهُ من طعام وشراب خشية أن يرهقك ، أو أن تضيق به ...
أما أن يصحبني إلى القصر الذي تعلم من أمره ما لا تعلم ، فذاك ما لا أرضاه
له ... فقد يغمزه أحد بكلمة فيجرحه ، وأجرح أنا بسببه ، وأنت لا تحبني
عليك أني صغير لا أستطيع مهما أوتيت من الشجاعة أن أرد عادية هؤلاء
الأوغاد » ، وتولى أوديسيوس الإجابة فقال : « أوه أيها الحبيب الطيب
القلب ! لشد ما تتمزق نياط قلبي لما سمعت من أمر هؤلاء العشاق الأشقياء
الذين يستبيحون منزل فتى كرم مثلك ! ولكن قل لي ، إذا أذنت
أن أتكلم في هذا الشأن : هل عن رضى منك لصقوا بمنزلك فما يريدون ؟
أم برغمك أيها العزيز ؟ أليس لك إخوة يسندونك ويشدون أزر
فتطردهم من بيتك ؟ أو اه لو عاد لي شبابي الآن أو اه ! وآه لو عاد الآن
أوديسيوس ! تالله لو أنني في حالك هذه لآثرت أن أمتشق سيفي في وجوههم
فإما أن أطهر بيتي منهم ، وإما أن أخرج قتيلا بينهم فلا تقع عيني على
ما يصنعون ، ولا أرى إلى عيشتهم وعيشتهم بكل ما في منزل أبي من خير

«مسير، السنين الطوال !» فقال تليماك « ليس سرّاً أيها اللاحيء الكريم ما بيني وبين قومي ، وليس منهم من يضر لي عداوة أو يطوى جوانحه لي على حقد ... أما الأخوة والأستقاء فليس في أسرتنا من رزق هذه النعمة ، بل هذا دأب عائلتنا منذ القدم ؛ ذلك أرسسياس لم ينبج غير ليرتيس ولم ينبج ليرتيس غير أودسيوس ، وهذا لم ينبج غيري ... أنا ... هذا المرزأ المحزون الموجد القلب ... من أجل ذلك طمع هؤلاء الطامعون فينا وتكالبوا على بيتنا من كل فج ، فأقبلوا من ساموس ودلشيوم وزاكتوس وأطراف إيثاكا ، ومن الجزر الكثيرة المنتثرة في هذا البحر .. كل يرغب في أن تكون أمي له من دون العالمين زوجة برغبتها ، فهم مقيمون لا يريمون ، آكلين ناعمين ، يستنفدون غلة ما ترك أودسيوس ، آتين على كل ما في بيته وخزائنه ، ويوشكون أن يأتوا على أنا الآخر ا » ثم أمر يومايوس أن يذهب إلى القصر فيخبر أمه بعودته سالماً من بيلوس ؛ فذكره يومايوس بحجده الضعيف الشيخ الذي امتنع عن الأكل والشراب منذ أن رحل تليماك يسائل عن أبيه ... وذلك مما أضواه من الهم ، واستأذنه في أن يمر عليه فيخبره بعودة مولاه حتى يطمئن هو الآخر . ولكن تليماك أسرّه بأن يذهب من فوره إلى القصر فيخبره ... وانطلق يومايوس ... وكانت مينرقا تنتظر ذهابه لتبدو لأودسيوس في صورة حسناء ذات وقار وحسن سمت ، وقد أخذت الكلاب بروعة مرآها فتكسبت في أحد أركان الحظيرة ، وراحت توفوق وتهر^(١) مما شدها

(١) الوقوفة صوت الكلاب إذا خافت والهرير صوتها إذا أنكرت شيئاً

من منظر مينرفا ، وقد لفت فعلها أودسيوس فهب مسرعاً إلى ربة الحكمة التي قالت له : الآن ينبغي لك أن تكشف نفسك لولدك فتقفه على حقيقة الأمر ، ثم تذهب معه إلى المدينة وفي قبضتك الموت الزؤام تُجرّعه صاباً ويحموماً للعشاق . وسأكون دائماً معك ، وسأشرف على المعركة بنفسى » ولمسته بعصاها السحرية فارتد إلى صورته الحقيقية ، وعاد إلى الكوخ في حلته الضافية التي كانت عليه من قبل ... فلما رآه تليماك شده وفرق وقال له : « أيها النازح الغريب ما ذا أصابك ؟ لقد تبدلت أيما تبدل ! خبرنى أرجوك وأتوسل إليك ، أأنت إله كريم فنعقر لك القرايين وندصح من أجلك الأضاحى ؟ » قال أودسيوس : « ليفرخ روعك يا بنى فما أنا إله إن أنا إلا بشر ، وإن أنا إلا أبوك الذى ذهبت تذرع الدنيا من أجله والذى بسببه غصصت بكل هذه الآلام ، وصبرت للأوم هؤلاء الناس ! » ثم ضم إليه ولده وطفق يقبله ويذرف دموعه على خديه ! ! بيد أن تليماك لم يصدق وراح بدوره يقول : « أبى ؟ إن تكون مطلقاً أبى ! بل أنت إله تنزل من السماء ليعبث بى ، وليزيدنى شقوة وأشجاناً ! أى بشر يستطيع أن يصنع ما صنعت ، وكنت منذ لحظة عجزاً محدودب الظهر مجعد الوجه غائر العينين ، تلوح فى مِرَاقٍ وأسمال ، ثم تخرج هنيئة وتعود فى هذا البدن الفينان وذاك المظهر الفتان الذى لا يكون إلا للآلهة ؟ فقال أبوه : « أى بنى أنا أودسيوس ، ولن يرجع إليك أودسيوس آخر سواى ! اطمئن فقد صنعت مينرفا ما رأيت بأبيك ، وما صنعتها أنا بنفسى إنها ربة ولها القدرة على كل شيء ، ففى وسعها أن تظهر من تشاء فى صور شتى ، وليس هذا

على أثينا بعزیز» وأحس تليماك ما كان يشيع في كلمات أبيه من حرارة وإخلاص لا يصدران إلا عن قلب أب، فانطلق يبادل والده عنفاً بعناق، ودمعاً بدمع، وقبلات بقبلات اثم سأله كيف عاد إلى الوطن بعد كل تلك السنين الطوال، نقص عليه قصته ثم قال له: «ولكن حدثني أنت عن أمر أولئك العشاق الأوغاد ما عددهم، وهل نستطيع كلانا أن نقف لهم فنظفر بهم؟» فأجاب تليماك: «أبتاه! لقد سمعت الثناء على شجاعتك وسعة حيلتك وجليل حكمتك في كل ملحمة وبكل نقع... ثناءً يلهج به فم الدنيا جميعاً! بيد أنه ينبغي ألا نجازف هذه المجازفة التي لا نعرف ماذا وراءها... إذ ماذا يصنع اثنان بعشرين ومائة من خيرة صنائيد إيثاكا وما حولها؟ الرأي أن نسكر في أنصار يشدون أزرنا ويكنون عونا لفسا» فقال أودسيوس وهو يتنسم: «وما قولك يابني في اثنين الله — چوف العلى — ثالثهما، ومينرقا بصيرتهما على القوم الظالمين؟ إذا كان هذان معنا، أفنحتاج إلى عون آخر؟» فقال تليماك: «بلى... تعالى چوف وجلت مينرقا... إن لهما لأيدياً فوق أيدي الناس لأنهما يحكان من فوق عرشهما المرد فوق السحاب، في الأرض وفي السماء على السواء.» وقال أبوه يزيد طمأنينة: «وسيكونان معنا في الحلبة حين يجد جدها... فإذا كان الصباح فاذهب إلى القصر واختلط بالعشاق وسيقودني راعينا الأمين إلى هنالك، متنكراً في صورة الشحاذ الفقير الذي رأيت، فإذا فرطوا على فلا تأس، حتى ولو كان فرطهم بالضرب والسباب... ويسرنى أن تحتمل وتصطبر، فإذا زادوا فاصرف عني أذاهم

بكلمة طيبة حتى يحكم الله بيني وبينهم حين يحين حينهم ... واحذر أن
تخبر أحداً بعودتي حتى ولا أبى ... بل على الأخص أمك بنلوب أو هذا
الراعى يومايوس ... إذ ينبغي أن نستعين على أمرنا بالسكتان حتى نعرف
أصدقاءنا ونخبر أعداءنا ! » وطمأنه تليماك وأكد له كل شيء ... ثم
وصل يومايوس إلى بنلوب فأخبرها بعودة تليماك ، وذاع النبأ بين العشاق
فدعروا ، لفشل مؤامرتهم ضده ، وانتشروا خارج القصر ، واعتزموا أن
يبعثوا نفرأ منهم بهذا النبأ إلى الطغمة التى ذهبت تتر بص بالفتى لتغتاله
إذ هو عائد من بيلوس ... ثم اجتمعوا يهكرون السيئات ، ويدبرون قتل
تليماك حين تتيح فرصة أخرى . وكان ميدون قريباً منهم فاسترق سمعهم
وطار به إلى بنلوب التى هالها ما مكروا وما دبروا ، فذهبت فى جميع
وصيفاتها إلى رحبة القصر ، حيث اجتمع أعداؤها إلى شياطينهم ،
فصاحت بزعيمهم أنطونيوس من وراء حجابها قائلة : « أنطونيوس تبت
يداك يا ألام الناس ! أنت يا من يدعونك التقى الصالح وأنت أسفل مما
يظنون طوية وأخبت سريرة ! كيف حدثتك نفسك بهذا التدبير السيء
فترسم لأشرارك قتل ولدى الذى لم يعد لى فى الحياة رجاء غيره ؟ ألا أنه
ضعيف بنفسه ؟ ألا فاعلم أنه قوى بالله الذى ينتقم لعباده من الظالمين ! أيها
اللثيم ، أبعثل هذا تجزى جميل أودسيوس الذى حال مرة بين أبيك وبين
أعدائه معرضاً بنفسه للهلكة ، ولولاه لظفروا به ، ولولا أن قتل منهم من
قتل وصرع من صرع لعجلت روحه إلى نيران هيدز وبئس القرار ؟ أفلم
يكفك ما تأكل بغير حق من زاده ، وتعبث غير عابىء بعقاده ، فترسم

لأشراك غيلة ابنه ؟ » وانبرى يوريماخوس يهدىء من ثورتها ويطمئنها
 أن أحداً من العالمين لا يستطيع أن ينال تليماك بأذى ما دام هو حياً
 يدب على قدمين ... وكان يتكلم رغم ما كان ينطوى عليه قلبه ...
 لأنه كان من أكبر المتآمرين على حياة ابنها العزيز الحبيب ... ! وبعد
 أن توارت أورورا عاد الراعى إلى حظائره يدب على عكازه ؛ وكانت
 مينرفا قد لمست أوديسيوس بعصاها السحرية فعاد إلى صورة الفقير الشحاذ
 وعادت إليه مزقه وأسماله ، فوجد سيده وضيغه الفقير يعبدان عشاءهما .
 ولما لمح تليماك قال له : « ما وراءك يا يومايوس الصالح ؟ أعلمت عن
 الطغمة التى استأنت فى ساموس تتربص بى شيئاً ! » فأجابه الراعى :
 « تالله لا علم لى بشيء يا مولاي ، فأنا لم أنتظر طويلاً فى المدينة لأتسقط
 الأنباء ، لأنك أمرتني أن أرتد على عجل ؛ بيد أننى لحت مركبا يطوى
 البحر إذ أنا عائد ، ويدخل المرفأ ، وفيه من العدة والعدد ما يبهز النظر
 ويخطف البصر ، وأحسب أنهم هم الأمراء الذين تعنى ، غير أننى
 لا أجزم بهذا » .

ونظر تليماك إلى والده مبتسماً ، محاذراً أن ينتبه الراعى إلى شيء .

أوديسيوس فى قصره

ونضرت أورورا جبسين الشرق بالورد ، وخضبتة بالشفق ، فهب
 تليماخوس من نومه الهانىء الهادىء الموشى بالأحلام ، فلبس وانتعل ،

واخترط سيفه ثم قال لراعيه : « أيها الأب الصديق ، إني متوجه إلى المدينة لألقى أُمي ، فأكبر الظن أنها لن يرقأ لها دمع ولن تخفت لها آهة حتى تراني ... أما هذا اللاجئ ... فرأي أن ينطلق إلى المدينة فليسأل الناس وليطرق الأبواب ، ولن يعدم إذا تكفّفهم أن ينال رزقه ويحصل على لقمت يتبلغ بها ... إن لدى من المتاعب والمشاق ما يشغلني عن كل جواب آفاق ... إهمض به إلى المدينة إذن ؛ فإذا آلمه هذا ، فهو حر ... إني رجل لا أعبأ أن أقول الحق ! » فنهض أوديسيوس ليقول : « سيدي ! إني لم أبغ أن أتلث هنا ، فليس لشحاذ فقير مثلي أن يلتمس رزقه في الحقول والغيطان ! بل إني منطلق إلى المدينة ولست مقعداً أو ضعفاً فلا أقوى على عمل يؤجرني عليه أحد أسراها ... تفضل أنت فاذهب لطيتك ، وسأمضي أنا مع خادمك حين تمتع الشمس قليلاً ، فأنا كما ترى رجل شيخ ، وأخشى أن يقتلني برد الصباح وصقيعه ، وليس ما يحفظني منهما إلا ما ترى من مزق مضى أصلها وبقي رقعها ! » ... وانطلق تليماك فبلغ القصر ، ولقي أول من لقي مرضعه يوريكليا ، حيث كانت وأتراها ينشرن فراء على كراسي وحمالات مبعثرة في الردهة ... فلما رآته عجلت إليه ورحبت به وبسّلت عليه ، وانطلقت الدموع من عينيها فانهقد لسانها وأنجّس منطقتها ، ثم اجتمع الجوّاري يقبلن تليماك ويحدقن به حتى لفتن نظر الأم العذبة المحزونة المظلة من إحدى شرفات القصر ، فأهرعت من عل وأخذت في حضنها المحب الرحيم أعز الأبناء ، وأمطرت جبينه وخديه بالدموع والقبل ، ثم جعلت تقول له : « أوقد عدت إلى الوطن يا نور

عيني ! تلميذك ! تالله لقد وقر في قلبي أنني لن أراك بعد إذا أبحرت إلى
 بيلوس برغمي ، وعلى غير علم مني ، لتسقط أبناء أبيك ... ولكن ...
 حبرني يا بني ماذا عساك سمعت . « فقال الفتى : « أماء ! لم تعودين
 بذاكرتي إلى عبوس الحياة وقد أفلت من الموت ؟ أولى لك ثم أولى أن
 تصفي عليك من أغفر أثوابك ، ثم تصلي للآلهة أن تهيب لنا يوم انتقام
 عادل لا يبقى ولا يذر ! ! بيد أنه ينبغي أن أذهب الآن لأتقي ضيفاً
 كريماً عزيزاً جداً على — عزيزاً جداً على يا أماء ! — حضر معي في
 سفينتي أمس ، وقد أرسلته مع من يضيفه عني حتى أعود فأضيفه أنا
 نفسي » وذهمت بنلوب فصلت طويلاً للكلمة ، وانطلق تلميذك فتلى
 تيوكامنوس وعاد معه إلى القصر ، وجلسا يتحدثان ، بينما أحضر أحد
 الخدم مائدة حافلة بألوان الطعام وأطيب صنوف الشراب ، فوضعها
 أمامهما ... وأقبلت بنلوب فجلست لدى الباب تنسج ثوبها الذي لا ينتهي
 فلما فرغا من طعامهما أقبلت فقالت مخاطبة تليماخوس : « بيدولي أنك
 لن تقص على الآن ما سمعت من أنباء أبيك يا تليماخوس ، وأوتر إذن أن
 أصعد فأضطجع في فراشي الذي أبلاه دائماً بدموعي منذ فارق أوديسيوس ،
 فإذا انصرف الأوغاد المعاميد وفرغت من شغلك بهم فاحضر إلي لتقص
 علي من أنسائه . » ولكن تلميذك قال : « أماء ! لم لأقص عايبك
 ما سمعت وما سافرت إلا لأطمئنك وأطمئن نفسي ؟ . لقد سافرت إلى
 بيلوس وحظيت بلقاء نسطور الذي هش لي وبش وفرح بي كأنما أنا ابنه
 الذي افتقده طويلاً وعاد فجأة إليه ؛ غير أنه لم يذكر لي عن أبي قليلاً

أو كثيراً لعدم علمه بشيء من أنبائه ، ولذلك بعثني مع واحد من أبنائه إلى ملك أسبرطه لأسأله عن أبي ... وقد لقيني منلوس فأحسن لقائي وأكرم مشوأي ، ورأيت زوجه هيلين الحُسان المفتان التي سببت بسببها حروب طروادة ، والتي لقي من أجلها أبطال الإغريق أنسكى ألوان العذاب ... ولما سألتني الملك فيم قدمت ، نبأته بأنباء العشاق المعاميد ، ووصفت له ما يجرون على بيت أبي من الخراب ، فأرغى وأزبد ولعنهم أشد اللعن ، وتوسل إلى الآلهة أن ترد إليهم أوديسيوس فيبسطس بهم ، ويميد إليهم صوابهم ، ثم قص على ما سمعه من أحد أرباب الماء — پروتيوس — الذي أخبره أن أبي لا يزال حياً يرزق في إحدى الجزر النائية ، وأن عروساً من عرائس الماء تحجزه عندها في تلك الجزيرة برغمه ، لأنها تحبه وتهواه ، وأنه لا يجد سفينة يثوب عليها إلى الوطن . . هذا يا أماه كل ما علمته عن أبي من الملك منلوس ، وقد أذن لي في العودة فأبث في رعاية السماء وحفظ الآلهة . وكانت ينلوب تصغى وثورة من الحزن تحتاج نفسها ، ولظي من الوجد يفتك بقلبها . فلما فرغ تليماك ، التفت تيوكليمنوس المتنبي إلى السيدة الرؤوم فقال : « يا زوج أوديسيوس أعيريني سمعك ! إصغى إلى فسا تنبأ لك ! إن ابنك هذا لم يسمع عن أبيه أي نبأ يقين ... أما أنا ، فقد بدت لي أمارات وشهدت في السماء علامات ... ومحال أن تسكذب علامات السماء .. أقسم لك بحجوف العلى رب الأرباب ، وأقسم بهذا البيت بيت أوديسيوس ، أن زوجك هنا ، وفي إيثاكا ... وهو يعلم كل صغيرة وكبيرة من أنباء العشاق وخبائاتهم ،

وإنه ليدبر لهم عقاباً هائلاً لن يفلت أحداً منهم !! » وسكت المتنبي ...
وأقبل العشاق من لهمم فخلعوا عباةاتهم ، ثم نشطوا إلى الشاء والخنازير
فجزروا لطعامهم ...

هذا ما كان من أمر تليماك وأمه ، وما كان من أمر العشاق . أما
ما كان من أمر أوديسيوس فقد مضى في الطريق إلى المدينة بخطى متعثرة
والراعي بين يديه ، وعلى كاهله حقيبتة ، وفي يده عكازة ، وكما لقيهما
أحد صقر خذه ، وشمخ بأنفه ، تقززا من منظر هذا الشحاذ الفقير القذر ...
ثم أتيا إلى نبع يتفجر في الطريق فيستقي الناس منه ، وقد بسقت من
حواله أشجار الحور والسنديان ، وترقرق الماء فوق الحصباء كاللجين
يتدحرج من حيد أكمة هناك ، أقام الصالحون فوقها مذبحاً لعرائس الغاب
حيث يتقدم الناس بنذورهم ويعقرون إاضحياتهم ... وقد لقيها هناك راعى
ماغز الملك — ملائقيوس — يسوق قطيعاً من أسمن ما يرعى لأجل ولائم
العشاق ... ولقد كان ملائقيوس هذا من أذنانهم ومتملقهم . وكان يصنع
كل ما يحبه إليهم ويضمن له عطفهم ، فلما رأى الفقيرين وأحدهما
زميل له ، انطلق يهوى ويصخب ، ويسب ويسخر ، ويغمز الرجلين
غمزاً شديداً موجعاً ، حتى غلى الدم في رأس أوديسيوس : « إنشَمَلا
أيهاذان المسخان ! طاعون يجتاحك يا راعى الخنازير القذر ! حقاً إن
الطيور على أشكالها تقع ! كلب يفود آخر ... إلى أين ؟ إلى حيث يلتقط
فتات موائدنا ! عجباً ؟ ألا تطلقه معي إلى المزارع ينظف الزرائب ويحمل
العلف ويحرس الغلة ويشرب ما شاء من اللبن الحازر^(١) والحبيض ،

(١) شديد الحوصة والحبيض الذي استخرجت زبدته .

ويكسو عظامه المعروقة بإهاب من اللحم ؟ ! ولكن هيهات ! فقد بلدت طباعه فلا يصلح لعمل شريف ! . وهكذا ظل الراعي الشرير يقي من هذا البذاء ، وركل أودسيوس آخر الأمر ركلة قوية في سافه ، فلولا ما حرص الملك عليه من كتمان أمره لحطمه بسببها ، ولمسح به ظاهر الأرض ! ولقد هاج هائج يومايوس فدعا آلهته لتنتقم لرفيقه الضعيف وطمع يقول : « يا عرائس هذا النبع المقدس اسمعى بحق ما عقر لك أودسيوس وباسم ما ضحى أن ترديه إلى بلاده لينتقم من أمثال هذا الوغد الزنيم الذى لا يحسن إلا أن يلقى أعداء مولاه ، وإلا أن يغشى رحابهم ، بينا قطعانه سائمة فى المرج لا راعى لها ولا حفيظ ! » فصاح الراعى الوقح : « هاه ! أجبى يا عرائس دعاء كلبك الأمين ؟ أو اه لو أستطيع أن أحلك فى فلك أحد هؤلاء السادة فأبيعك بيع الرقيق فى بلد سحيق ! أودسيوس ماذا أيها البهيم ! لقد أودى أودسيوس ولن يعود إلى الحياة قط . وودى لولحق به ابنه تليماك ! ! » ... قالها ... وانطلق حتى بلغ القصر وغشى مجلس العشاق يطرفهم مما حدث له مع راعى الخنازير ... أما أودسيوس وأمينه فقد سارا رويداً حتى أتيا بوابة القصر فتلبثا عندها ... وتناول أودسيوس يد الراعى وقال : « يومايوس ! لا ريب أن هذه سرى الملك ، أنظر ! هاهى ذى الحجرات يتلو بعضها بعضاً ، وهاك الرحبة الكبرى ذات العماد وذات الأبواب ... وإني أحس أن هناك أضيافاً اجتمعوا لولية ، وهذا قتار اللحم يملأ خياتيمى ، وإرنان القيثارة يجلجل فى أذنى . فقال يومايوس يجيبه : « أنت ذكى شديد الذكاء ! إنه هو المكان بعينه

والآن ، هل تذهب أنت وحدك فتستعرض الأمراء وتعود ، أم تنتظر حتى أذهب أنا فأخطف نظرة إليهم ؟ على أنك يجب ألا تتلبث هنا طويلا فقد يراك بعضهم فيؤذيك ويطردك من هنا شرطردة » وقال أوديسيوس « بل انطلق أنت وإني منتظرك هنا ، فإذا لكنى أحد أو لكنى أو ركنى ، فلشد ما احتمل هذا وذاك ، وهل هو إلا بعض ما احتملت في حروبي الطويلة ؟ » وبيناهما يتحدثان ، إذا كلب كبير رابض يقف فجأة فيبصبص بذنبه وينصب أذنيه ، ويحدق بصره في أوديسيوس ، ويظل مسحوراً ذاهلاً ! آه ! إنه الكلب العزيز أرجوس الذى رباه الملك قبل أن يرحل إلى طروادة ... لقد أهمل أمره ، فهو رابض هكذا فى حماة من الروث والقذر والقمل أمام بوابة القصر ، كالشاعر العجوز الذى يجترّ ذكرياته ! ! لقد عرف صوت مولاه بزغم السنين الطوال ، فبكى ، وهر ، وأرسل الدموع حراراً تسقى صدغيه ! وقد تأججت فى قلبه الحيوانى ثورة من الحزن الطارئ المأجىء فلم يقو أن يزحف ليمسح بلسانه قدمى مولاه ... وقد لحظ أوديسيوس ما أصاب كلبه العزيز فبكى هو الآخر تأثراً ، وسجل هذه الآية من الوفاء للحيوان على الإنسان ! وأشاح بوجهه عن الراعى حتى لا يدرك ما بعينيه من دموع . فلما مسحها بكفه قال يحدث يومايوس : « أليس عجيباً ومؤلماً معا يا صديق أن يتركوا هذا الكلب الذى تبدو عليه سيماء النبل فوق هذه الكومة من الروث قد يكون أقعده الضعف عن متابعة الصيد وقد يكون إبقاؤهم عليه من أجل منظره وحسن سمته ؟ ! » فأجابه الراعى : « أوه ، بلى أيها الرفيق !

أما والله لو شهدته في إثر مولاه أودسيوس اعجبت لعظم قوته وشدة جبروته ! أبداً لم يخلق الله وقتئذ كلباً أتبع لصيد ، أو أقوى حاسة شم منه وأبداً لم يكن عندنا كلب كآرجس هذا الرابض يساقط نفسه أنفساً ! ! إنه يبكي مولاه الذى قضى وتركه من ورائه لإهمال الوصيفات وقلة اكتراثهن ... أما عميد هذا القصر فهم كالوصيفات حذوك العمل بالنعل ، فهم لا ينشطون لعمل كما ينشطون وسيدهم بينهم ، ثم هم قد فقدوا بالعبودية وذلة الرق نصف آدميتهم ورجولتهم ! ! » ثم مضى أودسيوس نحو صديقه وخذن صباه ، فبكى وذرف دموعه ، وكذلك فعل الكلب ... حتى مات ... ولكن بعد أن رأى سيده تارة أخرى ! !

ولمح تليماك راعيه فأومأ إليه ، وأخذته جانباً ، ثم أمده بنصيب جزيل من طعام الوليمة ... وبعد لحظات أقبل أودسيوس في صورة الشحاذ الفقير ، وجلس على الأرض ، فأرسل إليه ولده شيئاً من اللحم والخبز مع يومايوس ، وأسر إليه أن يرسله بين الأسراء يتكفف ، وبالأحرى ليتعرف ؛ فلما فرغ من طعامه نهض فسار بينهم بسأل هذا ويحذق فيه ، وينصرف إلى ذاك ويحذجه ، ويمد يده من أجل لقمة كما يصنع الشحاذون ، وقد رثى له كثيرون فأمدوه بلبقات ومصغ من اللحم ، إلا أنطونيوس ، فقد استهزأ به وبمن أحسن من الأسراء إليه ، وعيهم بأنهم يتصدقون بما ليس لهم ، ثم هاج وماج ، ورفع كرسياً وشك أن يحطم به رأس أودسيوس ، وأمره أن ينصرف فلا يعكر عليهم صفوهم أكثر مما فعل ! ! ولكن الكرسى صدع كتف الملك ، وأعفى رأسه ، ووقف أودسيوس كالصخرة

لا يتحرك ولا ينبس ببنت شفة ... ولكن ألف ألف فكرة سوداء كانت
تكظ فؤاده وتزحم تفكيره ... ثم مضى فجلس حيث كان من قبل ،
وهتف بالعشاق في صوت جهورى فقال : « سادتى الأمراء اسمعوا ! تالله
لو أنها ضربة في حرب بين كفتين لما حملت لها موجدة في نفسى ...
ولكن أنطونيوس رأى من سلطان الجوع والضعف ما جرأه وأثار
نحيزته ... وأنا مع ذلك أترك جزاءه لله ، وأضرع إليه جل ثناؤه أن
يقبضه قبل أن تزف إليه عرسه ! » وكأنما خجل العشاق مما فعل أنطونيوس
فجعلوا يلومونه ويتلاومون فيما بينهم . قال قائلهم : « من يدري ؟ ألا يحتمل
أن يكون أحد آلهة السماء جاء ليلبونا ... والويل لك يا أنطونيوس إذا
صدق حدثنا ... ألا تعلم أنهم طالما يتنزلون فيغشون مدننا في صور
الشحاذين ليروا بأعينهم ما نأفك وما نمين ؟ » ولم يبال بهم ولم يأبه لما
قالوا ... وكان تلميخوس يتميز من الغيظ ، ويُسرفى نفسه أوجع الألم لما
نال أباه من الضرب ، بيد أنه غلب غضبه ، وحبسه في أعماقه ، كما حبس
في عينيه وابلا من الدموع ... وكانت بنلوپ تطلع من شرفها وترى
ما حل بالرجل من إيذاء ، فهتفت بيومايوس أن يرسله إليها كيما تسأله
عن أوديسيوس ، لما يبدو عليه من أثر السفر وجوب الآفاق . قال الراعى :
« أجل يا مولاتى ، إنه رجل من كريت ، وقد خاض ألف مكروه قبل
أن تحمله الصدفة إلى بلادنا ؛ ثم هو محدث ساحر الحديث طلى الرواية ،
حتى ليخلب سمع من يصغى إليه بأشد مما يستطيع منشد مطرب أن يفعل !

وكلما طال حديثه لذت طلاوته ، وكثرت حلاوته ، فلا تملة أذنان ، ولا يضيق به مصغٍ إليه ... وأعجبنا ذكره مرة لى أنه رأى أوديسيوس وعرفه فى أفيروس ... بل يزيد فيؤكد أن مولاي عائذ أدراجة إلينا ، حاملا معه كنوزاً من الذهب ، وأذخاراً لم تر العين مثلها ولم تخاطر على قلب بشر !! « فتنهدت بنلوب وقالت : « انطلق إذن فأحضره ، ودعه يحدثنى بما روى وجهاً لوجه ، وسأهبه صداراً ودثاراً إذا توسمت فى قوله الحق ، وأنست فى روايته الصدق » .

وادعى أوديسيوس أنه يخشى أن يجوز وسط الأمراء مرة أخرى ، وفضل أن يلقي الملكة فيتحدث إليها إذا جنَّ الليل بجانب المدفأ ... ووافقت الملكة ، وصوبت رأى الرجل ؛ وكان الوقت أصيلاً فقصد الراعى إلى تليماك وأستأذنه فى الانصراف إلى حظائره ، فأذن له ، ولكن بعد أن أمره بالتزود لعشائه ، ففعل يومايوس ، ثم مضى ليسهر على خنازيره .



أوديسيوس يتشاجر مع شحاذ

وبينما كان أوديسيوس جالساً يزددرد طعامه ، إذا شحاذ ضخم الجسم شانه المنظر يدحل فجأة ، فيلتفت إليه جمهور العشاق . ويعرفون فيه الفقير إيروس ، المشهور بنهمه الذى لا يوصف ، وبإقباله الشديد على أردأ ألوان الشراب ... وكانت له عليهم دالة ، وليس فى الجزيرة كلها من يجبهله ... فلما لمح أوديسيوس جالساً يتبلغ بقلباته ، نظر إليه نظرات المغيظ المحنق وقال له : « انحرف عن الباب أيها العجوز القذر وإلا جررتك من عقبيك ... ولو أننى أترفع عن مقارعة أمثالك !! » وحده أوديسيوس وقال : « أيها الصديق إنى ما آذيتك ، وإن فى المكان متسعاً لكليتنا ... أرجو ألا تثيرنى أكثر مما فعلت وإلا فلا يفرنك هرمى وتقدم سنى ، فتالله لأرينك كيف أضربك ضرباً تقول منه الهامة أسقوفى ! إجنح للسلم هو خير لك ! وأصغ إلى نصحي ، وإلا فلن تدخل قصر الملك أوديسيوس بعد اليوم ... ! » وغيط الشحاذ إيروس وقال : « اسمعوا ماذا يهرف هذا الشره المخوف ! ألا ما أشبهه بزوجة حمقاء تثرثر أمام كانون ! تالله ليخيل إلى أن أنقض عليه فأنقض ثناياه ! هلم أيها الرجل ! استعد للقاء ، وليشهد السادة كيف أمثل بك ؟ » وقهقه أنطونيوس وقال : « أيها الأصدقاء اشهدوا ! إن إيروس يتحدى هذا الفقير ، والفقير بدوره يتحداه ، فهلم نجعل حولهما خلقه لنرى إلى هذا العراك المضحك ! » وسكت

أنطونيوس ، وتكبكب الأسراء حول الرجلين ضاحكين عابثين ، ثم التفت إليهما أنطونيوس وقال : « إسمعا إذن ؛ ههنا كمكيات ليس أجود منها ... وإنها خالصة لمن يتفوق منكبا على قرنه ... ولمن فاز أجر عندنا عظيم ... إنه سيجلس معنا في جميع ولأئمتنا منذ غد ، ولن ندع أحداً من الشحاذين يضايقنا بعد هذا اليوم » وتخابث أودسيوس وقال : « ياسادة ! من الظلم أن يتبارى رجل عجوز ضعيف مثلى مع هذا الهولة ... ولكن الجوع يدفعنى إلى البطش به مع ذاك ... بيد أن لى رجاء ألا يساعده أحد على ، فيلكننى مثلاً أو يلكزنى حياء أكون مشغولاً به » فقاسموه ألا يفعلوا . وتقدم تليماخوس ابنه فقال : « أيها الرجل ، إذا وسعتك أن تناضل هذا الزميل فلن تخشى من هؤلاء رهقاً ... إني أنا مضيفك ، وليس أحب إلى أنطونيوس ويوريماخوس من أن يشهدا هذا اللقاء الفذ بينكما ! » ثم إن أودسيوس شمر عن ساعديه وفخذه ، وكشف قليلاً عن صدره ، عامداً ليظهر الأسراء على عضله المكتر وقوته الخارقة ... وقد صدق حدسه ، فقد بهت العشاق ونظر بعضهم إلى بعض يقولون : « واعجباً ! أى عضل وأى ساعدين وفخذين يخفى هذا الرجل تحت أسماله ومرتقه البالية ؟ مسكين إيروس ! ماذا يبقى منه بعد هذا اللقاء ؟ ! » أما إيروس فقد انتفض وأقشعر بدنه مما عراه من الذعر ، ولكن الخدم لم يتركوا له أن يفر من اللقاء الذى دعا هو إليه ، بل شمروا له عن ساعديه وفخذه كما فعل غريه ، ثم جروه إلى الحلقة برغمه ... وود أودسيوس أن يبطش بالرجل فيحطمه بأول اسكة ؛ غير أنه آثر ألا يفعل خشية أن يكتشف

العشاق من هو ... فلما امتدت الأيدي تصنع الدفاع ، وأقبل وأدبر ، وكر وفر ، ثم أهوى على أذن الرجل بضربة سحقت عظامه ، وطرحته على الأرض ... ولبث المسكين لا يبدى حراكا من هول ما حل به ؛ بيد أن أوديسيوس جره من عقبه إلى ساحة القصر ، ثم عرج به نحو حدار كبير حيث سنده إليه ، وجعل في يده عكازه وقال : « إلبث هنا ولا تغش منازل الملوك بعد ، وذد بعصاك الخنازير السائبة ، فذلك خير من أن تصيب بها الغرباء أمثالى ... فإن عدت إلى مثل حماقتك فلن يصيبك إلا شرما رأيت ! » وتركه وانثنى إلى حيث كان ، فوجد العشاق يضحكون حتى كاد يقتلهم الضحك ... وهتفوا له ثم قالوا : « حقق الله آمالك ، وأنالك أمانيك أيها الغريب اللاجئ » ، بما خلصتنا من هذا الشحاذ النهم الملاحح ! » وسمع أوديسيوس دعاءهم ، وأبتهل إلى الآلهة أن تستجيب !! ثم وضع بين يديه أنطونيوس كهكة كبيرة ، وزوده أمفينوموس بنخبز وخر صبا له في كأس كبيرة من ذهب ، ودعا له بنخبز . وآنس فيه أوديسيوس طيبة ودمانة خلق فقال له : « هيه ! هلم أيها العزيز أمحضك نصيحتي وأحدثك عن تجاربي ... ألا ما أضعف الإنسان ! إنه إذا ما مسه ضر دعا الله فإذا كشف عنه الضر فهو مقتصد ناء بجانبه كأن لم يمسه ضر ... فأنا مثلاً ، لقد كنت في عنفوان صباى أعيث في الأرض مغترأ بقوتي وفتوتى ، حتى أسقط الكبر في يدي ففئتُ إلى أمر السماء ، ولكن بعد أن كتب على الشقاء ، وهكذا أولئك الأمراء الذين غرتهم الأماني وأضلهم جبروتهم فأقاموا بهذا القصر غارين آمنين لا يظنون أن له صاحباً قد يفجأهم بعودته

فيستأصل شأقتهم ويذهب بريحهم ... وإني والله أيها السيد لأرى أنه
عائد ليس من هذا بلد ، وأنه عائد قريباً ؛ فتقبل أنت نصيحتي ولا تقم
معه ، بل انطلق إلى بيتك وأهلك ولا تستأن حتى يدهمك معهم فيحطمنكم
أجمعين ... » وشرب أودسيوس ، ودفع الكأس إلى الأمير الشاب الذي
بدت عليه أمارات الهمّ مما قال الرجل ، ولكن .. وأسفاه ! لقد كتب
عليه الشقاء ، فلم يصغ لنصيحة أودسيوس .

وبدا لبلوب أن تذهب في بعض وصيفاتها فتخطر بين العشاق
ليروها ، ولترى ماذا يكون ... وقبل أن تفعل ألت غليها ميزفاً ناعساً
وأمنّة ، وبدت لها في الرؤيا كأنما تعطيها ألهى عجيبة ؛ ثم إن الرمة
أضفت عليها رواء كرواء الآلهة ، ونصرتها بنصرة الشباب والجمال ، فربا
جسمها واستطال ، وزانته لمعة عاجية وسناء ... فلما هبت من نومها ،
مرست عينها متعجبة ، وشدهتها تلك الغفوة الطارئة التي جلبت لها
السعادة في دنيا من الهموم ... وتمنت لو أراحها الموت من حياة اتصلت
أشجانها وباعدت بينها وبين إلفها بمفاوز من الآلام والأحزان ...
وانطلقت في سرب من وصيفاتها فأشرفت على العشاق وقد ضربت بخمارها
الشف على وجهها المتألق الناصع ، فذهل الملأ ، وراغت أبصارهم ، وأحسوا
أن شيئاً يخلع قلوبهم ، فما منهم إلا من تمنى أن يكون صاحب هذا الجمال
الرائع والحسن الباهر ، والفتنة المتقدة ... ونهض يوريماخوس فقال
يخاطبها : « يا ابنة إيكاروس بوركك ! تالله لو رأك كل من في هيلاس
لاجتمعت حولك قلوب غيرنا من العاشقين ، ولأقبلوا من كل فج فازدحموا

حولك ههنا ... في ذلك القصر العتيق ! » فقالت بنلوب : « يوريماخوس !
 تالله لقد ذهب الآلهة بجالي الذي تصف يوم رحل عنى زوجى أوديسيوس
 فيمن رحل إلى طروادة ... وما أنس لا أنس ما قال لى وهو قابض على
 يمينى يودعنى : « زوجتى ! إن أكثر من ترين من هذا الجيس ان
 يعودوا إلى ديارهم ... فى طروادة محاربون صناديد ، وملاعبو أسنة
 لا يشق لهم غبار ، وذادة ورماة ! وإنى لا أدرى ماذا يكون من أمرى
 هنالك ، ولذا ، أكل إليك كل ما أودع ورأى ، وإنى موصيك أول
 ما أوصيك بأبى وأمى ، فاعنى بهما كأحسن ما كنت تعنين وولدهما
 معك ، فإذا شب ولدى وترعرع ، فلك أن تتركى هذا القصر إن شئت ،
 وتزوجى ممن تختارين من الأكفاء الأنداد » هذا وإنى أرى أن هذا
 اليوم العصيب قد حان ! ولكن وا أسفاه ! إنكم اجتمعتم هنا لتأكلوا
 وتشربوا وتعيشوا وتعبثوا بكل ما ترك صاحب القصر ... وكنت أظنكم
 تقيمون فى منازلكم وترسلون إلى هداياكم لتكبروا عندى ولا تهزل
 مكانتكم لدى ... ألا ساء ما تزيرون .

وتبسم أوديسيوس من قولها ، ووثق من إخلاصها ، وعجب من شدة
 ما سهرت ألباب العشاق ومما أخذتهم به من حزم ... أما أنطونيموس
 فقد أجابها بقوله : « أما هدايانا يا ابنة إيكاريوس فلا أحب إلينا من
 تقديمها إليك ... على أننا لن نريم عن هذا القصر حتى تختارى لنفسك
 بعلاً يكون كفتاً لك » وأيد العشاق ما قال قائلهم ، فنهضوا ليحضرُوا
 هداياهم ، وسرعان ما عادوا يحملونها ... وتقدموا بها إلى بنلوب ؛ فهذا

ثوب ثمين من قاقم موشى بالذهب تزينه اثنا عشر زراراً ذهبياً... وهذا عقدٌ
 حُلّيت خرزاته بقطع من الكهرمان الحر؛ وتلك أساور من ذهب وشُخُوف
 كثيرة وأقراط^(١) . وعادت بنلوب ومن خلفها وصيفاتها يحملن الهدايا
 والاهى ... وأخذ العشاق كدأبهم فى القصف واللهو والعبث والغناء ...
 حتى أقبل الليل ، فقدم الندامى بمجامس من نحاس بها وقود يشتعل ،
 وطفن يلقين فيها من الند والرند والعود ذى العرف ، وطفن البخور يعبق
 فى أرجاء البهو الكبير ... وهنا ... نهض أودسيوس وتوجه إلى البنات
 يقول : « أيها العذارى أولى بكن ثم أولى بكن أن تذهبن إلى سيدتكن
 فتسليهن وتواسيهن ، وسأقوم بالنيابة عنكن على هذه النار حتى ينصرف
 العشاق ... وإن يثودنى أن أقوم عليها حتى مطلع الفجر ؛ ولن أضيق
 بجمعهم مهما عبثوا بى ، فأنا رجل ذو تجارب » . فتضاحكن به ، وقالت
 ميلانتيو التى هى أجملهن وأقلهن احتشاماً ، تعبت به : ماذا أصابك الليلة
 أيهذا النازح الغريب ؟ انطلق إلى حداد المدينة فتم فى دكانه ، فهو خير
 لك من أن تسهر ههنا وتثرثر ... هل غاب صوابك يا شيخ لأنك ظفرت
 بالشحاذ إيروس ؟ اربع عليك ، فقد تبغليتك السماء بمن يبطش بك كما
 بطشت به ، ويطردك من هنا ! ؟ » ... ورشقها أودسيوس بعينه وقال :
 أسكتى يا هناه^(٢) والله لأحدثن بما حدثت الأمير تليماخوس فليقطعن
 لسانك ، وليرقن جسدك ! » . وذعر العذارى وولين هاربات ، وقام

(١) الشنوف والأقراط (الحلقان) لأذن المرأة .

(٢) الهاة الداهية .

أوديسيوس على النار وجعل يلحظ العشاق وفي قلبه ضرام ، وما فتى يفكر في ألف خطة للانتقام منهم والبطش بهم ... ولم تشأ ميثرًا أن تنهى هذا الشقاء الذى ضربته على أوديسيوس ، بل تركته يستهزئ به العشاق ، ويسخر به يوريماخوس ، فيضحك العشاق إذ يقول : « ما أظن إلا أن الآلهة قد أرسلت إلينا هذا الرجل ليكون حامل مشاعلنا وحامى قبسنا ... أنظروا إلى رأسه النحاسى ، أليس يصلح أن يكون مشعلا يضىء لنا ؟ » ثم التفت إلى أوديسيوس وهو يقول : « إذا استأجرتك لتسوّج مزرعة لى بعيدة من هنا وتغرس بها أشجاراً ، على أن أطعمك وأكسوك وأنقذك مالا ، فأياك ترضى ؟ ولكن لا ... إني لأظنك تنسرق منها طواعية لغرائذك وخَبثِ جِبِلَّتِكَ فتنبطلق إلى المدينة لتستجدى وتتكفف ... » .

وتخابث أوديسيوس وقال بحبيبه : « يوريماخوس ! تالله إنه ليس أحب إليّ من إن أباريك في فلاحه في يوم من أيام الربيع ، حين يطول النهار من مشرق الشمس إلى مغربها ، على ألا يذوق أحدنا طعاماً ولا يسيف شراباً .. أو أن يعهد إلى كل منا بأربعة أفدنة في أرض جبّوب ، وثورين حفيذين ذوى خوار ، في ذلك اليوم ، لآتى أينا يصمد لحرنه ويفلح أرضه ... بل إني لأتمنى ، لذئحن في هذه الأرض ، أن يدهمنا عدو بخيله ورجله ، وتكون لى درع سابغة ، وخوذة من من نحاس ، ورمح فى يدي ، لآرى كيف لا يحول الجوع بينى وبين أقرانى ، وكيف أضرج بدمائهم الأرض ، وأتركهم فى البرية جَزَرَ السباع وكل

نسر قشع ... أيها الأسكعُ الوقح ... والله لو أن أوديسيوس رب هذا البيت قد فجأك الآن لضاقت عليك الأرض بما رحبت ... أنت أيها المغرور المتعازل الذي غره أن يكون شجاعاً بين نَوَكي لا حول لهم ! » .
 وَجُنَّ جنون يوريماخوس ، وأخذ مُتَكَثِثاً ثقيلاً وقذه شطراً أوديسيوس ،
 ولكن البطل انقتل بعيداً وسقط المتكأ على الساقى المسكين ، نغر إلى الأرض يئن ويتوجع ... وغيظ العُشاق أيما غيظ ؟ وعلا لغطهم ، وودوا لو يسحقون أوديسيوس ، لولا أن تقدم تليماخوس وحال بينه وبينهم وهو يقول :
 « يا سادة ! إني كصاحب هذا القصر ، لا أستطيع أن أطرد الرجل منه بعد إذ آوَيْته وضيَّفْتَه ... والرأى أن تقطعوا سمركم هذا وتذهبوا من فوركم إلى منازلكم حتى يتصرم الليل » ... وأيده الأمير أمفينوس ، ووقفوا جميعاً فاحتسوا الكأس الأخيرة ثم انقلبوا إلى منازلهم ... وفي نفس يوريماخوس من الهم ما تنوء بحمله الجبال ...

المرضع العجوز تعرف أوديسيوس .

وهكذا خلا الجو لأوديسيوس وولده ، فقال ، يحدث تليماك : « أى بنى : ينبغى أن نحجُ أسلحة القوم فى مكان حريز ، فإذا سألوك عنها فقل لهم إنك تحفظها لهم حتى لا تتأثر بالدخان والغبار وتقلبات الجو . وامثل تليماك ، ودعا المرضع العجوز يوريكليا فقال لها : أماه ليقرّ الوصيفات فى مضاجعهن حتى أنقل أسلحة أبى إلى مكان حريز فقد تراكم عليها الوسخ وأتلفها الدخان » وقالت يوريكليا معجبة : « أجل يا بنى ، إنه ينبغى أن

تعنى بكل ما يتعلق بأبيك وبكل ماملكت يدك ... ولكن قل لى ...
 من يحمل لك المصباح حتى تنقلها إلى حرزها ؟ ألا أدعوهم فيحملنه لك !
 وشكرها تليماك ، وذكر لها أن الرجل الغريب سيحمله ، وأهرعت
 يوريكليا إلى داخل القصر ، وهب أودسيوس وولده يحملان الخوذ
 والدروع والرماح ، وبدت مينرفا الكريمة تحمل بين أيديهما مصباحاً
 ذهبياً كان يشع سناء عجيبياً ، ونوراً لم تقع عيننا تليماك على مثله . فقال
 لأبيه وقد أخذه العجب « أبتاه ! ما هذا النور المنعكس على الجدران
 والعمد والقوائم والعوارض حتى ليكاد يجعلها تلتهب ! أبداً ما رأيت مثل
 هذا أبداً .. لا بد يا أبى أن إلهاً معنا هنا ! » وقال أبوه : « أحزن
 عليك لسانك يا بنى ، واملاً قلبك بما ترى ، فإنه من نور السماء وهذا
 دأبُ الآلهة ... والآن ، لتصعد أنت فلتنم ملء عينيك كي تستريح ...
 أما أنا ، فباق هنا ، لأنه لا بد لى من أن أكلم أمك وخدمها . »

وانطلق تليماك إلى مخدعه ، وأقبلت بنلوب وأقبل فى إثرها سرب
 من خدمها فأعددن لها عرشاً ممرداً من ذهب وعاج استوت عليه وأسندت
 قدميها العاجيتين إلى متكأ جميل ، فبدت كإحدى الآلهة . وجلس
 أودسيوس على كرسي صغير بُنيت عليه فروة غليظة ، ثم كلمته الملكة
 فقالت : « والآن أيها الغريب الكريم قص على من أنبأك وحبرنى
 من أنت ، ومن أى البلاد قدمت » فقال أودسيوس : « أيتها الملكة
 تعالى جدك وصلح حالك .. إن لك فى العالمين لذكراً يعبق كالعطر ،
 واسماً كريماً ليس للملك عظيم يحكم أمة عظيمة بالعدل وتجزيه بالحببة ... »

إنتى يا مولاتى رجل كره الزمان ، وعسفت به يد الحدثان ، فإذا سألتنى ما اسمى وما بلادى ، فإنك تثيرين فى أعماق ذكريات عنيفة تدمى فؤادى ، وتفجر الدموع فى مآقى ، فأعفينى آيتها الملسكة من ذكر ذلك ، فإنه ليحزننى أن أجلس بين يديك باكيًا متصدعًا مهمومًا ... » وبدا الألم على وجه بنلوب وقالت : « أواه أيها الغريب ما أقسى ما ذبلت حياتى وذوت زهرتى مذ رحل زوجى المحبوب إلى طروادة ، تاركًا لى الهى ، ومخلفًا لى الحسرة ! ألا ما أقسى ما يحن قلبى إليه ، ولشد ما يخفق من أجله ! لقد أسلمنى بعاده لليل أليل من الآلام ، فما أدرى منذ فارق كيف أهش لصيف مسكين مثلك ، ولا كيف أيش لأحد من العالمين ... وهؤلاء الأمراء اللؤماء الذين تكبكبوا حولى يريدون ليرغمونى على اختيار أحدهم بعلا لى من دون أودسيوس لا أدرى كيف أذودهم ، ولا أعرف السبيل لدفع أذاهم ... لقد مكرت بهم طويلا ، ولكنهم مكروا بى السيئات ، فلا أدرى كيف أنقذ نفسى منهم ؛ وهذان أبواى يريداننى على هذا الزواج البغيض إلى ، وهذا ابنى قد شب ، وهو يضيق بعشاقى ذرعًا ، وإن فى صدره حرجًا منهم لأنهم يهلكون ثروته ، ويعيشون فى قصره ، ويخوضون فى عرض أبيه ... ولكن ... حدثنى بأربابك من تكون ، ومن قومك ، وأى بلاء من الدهر شردك عن وطنك ... تكلم أيها العزيز ولا تحزن . » وأرسل أودسيوس آهة عميقة ثم تكلم فزخرف حديثًا طويلًا مؤثى ، ولفق قصة حزينة متقنه ، وذكر للملكة أنه رجل مُصرَّأ من جزيرة كريت كانت له نعمة وكانت له سعة من العيش ، وذكر

أبويه وأهله والحياة الواسعة المخفجة التي كانوا يحيمانها ، ودكر أنه عرف أوديسيوس أول ما عرفه حين غرقت به الفلك وقذفه الموج على الشاطئ الكريتي ، فهرول إليه وتلطف به وأحذه إلى داره حيث أكرم مشواه واحتفى به أبواه ... ولم يكد أوديسيوس يفرغ من حديثه حتى تفرقت الدموع في عيني بنلوب ، وانطلقت تبكي على زوجها الذي لم تدر أنه جالس إليها يحدثها ويوشى لها أطراف الكلام . وتأثر هو من نكاتها فكادت عيانه تفيضان بالدمع ، لولا أن ملك حاله ، وهيمن على عواطفه ، فخبس العبرات التي أوشكت تنهل بأجفان من حديد ... ثم أرادت الملكة أن تمتحنه إن كان صادقاً فقالت : « وهل تذكر أيها العزيز ماذا كان يلبس يوم لقيته ؟ أ تستطيع أن تصفه لي ، وتصف رفاقه الذين صحبوه في هذه الرحلة المشثومة ؟ وتجاوب أوديسيوس فقال : « مولاتي ! ليس من اليسير على شيخ كبير مثلي أن يذكر أحداث ما قبل عشرين عاماً ... بيد أنني سأحاول أن أرسم لك الظلال الضئيلة التي لا تزال تنطبع من صورته في رأسي ... أذكر يا مولاتي أنه كان يلتفع بشوب أرجواني موشى بالذهب ، وقد رسم فيه بالذهب أيضاً كلب صيد معروق يحمل في برطبله^(١) ظلياً مرقطاً . وأذكر أنني رأيت قميصه ولمسته ، فلا أذكر أنني لمست في حياتي أنعم ولا أرق ولا أئمن ... وكان يسعى بين يديه مشير أكبر منه جسماً وسناً ، ذو كتفين مستديرتين وبشرة سنجابية

(١) عن ثعلب عن ابن الأعرابي أنه فم الكلب أو شفته ولم يذكره صاحب القاموس .

وشعر مُفَلَّفل ... وكان أوديسيوس يوقره ويهمله أكثر مما كان يبجل
سائر أصحابه »

وصمت أوديسيوس ، وبكت بنلوب فاستخرطت في البكاء ، ثم قالت :
« لشد ما كنت أرثي لك أيها الغريب المازح الجوّاب ؛ أما الآن فإني
أحترمك وأعطف عليك ، بل أحبك ؛ تالله لقد صنعت له هذا الثوب
بيدي ، وأنا التي وشيته بالذهب ! وأأسفاه عليك أوديسيوس ! إنك لن
تعود إلى يا حبيبي ! بُعداً ليوم نزحت فيه عن وطنك إلى هذا البلد
اللعين المشؤوم ... طروادة ! » وهش أوديسيوس وقال : « خفي عنك يامولاتي ،
ولا تتلغى قلبك بطول هذا البكاء . ثم لما ذا تيأسين من أوبته وقد سمعت
عنه أخباراً سارة حين كنت في أيروس ؟ لقد مات عنه كل أصحابه ،
ولقد غرقت سفينته في أعماق اليم لغضب صبته الآلهة عليه ؛ بيد أنه نجا
مع ذاك . وهو الآن سليم معافى يوشك أن يصل إلى إيثاكا بخير .
وأنا لا أرسل ما أقول حديثاً ملفقاً ، بل أحلف عليه وأقسم بأغلظ الأيمان
أنه سيصل إليكم في عامكم هذا ... بل ربما كان بينكم قبل أن يتم القمر
دورة هذا الشهر !! » . فتأوهت بنلوب وقالت : « ويك أيها الضيف !
تالله إن قلبي ليكذب ما تسمع أذنائي ، وإنه لا يصدق أن صاحبي بعائد
يوماً إلى إيثاكا ... ولكن هلم ... إني سأمر وصيفاتي فيغسلن قدميك
ويعطينك ثياباً وكسوة ويهيئن لك فراشاً وثيراً هنا . فإذا كان الغد
فستجلس مع تليماك على مائدة الأمراء ولن يجسر أحد منهم أن
أن يكلمك كلمة أو أن يمد يده إليك بأذى » وشكر لها أوديسيوس

وقال : « مولاتى لقد اعتدت أن ألتحف السماء إذا نمت ، وأن أفترش الغبراء ، ولن تمسنى وصيفاتك ، فقد يذعرن من خشونة قدمى ... ولكن إذا كان فيهن واحدة مخلصة شربت من كؤوس الزمان مثل ما شربت من محن وآلام ، فلا بأس أن تغسل لى قدمى ، على أن تكون عجوزاً حيزبوناً ؟! » . وسرت بنلوب وقالت تجيبه : « أبداً ما علمت أحزم منك ولا أوفر ذكاء وعقلاً أيها الصيف الكريم . لك ما سألت ، فإن عندنا خادماً أميناً طاعنة فى السن كانت موكلة بمولاي أودسيوس إذ هو طفل تغسله وتسهر عليه ، وهى التى ستغسل لك قدميك ... يوريكليا ... يوريكليا ... أقبلى فامهرى على هذا الرجل العجوز الذى له مثل سنك وتجاريبك ... إن له سحنة كسحنة أودسيوس وسياء كسيائه ... إغسلى قدميه وقدمى له كسوة تليق بضيف حل بيتنا » وكأنما هاجت ذكرى أودسيوس شجون المرأة فتفرق السمع فى عينيها الملوذتين وقالت : آه يا أودسيوس لشد ما ينزع فؤادى إليك ويخفق لذكراك ! تالله لم أر رجلاً أحببت للآلهة كما أحببت وضئى لها كما ضئى ... ومع ذلك فقد ناموا جميعاً عنه فلم يتأذنوا برجوعه إلى وطنه ! ومن يدرى ؟ فقد يكون غريباً كهذا الغريب ، جواب آفاق فى بلاد نائية ، ومن يدرى ؟ فقد تكون نسوة تعبت به كما عبت نسوة هذا القصر بهذا الرجل ... هلم أيها الضيف الكريم ، لا أحب إلى من أن أغسل قدميك كما أمرت مولاتى ... أوه ! يا لاهجب ! لماذا ينجذب إليك قلبى هكذا ! يا للآلهة ! أبداً ما رأيت من أضياف هذا البيت العتيق أشبه بأودسيوس منك صورة وصوتاً وخطراناً ... » .

وتأثر الملك وأنشأ يقول : « ربما يا أماء ! لقد قال مثل ما قلت كثير من رأوفى ورأوا أودسيوس » وذهبت يوريكليا فأحضرت طساً^(١) به ماء واتهز أودسيوس انشغالها عنه فابتعد عن الموقد ، لأنه ظن أن المرأة قد ترى الندوب التي بقدمية ، الباقية ثمرة من عضه خنزير برى كان قد بطش به في حادثته فتكشف ما حرص هو عليه من كتمان أمره ... بيد أنها لمست النذبة^(٢) الكبرى في ساق سيدها إذ هي تغسلها ... وكانت الظنون قد ساورتها لما سمعت من صوته ، واستذكرت من صورته . فلما تحسست النذبة زاغ بصرها ، وحلقت فجأة في وجه مولاه وسقطت يداها من غير وعى فانقلب الطس النحاسى محدثاً صوتاً مُرَّثاً مُدَوِّياً ... وسال الماء ... وانحبس الدمع والمنطق في عيني العجوز ولسانها ، ثم عاجلت المفاجأة السارة الحزنة في صدرها ... وصرخت تقول : « أنت ! هو أنت ! والله إنك لأودسيوس ... لقد عرفتك ... هذه هي النذبة التي أحدثها الخنزير بساقتك ! لقد لمستها بيدي ! » وأهرعت العجوز مذهولة نحو پنلوب اتزف إليها البشرى المائلة ... ولكن ميمزفا كانت أسبق منها ... فقد سحرت عيني پنلوب وسمعتها ... وهجل أودسيوس إلى العجوز فأطبق بكفه على فمها وقال . « يوريكليا ! أصمتي ! أنا هو ! ولكن أصمتي ! إن كلمة واحدة منك تقضى على ! لقد غذوتني ونشأتني في حضنك صغيراً ، فهل تكونين نكبتى وشاحذة سكينى كبيراً ، وبعد أن وصلت إليكم بعد يأس وقنوط من عودتى ؟ أصمتي أغلى لسانك بسلاسل وأصفاد فلست أريد أن

(١) الطس بالفتح والطست والطاسة (الطشت) الذي يسيل فيه (قاموس) .

(٢) أثر الجرح القديم .

يعلم أحد أننى هنا .. وإلا ... فتالله إن أرحمك — ولو أنك مرضى —
يوم يجد الجد ! » .

وارتعدت يوريكليا ، وقالت تجيبه : « أى بنى ! لم تكلمنى هكذا ؟
أتشك فى ثباتى وحفاظى ! إطمئن يا بنى ، فسأكون أصمت من الحجر
الصلد ، وأسترسرك من الحديد ! » فخدجها أودسيوس وقال أصمتى إذن ،
ولا تفسدى تدبيرنا ، ولننكول جميعاً على الله ! وذهبت فأحضرت ماء آخر ؛
وأخذت فى غسل رجليه العظيمتين ، فلما فرغت ضمختهما بأفخر الطيوب ،
ووقفت تقلب عينيها فى مولاها بينما كان هو يربط لفائف على ندوب ساقيه
وأخذ أودسيوس كرسيه وجلس قريباً من الموقد لتقاء پنلوب التى شرعت
تحدثه وتقول : « أيها الضيف ، ما أرى بأساً فى أن أسألك إذا كفت أبقي هنا
مع ولدى أو أختار أحداً من أولئك الأمراء فيكون لى بعلا ... على أن رؤيا
رأيتها لا تزال تضطرب فى خلدى ولا أعرف كيف أعبرها . ذلك أننى
كفت أقتنى عشرين إوزة بيضاء ، وكنت أحبها وأرعاها بنفسى ، فرأيت
فيما يرى النائم نَسراً قشعاً انقض عليها من الجوف فافترسها جميعاً بينما كانت
تأكل طعامها من الملعف الذى أعدته لها ... ولما رأى النسرسدة حزنى
والتياعى على أوزى ، وقف على نتوء قريب ثم أنشأ يكلمنى ويقول :
لا تحزنى يا ابنة إيكاريوس على الأوز فإنه يمثل عشاقك الفساق ... أما أنا
فأمثل زوجك النازح الذى سيعود من سفره فجأة فيبطش بالطغمة
العاتية التى استباححت قصره ، وولفت كالكلاب فى عرضه ... ألا يا ابنة

إيكاريوس اسعدى ! » واستيقظت من نومى مسبوحة ونظرت إلى إوزى لأطمئن عليه فوجدته سالماً ... فهل تستطيع أن تعبر عن تلك الرؤيا أيها العزيز ؟ » .

فقال أودسيوس : « أيها السيدة الفاضلة ... لقد فسر لك الرؤيا زوجك بلسانه ... وهى تعنى غير ما قال ... إنه فادم وشيكا لا ريب ... وإنه حامل إلى العشاق منايام » .

وأنأقلت بنلوب ثم قالت : « أبداً ... إن هى إلا أضغاث أحلام ! إذا كان غد فإنى ذاهبة إليهم فذاكرة لهم شرطاً إن استطاعوه نالنى أقوام فذهبت من فورى إلى بيتى ، وتركت كل هذا القصر الذى دخلته زوجة لخير زوج ، ليكون حليماً جميلاً يزخره لى الماضى ... وذلك أننى شارطة عليهم أن يحملوا قوس أودسيوس فيصيبوا بها غرضاً يخترق السهم إليه اثنى عشر (دنجلا)^(١) فإن أصابه أحدهم فإنى له » . وهش أودسيوس وأيد مكرتها « لأن واحداً منهم لن يستطيع أن يوتر قوس أودسيوس قبل أن يحضر أودسيوس فيحطمهم جميعاً ! ! » وأشارت بنلوب إلى خدمها فأعددن لأودسيوس متكاً وفراشاً وثيراً ... وذهبت بنلوب لتذرف فى مخدعها دموعاً من بلور .

(١) لم نجد فى العربية — أو لم نعرف — مرادفاً لمحور القوس أو العجلة ، فأجزنا هذه اللفظة لشيوخها بين الصنائع .

سندريه من السماء

طفق أودسيوس يتقلب فى فراشه على أحر من الجمر ، وطفق رأسه يغلى كالقدر ، بل يغور كالتنور بطائفة نائرة صاحبة من الأفكار والوساوس ، وهو لا يدري ماذا يصنع بهذه العصبية أولى القوة من أولئك العشاق المفاليك ، وهو وحده ، ومهما يكن شجاعاً صنيدياً فقد يتسكأثر الذباب على الأسد فيقتله ...

وهبطت من السماء مينرفا اللطيفة فى صورة حسناء هيفاء ممشوقة القدر بارعة القسمات ، فجعلت توأسيه وتطمئننه ، وتبشره بأن الأولب كله من ورائه فلا يخاف ولا يأسى ...

— «هذا حسن أن يكون الأولب ، وتكونين أنت ياربة الحكمة ، من ورائى حتى أنتصر على أولئك الجبارين ... فكيف لا أخشى أن يهب من ورائهم قبائلهم وذرائهم واللاندون بهم يثأرون لهم فيحل بي بطش شديد ؟؟ » فتقول مينرفا : « الذى يحفظك منهم غداً يحفظك من غيرهم بعد غد ، ولو جمعوا لك جحفاً أضعافاً ... فلا عليك أيها العزيز ... خلّ عثك الوساس إذن ... ونم ملء جفنيك ... واترك للسما قيادك فهى حسبك ... » قالت هذا وزفت فى الأثير اللانهائى إلى أولب ، تاركة وراءها القصر العتيد بمن فيه من نّوام وغير نّوام ...

مسكينة بنلوب ! لقد كانت هى الأخرى شاردة اللب ، موزعة

القلب ، ما تركاً لها عبرة ، ولا تغنى لها عين ، ولا يقر لها قرار .. لقد لبثت ليلها كله تنشوف إلى أوديسيوس وتبكي عليه ، وتستذكر أيامه ، وترثى لهذا الفتى اليافع تليماك ؛ ثم تدعو الموت كي يخذم أنفاسها ، ويوفر عليها أحزانها ... ولكن المنايا نوافر لا تستجيب لدعاء أحد .. وهتأ أوديسيوس عند مطلع المعجر فانطلق إلى المذبح الكبير حيث جثا متضرعاً لهفساناً ، يسبح باسم زيوس العلى ويصلى له ، ويهتف به أن يجعل له علامة يطمئن قلبه بها ، وليعلم أن كبير الآلهة لا يزال يحميه ويكأؤه ، كما كالأه في شدائده في كلا البر والبحر ... وكان أوديسيوس يزكى صلاته بأطهر الدموع وأحرها ، وكان سيد الأولب يصغى لدعائه من علياء السماء ، فما إن فرغ الملك الحزون حتى أرسل زيوس في الأرجاء زلزلة عظيمة مدوية رجعت أضدائها جنبات القصر الساكن ، وأحياد الجبال الشاحمة ... وكانت خادماً بأئسة تسهر طوال ليلها عاملة في طاحونها ناصبة ، فلما وقرت في سمعها الزلزلة ذعرت وروعت ، وأزاحت طرف الستر لتتنظر إلى السماء فلم تجد فيها سحابة واحدة ، بل وجدت بها مشرقة بتباشير الصباح ، مضيئة بنور ربها .. فجعلت تجأ إلى الله وتقول : « زلزال وليس في الأفق سحاب !! أما والله إنه لنذير ، أما والله إنها لغصبة السماء على هؤلاء المناكيد ... القساة ... الذين يقسروننى على هذا العناء وذاك النصب طوال الليل كأنتى من حديد ... يا جوف العلى ... إن يكن ما سمعت حقاً ؛ فإني أسألك بحق أسمائك أن يكون هذا الدقيق آخر ما يأكلون من زاد هذه الدنيا !! » .

وتبسم أودسيوس من قولها ، وتوسم فيه وفي تلبية السماء خيراً له ،
وشاع في أعطافه شعور قدسى بما دنت ساعة الانتقام ... وكانت الوصيفات
الأخريات يوقدن نار المدفأ في الردهة الكبرى ، بينما برز تليماخوس من
مخدعه مخترطاً سيفه ، وروحاً يختال من خلفه ، حتى إذا بلغ وصيد الباب
الكبير هتف بالمرضع العجوز يوريكليا يقول : « كيف حال الغريب
النازح يا أماء ؟ بودى لو أنكن عنيتن به كما ينبغي ، لأن والدتى على
ما جبلت عليه من خير ولطف ، لا تهتس لأمثاله من النارحين الغرباء »
وقالت يوريكليا تجيبه : « يا بنى لا تثريب على والدتك فى هذه السبيل
فقد احتسى ضيفك من الخمر ملء بطنه ، حتى لقد أبى أن يذوق طعاماً
بعد ، وقد أبى إلا أن ينام على فراش خشن فى الردهة الكبرى ، ولا
أدرى لماذا تشبث بهذا » . وانطلق تليماك إلى المدينة يتبعه كلباه . ثم أقبل
الراعى يومايوس يسوق بين يديه ثلاثة خنازير كناز من أسمن قطعانه ،
وما إن رأى أودسيوس — الشحاذ الفقير فى حسبانه — حتى قصد إليه ،
ولبت يسائله عما لقي من العشاق — فدكر له أودسيوس ما كان من
وقاحتهم ... وبيناهما كذلك ، إذ أقبل الراعى السفيف ، سليط اللسان ،
ميلا تقيوس وهو يحدو قطعانه وماعزه ، وطفق كدأ به يسب أودسيوس
ويرسل عليه وعلى يومايوس ما نزع به فمه من شتائم ، تحرشاً بالرجل
الشحاذ الفقير ، ولكن أودسيوس لم يحرك ساكناً ... وأقبل راع آخر
يقود بقرة صفراء لاذلول ولا فارض ، يدعى فيلوتيبوس ، فوقف عند زميله
يومايوس يسائله عن صاحبه الفقير الشيخ ، وكأنما راعته ملاحظه وحسن

سمته : « إن له سياء كسياء الملوك برغم أماله ومزقه ! » ، ثم صافح أودسيوس وقال له : « مرحباً أيها الأب ! حفف الله عناءك ووضع عنك وزر ما تشكو . يا للسماء ! إن مرآك يفجر الدموع في عيني لأنك تذكركني بمولاي أودسيوس الذي وكل إلى رعى قطعانه وأنا بعد صغير حدث ، فكبرت كما كبرت ، وتضاعف عددها ... ولكني وأسفاه لا أفرح بسمها ووفرة عددها ، بل إن الحزن ليرزح على نفسي لأنها تسمن فتسكون غذاء لا مباركاً ولا هنيئاً لأوائك الظالمين ... ولولا رجائي في السماء ... وأملى الكبير في عودة مولاي أودسيوس لكذت من بعيد بسيد آخر أخدمه ، لأن الصبر على خبائث هؤلاء العتاة الطغاة لم يعد في طوق أحد ... وأأسفاه عليك يا مولاي أين أنت اليوم ؟ ألا ليتك تعود فتبسط البطشة الكبرى بهؤلاء الجبارين ! » ... واغتنبط أودسيوس بما سمع من كلام الراعى فقال له : « لله ما أشجعك أيها الصديق ! ولكني أبشرك وأطمئنك ، وأقسم لك أن مولاك عائد ما في هذا شك ، وهو عائد عما قريب ، وستشهد عيناك هاتان مصارع البغاة الطغاة ! » ... وبينما هما يتحدثان إذا بالعشاق يقبلون أفواجاً ويملاًون البهو ، ويجلسون إلى وليتهم ، فيشير تلياك إلى أبيه فيجلسه معهم ، ويعد له مائدة ومقعداً ، ويحضر له من الشواء والخبز والشراب ما هو حسبه ويقول له بمسمع من الجميع : « إجلس أيها السيد ولا تخش رهقاً ... إني أمقت أن أسمع شعباً اليوم ، فالبيت بيت أودسيوس وإني لصاحبه ! » وغيظ أنطونيوس فقال : « دعوه فقد حق له أن يقول

ما يشاء ، فقال له لولا أن حال جُوف بيننا وبينه لأسكتنا إلى الأبد أنفاسه ! » وقال سفيه آخر : « طب نفساً يا تليماخوس وقرّ عيناً ، فهناك منحة منى لصيفك ، مضغة مشتهة ! » ثم تناول عظمة من السلة القريبة فقفز بها أودسيوس الذي انحرف عنها فلم تصبه ، وعندئذ قال تليماك مغاضباً : « تالله لو أصابته لأقضدتك برحى هذا فنفذ في صدرك ، وخرج يلعب من ظهرك ، ولا نقلب العرس الذي تحلم به . فكان مناحة تؤز بيتك ... إني لم أعد صبياً بعد فلا ترهبوني ! سترون كيف أستطيع أن أضع لكل ذلك حداً بعد إذ طفح الكيل ! » وهنا هب ائيم آخر فخذ في سخرية مقالة تليماك .. « لأن من حقه أن يحصى ضيفه ... ولكن اسمع يا تليماخوس ... لم لا تمضى إلى أمك وقد ينسنت من عودة أبيك فتطلب إليها أن تحضر فتختار البعل الذى يروقها من بيننا ! » فتعمَل تليماك الكلام وقال : « هى حرة مطلقة الحرية . إني لا أقف في طريقها ولا أقسرّها على شيء ! » وما كاد يفرغ حتى انفجر المناكيد يضحكون ويضحون .

ثم حدثت المعجزة !

لقد تضرجت وجوه القوم بحمرة الدم .. ولقد تحركت قطع اللحم فوق الخوان فهى تقطر دماً أحمر كأنه ينبثق من غلاصم قتلى ! ثم امتلأت عيونهم بدموع غزار حرار ... ثم طعقت دموعهم تغلو وتهبط وتنشق عن تهديدات تصعد من سويداء القلوب ... ثم هذا ثيوكليمينوس — السكاهن الأبق — يشهد المعجزة ويرى النذير ، فينهض فيهم قائلاً :

« تعساً لكم أيها الأحماس لقد سيء بكم ! ماذا تخبأ لكم المقادير يا ترى ؟
 ما هذه الظلمات كأنها قِطْعُ الليل تغطش رؤوسكم وتزلزل أقدامكم ؟ وما
 هذه الدموع تنصب من عيونكم قشوى خدودكم ؟ أنظروا إن استطعتم !
 ما هذه الدماء التي تضرح جدران القصر ؟ ما هذه الأشباح التي تكظ
 الهوا الخالد ؟ إنها تتهاوى إلى عالم الفناء فويل لكم ! ؟ أوه ! وتلك آية
 أخرى لقد كسفت الشمس فجأة وتوارت بالحجاب ! الضباب الصباب !
 ما أروع الضباب ينتشر فيملاً ما بين الأرض والسماء ! ! » .

وبالرغم مما أُنذر السكاهن فقد أغرق القوم في الضحك ، ولم يزدادوا
 إلا خبالاً ... وقال قائلهم ، وإنه ليوريماخوس : « ما أحسب إلا أن به
 جنّة ! خذوه فغلوه ثم في السوق صلوه ، عسى أن يجد ثمت ضياء يمشى
 فيه ، إنه لا يجد ضياء هنا ! ! » .

وتلبث السكاهن فقال : « أربع عليك يا يوريماخوس فإن لي عينين
 وأذنين وإني لأرى وأسمع ... وإني نذير لكم من بلاء يحل بكم فلا يبقى
 ولا يذر ... أيها الأفاكون المفسدون ! » وانطلق السكاهن من القصر ...
 ولمز أحد العشاق تليماك فقال : « ألا ما أتعسك في كل من ضيّفت من
 ضيف يا فتى ! أما كان بحسبك هذا الفقير الشحاذ القذر الذي تطعمه ،
 ما عليه من سبيل ، حتى تجلب هذا المتفهب الذي يدعى النبوة ويرجم
 بالغيب ؟ » .

وصمت تليماك فلم ينبس ، وظل ينظر إلى أبيه ، ويرقب ساعة الجد .

وما رميت إذ رميت ...

وكانت ينلوب جالسة في الحريم تسمع إلى ضجيج القوم وعجيجهم ،
فبدأ لها أن تصع حداً لهذا العبث العقيم الذي استمر كل هذه السنين
الطوال فأمرت بعض وصيفاتها فتبعنها إل الخبأ الذي حفظت به أذخار
الملك وعتاده ، والسلاح الذي فرقت له قلوب وارتعدت فرائص وزاغت
من هوله أبصار ...

لله ما كان أشجاءها ذكريات حافلة بأروع ضروب المجد ! ها هي ذى
تلك الرماح التي طالما لاعب بها أودسيوس الأسنة ، والسيوف التي طالما
انزع بها الأرواح ، والدروع السابغات التي كانت تدرأ عنه وتحميه ،
وتحفظه وتفتديه ... ثم ها هي ذى تلك القوس العظيمة معلقة فوق الحائط تلعب
وترقص من حولها المنايا ... القوس ذات الذكر التي أهداها إلى أودسيوس
أحد المعجبين به ... ها هي ذى بعد هذه السنين الطوال لم يحملها أحد
غير أودسيوس ، لأن أحداً غير أودسيوس لا يستطيع أن يثني قوس
أودسيوس ، وفيها الوتر العرُد ، الذي لا يلين ولا يبين ولا يترُد ، إلا إذا
كله أودسيوس !! وتناوات ينلوب كنانة السهام التي طالما قذفت المنون
في قلوب الأعداء ، وجلست تسثرها في حجرها ، وتنقي منها ، وتبكي أحر
البكاء ... لأن كل سهم منها كان يهيج في قلبها ذكريات زوجها البطل .
وأشارت إلى وصيفاتها فحملن القوس العظيمة ، وحلن (الدناجل) ،
ثم حملت هي السهام وسارت أمامهن ، وعلى وجهها نقابها السادر الحزين ؛
حتى إذا كانت عند الأمراء هتمت بهم فصمتوا ، ثم قالت لهم وفي صوتها

نبرة الحزن ، وموسيقى الآلام : « ها هي ذى قوس أودسيوس وتلك هي
سهامه أيها السادة الأمراء ، فمن استطاع أن يثنيها فيرسل عنها سهماً يخترق
الدناجل الاثني عشر فيأني له ، وهو صاحبي ... وعسى أن تبطل السماء
حجبتكم اليوم ... فقد طالما ذهبتم بخير هذا القصر ، وأرغتم من زاده بحجة
أنكم عشاقى ، كما استبحتم أن تسموا أنفسكم ، فإليكم القوس فانظروا ماذا
تصنعون » وأشارت إلى الراعى يومايوس فتسلم القوس العظيمة ، وحملها معه
زميله راعى الصان فيلوتيوس ... ثم إن الراعيين لم يطيقا ذكريات سيدهما
التي هاجتها فيهما القوس فذرفا دموعهما ثم استخرطا في البكاء ... وانتهرها
أنطونيوس فقال : « تباً لكما أيها الفلاحان القذران فيم هذا البكاء ! ألهييجان
الشجو في فؤاد سيدتكما ؟ إنطلقا أيها المسخان فاكيا بعيداً فتالله ما أحسب
بكاء كما إلا يزيد في صلابة القوس ، وتالله ما أحسب أحداً منا يبالغ منها
مأرباً ... وى ! من مناله بأس أودسيوس ؟ ! لقد كنت طفلاً ، بل
كنت وليداً ، حينما رأيت رجلاً ذا صولة وفتوة يهديها إلى البطل ...
أجل .. رأيت هذا بعينى هاتين . وكان في كل ما قال ساخراً ... فقد
هياً له الغرور أنه بقليل من العناء سيثني القوس ويرسل السهم ويحظى
ببنلوب ! »

ونفض تليماك فقال إنه سيساهم في الرماية فإذا استطاع فإنه سيبقى أمه
لديه ولا يتركها تغادر منزل أبيه أبداً ... ثم حفر حفراً على خط مستقيم
فجعل في كل منها دُنبجلاً وثبت حولها بالحجارة والتراب ... ثم إنه تناول
القوس العظيمة وألقمها السهم ، وجمع قواه وطفق يشد ؛ وفشل مثنى

وثلاث ، وكانت القوس تسمخ عليه فلا تكاد تنثنى ، حتى إذا حاول الرابعة وأوشك أن يظفر ، أوماً إليه والده ففهم ما يريد وقال : « أوه ! إنه لا يقدر على هذه القوس إلا من هو أقوى منى وأكمل جسمانياً وأتم بنية ... فليتقدم لها من شاء منكم حتى نرى ! » .

وقال أنطونيوس : إنهم جميعاً مشتركون في التجربة حسب مقاعدهم ، حتى السكاهن . فنهض هذا ويم شطر الوصيد وحمل القوس الرهينة ، وحاول مائة مرة أن يثنيها فلم يستطع ، فألقاها وقال : « أيها الرفاق ... ما أحسب هذه القوس إلا مؤسفة للجميع ... لقد أوهنتى وذهبت منى . ألا فلتحملوا بامرأة أخرى غير يثلوب ، فوالله ثم والله إنها للرجل الذى كتبته المقادير له ... الذى يحضر إليها بما ليس فى وسعكم من كنوز ومن أذخار » .

وغضب أنطونيوس وتجهم للسكاهن ثم قال : « ألا ساء ما تقول أيها الرقيق ! أحسبت أننا نياس من هذه القوس لأنك لم تقدر عليها ؟ ومتى كنت رجل جلال وجهاد ؟ ومتى ثنيت قوساً أو أرسلت سهماً ! أربع عليك ففينا الكثيرون الذين يستطيعونها بالقليل الأقل من الجهد » ثم أمر راعى الضأن ملانتيوس أن يحفر حفرة ويوقد فيها ناراً يجعل سها وعاء من سحم ليعالجوا به القوس عسى أن تلين قبل أن يُذلوا دلوهم ... فلما كان هذا أخذ الأبطال كل بدوره يعالج أن يثنى القوس ، ولكها استعصت عليهم جميعاً ، ولم يبق إلا أنطونيوس ويوريماخوس ، وهما أكثر هذا الجمع قوة وأوفرهم فتوة .

ثم نهض راعى الخنازير ، يومايوس ، ونهض فى إثره صديقه الراعى الآخر ، فحشاً أُلْخِطَى خارج البهو لما شاهدنا من يأس القوم ... وقد تبعهما أودسيوس ... فلما كانوا بعيداً قال لهما : « أيها الحبيبان ، إذا أرسلت العناية أودسيوس فى هذه اللحظة ليعطس بهؤلاء المذاكيد ، أفتحاربونهم معه ، أم تحاربونه معهم ؟ » ... فرمقه فيلوتيسوس وقال : « يا لاسماء ! تالله لو سحبت أحلامك لرأيت كيف أفتديه منهم بنفسى ومهجتى ! وتالله لرأيت كيف يهتز سلاحى فيحصل رؤوسهم ويبعثر أشلاءهم ! » وقال يومايوس مثل هذه المقالة ... ولما وثق من إخلاصهما كشف لهما عن حقيقة فقال : « إذن فاعلموا أنى أنا أودسيوس ، وهذه هى الندوب التى أحسها الخنزير فى ساقى ، وقد أبت إلى وطنى فجأة فلقيتكم أول من لقيت ، وأكرمت مشواى يا يومايوس وأنت لا تعرفنى ، ولم أشأ أن أبدو للقوم حتى أعرف عدوى من صديقى » ولم يكذب فرغ من قوله حتى انحنى الرجلان يشهدان الندوب ، فلما استيقناها ، ذهلا عن نفسيهما ، وجثوا عند قدمى مولاها ، وطفقا يقبلانها ويغسلانها بدموعهما ، ثم نهضا فألقيا سلاحهما عليه ؛ بيد أنه أمرهما أن يصمتا حتى لا يفضح أمرهم أحد ... وقال لهما : « لا بد أن نعود أدراجنا إلى البهو ، وسأطلق أنا قبلكما ، وسأطلب منك يا يومايوس أن تعطينى القوس لأقوم بنصيبي فى التجربة ، وسيرفض القوم أن أفعل ، ولكنك يجب ألا تبالى ، بل تناوانى القوس ، ثم تسرع بعد هذا إلى الحريم فتخبر النساء فيه ألا يذعرن إذا سمعن ضجة أو عويلا فى البهو ، أو شهدن حرباً وقتالاً ... أما أنت

يا فيلوتنيوس فتسرع إلى باب البهو فتوصده وتحكم إغلاقه حتى لا يفلت منهم أحد أبداً». ثم مضى فجلس مكانه لدى الباب ، وتبعه الراعيان ... وفى هذا الوقت كان يوريماخوس يحاول محاولته ، وكان من وقت إلى آخر يذهب بالقوس العظيمة فيعرضها للنار عسى أن يسهل عليه ثنيها ، لكن القوس أبت مع ذلك أن تليّن ، فلما بلغ من يوريماخوس الجهد ألقى بها يائساً وقال :

« تباً لها من قوس عنيدة ، والعار الأبدى لنا جميعاً يا رفاق ! ما لنا ولهذا ؟ إن فى إيشاكا حساناً ، وإن فيهن أزواجاً تُربّأ أبكاراً لمن يشاء ! أوه ! يا للخزى ! أواه لو لم تقل الأجيال المقبلة إننا كنا دون أودسيوس قوة وأقل منه فتوة حين عجزنا أن نثنى قوسه !! يا للخزى ... يا للخزى ! » ورؤّع أنطونيوس ! وذهل عن أمره ، ولم يشأ أن يخزى نفسه بأن يحاول كما حاول غيره ... فوقف فقال : « ما أحسب القوس عنيدة ولا مستعصية كما تزعمون ... ولكن اليوم يوم عيد أبولورب القوس العظيم ، فأنى لنا أن نحمل قوساً اليوم ! دعوها ، واتركوا الأهداف مكانها ، فلن يجسر أحد أن يدخل بهو أودسيوس فيمضى بها ، وفى بكرة الغد يحضر ميلانتنيوس من قطعانه عنزات سمناً فنضحى بها لأبوللو ، ثم نتم محاولتنا » ولكن أودسيوس هب من مجلسه فقال : « يا سادة ! ما دمتن لن تحاولوا الرماية اليوم فأرجو أن تدفعوا إلى هذه القوس لأجرب أنا أيضاً ، ولأرى هل لا تزال بقية من مُنّة الشباب مخبوءة فى أعصابى ! أم أنها

ذهبت بها جميعاً متاعب الحياة وكثرة التجوال في أطراف الدنيا ... »
وجن جنون القوم لما قال أوديسيوس هذا ، وعجبوا كيف يجسر شحاذا
فقير مثله أن يطلب أن يشارك السادات في مباراتهم ... ومن يدرى ؟
لعلهم ذعروا أن ينجح هذا الفقير فيما فشلوا هم فيه ... قال أنطوبيوس :
« أأخزن عليك لسانك أيها السليط الوقح ! ألا يكفيك أن يسمح لك
بوجودك بين هؤلاء السادة الأخيار من أقيال البلاد حتى تطلب أن
تباريهم ! » وكانت بنلوب تطلع فلم تحتمل أن يؤذى ضيف ولدها هكذا ،
فقالت : « أنطونيوس ، أئى لك أن تؤذى تلميذك في ضيفه ؟ بل ينبغي
أن يحاول الرجل كما حاولتم ، فأما أنك تخشى أن يظفر فيما فشلتم فيه ...
فلا ضير ... إنه لا جرم ليس يحلم مثلكم بأن أكون زوجة له ، فليفرخ
روءك إذن ، ولتطمئنوا جميعاً » وقال يوريماخوس : « يا ابنة إيكاريوس
ما دار بخلدنا قط أنت تنكونى زوجة له إذا ظفر ، ولكننا خشينا أن
يفضحنا في الناس فيقول : « عجباً لسادات إيثاكا وما حولها ؟ يطعمون
أن يتزوج أحدهم امرأة البطل العظيم أوديسيوس ثم لا يستطيعون رمي
سهم عن قوسه ، ويأتى رجل شحاذا فقير فيثنى القوس ويرمى السهم وهم
مع هذا لا يستحيون ! » هذا ما خفنا أن يكون يا ابنة إيكاروس وهذا
ما خشينا أن يذهب بشرفنا ! » فقالت بنلوب : « لتطمئن يا يوريماخوس
فليس في مثل هذا يضيع شرفكم ... ولكن الرجل ذو جسم طوال
ومظهر جبار ، وقد ذكر آباءه فعلم أنه كريم العنصر طيب الأرومة

عريق المحتد ، فلم لا يعطى القوس لئرى ما يكون ؟ وإنه وإذا ظمر
فسأحلح عليه وأدفع له سلاحاً وأرسله أتى شاء ! » . ثم نهض تليماك فقال :
« أماء ! إن القوس قوسى وإنى لصاحبها ، أعطيها لمن أشاء وأصونها عمن
أشاء ، ولن ينازعنى حتى أحد من العالمين ، ولو شئت لأعطيها الرجل
فتكون حقاً خالصاً له ، وما سمحت لأحد أن يمنعنى ... تفضلي أنت فعلقى
عليك أبواب الحرم ، وانظري فى أعمال البيت ، وصرفى شئون الخدم ، وخذى
فى غزلك ونسجك ، وسننظرنحن فى أمر القوس ، وسأرى أنا لمن تكون
الثوبة ، فإنى هنا سيد لا مسود ! » ... وشدهت بنبوب قليلاً ، إلا أنها
عرفت أن ابنها قال حقاً ، فانسحبت ، وغلقت عليها أبوابها ، وانطرحت
فى فراشها حيث واقتها ميمراً فسكبت فى عينيها غفوة هادئة لذيدة ،
فاستسلمت لسبات عميق .

وتقدم يومابوس فحمل القوس وأوتك أن يذهب بها إلى أودسيوس
لكن الأسراء زأروا مغاضبين ، نفشى الراعى ، وألقى القوس ثانية ،
فصاح به تليماك : « هات القوس هنا أيها العديد ، لشد ما أود أن أخلص
منك ومن هؤلاء السادة الذين ترهبهم ... ! » وسخر الأسراء وضجوا
ضاحكين ... ولكن الراعى تقدم إلى القوس فاحتماها ، وذهب بها
قدماً إلى مولاه ... وانطلق بعد هذا إلى الداخل فنادى الموضع يوريكليما
وقال لها : « إن مولاي يأمرك أن تغلق جميع الأبواب ، ويقول لك إنه
إذا سمع النساء ضجة فى البهو أو قتالاً فليجلسن حيث هن

ولا ينزعجن ، وليأخذن في عملهن ، أنسمعين ؟ » .

وغلقت الموضع الأبواب وبلغت رسالة مولاها ... ثم هم فيلوتيوس
فغلق باب البهو وأحكم إقفاله وربطه بِسَلْبٍ^(١) طويل كان لسفينته وألقى
لدى الباب ؛ وعاد فجلس مكانه وعيناه لا تريان عن مولاها ...

وتناول أودسيوس القوس فجعل يفحصها ويبحث في أجزائها ، مخافة
أن يكون السوس قد نخرها إذ هو ناء عن بلاده ... وزاغت أبصار القوم ،
وجعلوا يُهرِّقون في الشحاذ الفقير ويقولون : « الهَلُوفُ^(٢) الزنيم ! إن له
لَعِينًا فاحصة كأن لها عهداً بالماية ؛ وإنه ليبحث القوس كأنه يقتنى
أمثالها ! » ثم قبض أودسيوس على القوس ، وشد طرفها في سهولة وفي
يسر ، كما يشد الموسيقى وترّاً من أوتار قيثاره ، ونظر إلى الأهداف المتراسة
أمامه ، وأرسل سهماً اخترقها جميعاً ، وسمع له صوت كسقسقة العصافير ...
يا عجباً ! ! لقد أراش أودسيوس السهم ، وأرسل زيوس العلى زلزلة
ورعداً مدوياً وثب له فؤاد البطل ، وطارت منه ألوان القوم ، وانقذف
الربع في قلوبهم ...

ثم أخذ أودسيوس سهماً آخر فثبتته ، ثم أراشه فاخترق الأهداف
مرة أخرى ...

قال أودسيوس : « تلياخوس أيها العزيز ! إن ضيئك لم ينجيب

(١) في القاموس السلب لحاء شجر باليمن تعمل منه الحبال ونحسب أن مه لإطلاق
السلب في الحبال العليظة في مصر فلم نر بأساً من استعماله بهذا المعنى .

(٢) الهلوف بتشديد اللام وزان مردوس الثقيل الجافي البطين ونحسب أن مه
نحت المصريون كلمة هلفوت وقد استعملناها لظرفها وماسبتها كثيراً للمقام

رجاءك ولا أضاع عشمك^(١) ، ولقد أصبت الأهداف كلها على حداثة
عهد بالرماية ... والآن ، هلم ... إن النهار يوشك أن يولج ، وإنه لينبغى
أن نعد وليمة المساء للسادة الأمراء ، ولن يعدموا بعدها ما دأبوا عليه من
رقص وغزف ، وقصف وغناء ... ! »

وهم تليماك فألقى حائل سيفه على كاهله ، وتناول رمح العظيم ... وسنرى !

(١) في القاموس العثم الطبع .

الانتقام المائل

وألقي أوديسيوس أسناله ، وأطرح مزقه ، ورز للملأ أوديسيوس
القوى الحديدى الجبار ، وتناول كنانة الأسهم التى تُهمهم فيها المنايا
وتعمم ، والقوس العتيقة العنيدة ، ووقف عند الوصيد حتى لا يفر أحد
من أعدائه فينجو من الموت الذى هو ملاقيه ، ثم نثر الكنانة عند
قدميه وهتف بالعشاق يقول : « وهكذا يا سادة تتم فصول المساة ،
وهكذا أيضاً تنتهى المباراة التى لم يفز فيها واحد منكم ... والآن ...
أنظروا ... إني لن أسدد سهامى إلى هذه الأهداف بعد ، بل إني مسدها
إلى غرض آخر ... » وشد الوتر المرّد ، وأرسل إلى حلقوم أنطونيوس
سهماً مرشاشاً عجلى به إلى هيدز . وكان العلاج يوشك أن يحتسى كأساً
ذهبية من أعتق الخمر ، فسقطت الكأس من يده الذاهلة ، وسقط هو
يتشبط فى دمه ، ويلفظ أنفاسه . وذعر الآخرون حينما رأوا أخاهم يسقط
إلى الأرض رمة لا نفس فيها ولا حراك ، فهاجوا وماجوا ، وهبوا يبحثون
عن أسلحتهم ... ولكن ، هيات ! لقد أخفاها أوديسيوس وولده ليلة
أمس ... فأنى لهم بها !! وصاحوا بأوديسيوس : « أيها المجنون لقد أخطأت
الرمى ! ماذا أصابك ؟ إنك تسدد إلينا ؟ لقد قتلت أنبل شباب إيثاكا ،
شكلك أمك ! أبداً لن تحمل بعد هذه قوساً أبداً .

وانكشف البستر ، وعاد إلى الشحاذ الفقير عنفوانه ، وانقذت من

فمه الحَمَم فقال : « أيها الكلاب ! فال^(١) ما زعتم أن أودسيوس لن يثوب ! هاأنذا أيها العبيد ! لقد استبحتم حمى بيتى وأذلتم قدسه الحرام ، وأوضعتم فى الفتنة فاعتديتم على نسائى ، ولم تبالوا أن تتعشقوا زوجى ، بينا رجلها حى يسعى على قدميه ، غير عابئين بمن يطأع عليكم فى السماء وهو بكم محيط ، ولا مبالين بما تصج به الرفات الكريمة فى ثرى هذه الأرض من فعالكم ، فويل لكم ، لقد حان حينكم ! ! » .

وارتعدت فرائص الكلاب كما دعاهم أودسيوس ، وطارت حمرة الخمر من خدودهم ، ووقف يوريماخوس متخاذلاً وهو يقول : « إن كنت حقاً ملكنا أودسيوس فكلنا نعتذر عما ارتكبناه من الإثم فى بيتك . ولقد تكلمت فقلت الحق كل الحق ، ولكنك قد أرديت أنطونيوس الذى دعانا إلى كل ذلك والذى كان يطمح أن يتربع على عرشك ويملك كما ملكت ، فاعف عنا واصفح عن خطايانا ، ففحن بالرغم من كل ما حصل شعبك الأمين ، ورعاياك الأوفياء الأولياء .. على أننا سنعوضك مما استبحنا مالاً بمال وعتاداً بعتاد » . فقال أودسيوس : « يوريماخوس أيها النذل ! إنكم مهما ملأتم يدي بالذهب فلن تشفوا حرّدى ولن تُذهبوا غلى حتى أنتقم منكم جميعاً لما صدر عنكم من إفك ، وما ارتكبتم من أوزار ! فاخترأوا لكم ! الحرب التى جدت بكم فجّدوا بها ، والقتال الذى لا محيص منه ولا مجيد عنه ، أو ... فالفرار الفرار ... ولن تجدوا إلى الفرار سبيلاً ... » وزلزل الجميع زلزلاً شديداً ،

وجفت ألسنتهم في حلقهم فما عرفوا ماذا يحسرون ، ثم هتف فيهم يوريماخوس فجأة يقول: « أيها الإخوان ، لقد تحجر قلب هذا الرجل فلن يعرف سبيلا إلى الرحمة ، وها قد قبص على القوس بكلتا يديه ، ووقف عند الوصيد يذودنا عن الباب ، ولن يفلت أحد منا من سهامه قط ، بل إنه سيقنصنا واحداً بعد واحد ... ولا أرى إلا أن نزعوا إلى سيوفكم فتختلطوها ، وإلى المناضد فتدفعوا بها ، ثم نهجم عليه كرجل واحد عسى أن نرحزه عن الباب فنبجو بأنفسنا ونلوذ بالفرار فإذا بلغنا المدينة فإننا سالمون ! » ثم فرغ من صيحته واستل سيفه ، وهجم على أودسيوس مرعداً مزججراً ، ولكن أودسيوس أصماه بسهم في صدره فصرعه ، وخر اللثيم يعالج سكرة الموت ، وانتشرت ضيابة القناء الأبدى على وجه المقبوح فأطبقت عينيه ... وهنا ... هاج الأمير أمفينوم وماج وهجم على أودسيوس بسيفه الذي تقطر من حده المنايا .. وكاد اللثيم ينال من خصمه مثالا لولا أن قفز تليماك برمح العظيم فأغمدته في صدره وردده عن أبيه وعاد مكانه درن أن ينتزع الرمح مخافة أن يتسكثر عليه الأعداء . وقال تليماك لأبيه : « أبتاه ! إنه يجب أن نستعد بسلاح أكثر ... وإني ذاهب فمحضر ما نحتاج إليه وعائد بهرعة البرق » فقال أبوه وهو يقصد القوم بسهامه : « هلم يا ولدى وهات ما استطعت ، فليشد ما أخشى أن تفرغ هذه السهام فلا أستطيع أن أدفعهم عن الباب ... » وانطلق تليماك إلى غرفة السلاح ؛ فأحضر ما مست إليه الحاجة من رماح وسيوف وخوذات ، وادّرع بما هو حسبه منها ، ثم ألبس الراعيين الأميين

درعين سابعتين^(١) وزودها بسيفين بتارين ، ووقف الثلاثة إلى جنب
البطل العظيم يمنعون تكاثر العشاق عليه ، بينما هو يرسل سهامه
فتخترقهم وتستأصل شأقتهم واحداً فواحداً ، حتى إذا فرغت سهامه ،
وقف الأبطال الثلاثة يذودون من دون الباب حتى لبس أودسيوس
دروعه ووضع على رأسه خوذه ، وأخذ رمحين عظيمين في كلتا يديه ،
وعاد إلى كفاحه ، وكانت في الجانب الآخر من البهو بوابة صغيرة لم
يفطن العشاق إليها ، فأرسل أودسيوس راعي الخنازير ليحرسها وليحول
بين العشاق وبينها ... وضائق الدنيا حتى غدت ككفة الحابل في أعين
القوم ، وتجهمت لهم حتى غدت كالليل الهيم ألقي غواشيه فوق رؤوسهم ،
وناء بكلكله على صدورهم ... فقال قائلهم : « ألا يستطيع أحد أن
يمرق من البوابة فيصيح بأهلنا ويستنجدهم لنا ؟ » .

فانبرى له ميلانقيوس^(٢) يجيبه : « هذا عبث لن يكون وراءه طائل
فإن رجلاً واحداً يستطيع أن يقفنا جميعاً لو فعلنا ، دون أن نبغ الباب
... بل لدى فكرة .. إني أعرف أين خبأ أودسيوس وابنه أسلحتنا ،
وسأطلق فأحضر لكم منها ما يقيكم منها . » ثم تعلق بحبال مدلاة من
كوة في السقف وتساق عليها حتى نفذت ، وانطلق إلى غرفة السلاح
فأحضرا اثنتي عشرة درعاً ورمحاً كثيرة وخوذات ، وظل يلقي بها من
الكوة فيتلقاها رفاقه ويدرعون بها ... ولو كان مع أودسيوس سهم
واحد يرسله إلى هذا العلج قبل أن يتعلق بالحبال لما استطاع أن يحضر

(١) صافيتين .

(٢) هو الراعي الحائن الذي أصبح ضلعه مع العشاق صد مولاه أودسيوس .

هذه العدد . قال أودسيوس : « أى بنى لقد خاننا بعضهم ودل القوم على غرفة السلاح ، فانظر كيف يتضاعف عناؤنا ويزيد بلاؤنا » فقال تليماك : « كلا يا أبتاه ، إنه لم يخننا أحد ، والذنب ذنبى ، فقد تركت باب الغرفة دون أن أوصده ... يومايوس ! انطلق فعلق باب غرفة السلاح وأحضر مفتاحها ؛ وانظر هل خاننا أحد ، أو أن هذا من فعل ميلانتيوس كما أحس ! » وانطلق يومايوس فرأى ميلانتيوس ذاهباً إلى غرفة السلاح ليحضر عددًا آخرَ ورماحاً ، فقال الراعى : « ها هو ميلانتيوس الوغد منطلق إلى الغرفة كما حدس مولاي » وهتف بتليماك : « ها هو ذا ! ها هو ذا ! هل أحضره حياً ليلقى جزاء أم أقتله حيث هو ؟ » فقال أودسيوس : « بل اذهب أنت وأخوك الراعى فشدوا وثاقه واحبساه فى الغرفة حتى يلقي جزاءه ، وسأبقى أنا وتليماك لنذود دون الباب » . انطلق الراعيان فوقف كل منهما خلف مصراع من باب الغرفة حتى إذا برز ميلانتيوس انقضا عليه وكبلاه ودفعاه داخل الغرفة ، ثم ربطاه فى عمود هناك ، وقال له يومايوس « إهنا يا صاح وارقد هنا إلى الصباح ، وأكبر ظنى أن الشمس لا تشرق عليك إلا وروحك فى عالم الظلال والأشباح ، فلا تراك قطعانك بعد اليوم » وأغلقا الباب وعادا أدراجهما إلى مولاها وولده ، ووقف الأربعة يناضلون جحشاً بأكمله . ثم بدت مینرفا الحكيمة فى زى منطور وطيلسانه فعرفها أودسيوس وفرح بها قلبه ، وهتف بها قائلاً : « منطورأيها العزيز ، معونتك وتأييدك ، فنحن صديقان منذ القدم ! » وهتف العشاق ينادون : « احذر يا منطور وإلا فتلقى

حتفك بعد أن نظفر بهذا الوغد . ولحظت مينرفا ذعر أودسيوس مما رأى من تسليح القوم فقالت تؤنبيه وتحثه : ما هذا التقاعس عن الحلبة يا أودسيوس ؟ هل فقدت شجاعتك وعنفوانك ؟ إنك ما أحجمت مثل ما تحجم اليوم طوال عشر سنوات حاربتهما في طروادة من أجل هيلين فهل يشق عليك أن تلتقي هذه الحفنة من عشاق بنلوب في بيتك ، بل في عقر دارك ؟ هلم ! قف إلى جانبي وانظر إذا كان منظور قد عق الصداقة القديمة ! » .

وحاربت معه ساعة ، ولكنها تركته ليعمل للنصر بمفرده ، وانسحرت فكانت عصفوراً من عصافير الجنة جعل يرف ويرف في سماء البهو ؛ حتى وقف على إحدى حشباته ... وفرح العشاق لما رأوا من مفارقة منظور ، وعادت إليهم بعض شجاعته لما رأوا المحاربين الأربعة يقفون وحدهم في مدخل الباب الكبير ...

وقال أحدهم يخاطب الباقيين : هلموا فليقتل ستة رماحهم قذفة واحدة إلى صدر أودسيوس ، فإنه إن سقط استرحنا منه ، فلن نلتقي عناء من الباقيين » ولباه أصحابه ، فقفوا برماحهم في صدر أودسيوس ، ولكن ... هيهات ... إن واحداً منهم لم يصب غرضاً من الصدر العظيم ... وهنا ... هتف أودسيوس برفاقه ، فانقض الأربعة على أربعة من المهاجمين فجعلوا في صدورهم رماحهم ، ورد الله كيدهم في نحورهم ، فقتل كل مهاجم ... وروع الآخرون فارتدوا على أعقابهم ، وانزوا في الركن السحيق من البهو ، وبهذا استطاع أودسيوس ورفاقه انتزاع الرماح من

صدور المقتولين ... ولم يهتم الراعيان بما أصابهما من جراح بالغة ، بل وقفا
 يناضلان ويفديان سيديهما ... ولما رأت مينرفا ما يلقي المحاربون الأربعة
 من تكاثر الأعداء ، رفقت في الهواء ، ثم كشفت عن درعها الهائلة التي
 تجلب الموت إلى كل من يراها ، ووضعت خوذةها الرائعة ثم انبرت للقوم ،
 وهم المحاربون الأربعة يطاردون الأعداء ، والأعداء يجرون من ههنا
 وههنا مذعورين ذاهلين مما رأوا من درع مينرفا ... وجعل أوديسيوس
 ورفاقه يصطامونهم أربعة بعد أربعة ... حتى لم يبق إلا المنشد المسكين
 فيميوس ، الذي قسره العشاق على الإنشاد لهم ، وتطريهم تطريباً لم يؤثره ،
 ولم يؤثر عليه ... لقد فزع المنشد المسكين من هول المجزرة ... وانطرح
 تحت قدمي أوديسيوس يقول : « مولاي ! أوديسيوس العظيم ! ارحمني
 وأعفني فقد قهرني القوم على ما رأيت ! اصفح عن المنشد البائس الذي
 يدخل السرور على أفئدة الآلهة ، ويذهب الحزن عن قلوب الناس ! »
 وهتف تليماك بأبيه يقول : « اصفح عنه يا أبي ، فإنه لا تريب عليه ولا
 لوم ... وهلم ننتقذ المنادى إن كان لا يزال به رمق ، فلقد كان يعنى بي إذ
 أنا صي في المهد ! » وكان المنادى قد فزع مما رأى ، وخبأ نفسه تحت مقعد
 كبير ، ثم طرح عليه جلد ثور ، فلما سمع تليماك يقول لأبيه هذا القول ،
 برز من مكانه ، وتعلق برجلى تليماك ، وأنشأ يتوسل ويتضرع ، ويبكي
 ويتصدع . فقال له أوديسيوس : « لا تجزع أيها الرجل ؛ فلقد أنقذك
 ولدى كما أنقذ المنشد ... اذهبا فانتظرا في الرحبة ، فعندى ما يشغلني عنكما
 الآن ... وانطلق الرجلان وهما لا يصدقان أنهما نجوا ، وجلسا عند المذبح

ينتظران قتلتهما في كل لحظة ... ثم مضى أودسيوس يبحث في الهو وتحت المناضد عن يكون به رmq من الحياة فيجهز عليه ، بيد أنهم خروا جميعاً مضرجين بدمائهم في التراب ، وقد تكبكبوا فوق بعضهم كالسمك فوق الساحل يقذف به الصياد في يوم صائف ... ثم قال لابنه أن يدعوا الموضع العجوز يوريكيا ، فأقبلت ورأت أودسيوس واقفاً كاللارد بين القتلى وقد لطحخت الدماء يديه ورجليه وصدره ، فكادت المرأة تبح من الفرح لهذا النصر المبين الحاسم ، وأوشكت أن تصيح وتزغرد ، لولا أن ردها أودسيوس عن ذلك : أيتها الموضع العجوز اكتمى فرحتك ، فإنه ينبغي ألا تكون شمانة فوق جثث القتلى ، وألا يكون صياح ، لأنها إرادة السماء قد نفذت فيهم بما أسرفوا من قبل وكانوا من المفسدين ! » ثم أمر بالجلث أن تحمل خارج القصر ، وبالدماء أن تغسل ، فتم ذلك في أقصر وقت ، والتفت إلى الموضع يحدها ويقول : « أرايت ؟ اذهبي الآن فأحضري ناراً وكبريتاً كيما نظهر الحجرة ، ثم أخبري بنلوب أن تلقاني ههنا ! » . فقالت العجوز « سماعاً وطاعة لك يا بني ! سأفعل ما أمرت ولكني سأحضر لك ثوباً تلبسه قبل كل شيء فإنه لا ينبغي أن تظل واقفاً هكذا في أسمالك هذه » بيد أن أودسيوس أمرها أن تفعل ما أخبرها من فورها ، فانطلقت العجوز ، وعادت بالنار والكبريت ، وأخذ أودسيوس في تطهير البهو الكبير .

بنلوب ... وأخيراً ... بنلوب !

وهرولت الموضع العجوز فمعدت إلى الطابق العلوى ، حيث كانت سيدتها

الحزونة تتقلب على فراش الهموم والأحزان فهتفت بها وهي تضحك ،
وتسكاد تبحن من الفرح : « هلمى يا بنيتى فاشهدى بعينيك كيف حققت
الآلهة أحلامك واستجابت لصلواتك ... هلمى ... لقد عاد أودسيوس
وبطش البطشة الكبرى بأعدائه فقتلهم عن بكرة أبيهم بعد ما كان من
خبائثهم ، وبعد ما استباحوا من حرمانه وما أراغوا من خيره وهزئوا
بولده ... إنهضى ! » .

ولم تصدقها پنلوط ، وقالت مستهزئة بها : « لشد ما عدوت طورك
وغبت عن صوابك أيتها الموضع العزيرة حين توقظينى بمثل هذا العبث
وذاك الحديث الملقق ! لقد حرمتنى من غفوة يا لها من غفوة لم تكتحل
عينى بأهدأ منها ولا أروح منذ أن فارقنا أودسيوس إلى الأرض
المشتومة ... تالله لو حصل مثل هذا بمن هن دونك سنأ ومنزلة من
الخدم لكان لى معهن شأن آخر .. واسكن .. لا عليك يا يوريكليا .. »
فتبسمت الموضع ثم قالت : « وئى ! تالله إنه للحق ، ولا مرية فيما أقول ...
إنه هو الشحاذ الفقير الذى كلمك ، والذى عبث به القوم وقد كان يعرف
تليماك كل ذلك ، واسكنه جعله سرأ بينه وبين أبيه حتى يثار من الأمراء
ويستأصل شأقتهم ! » فوثبت نلوط من سريرها مسبوهة ذاهلة ، وطوقت
بذراعيها عنق يوريكليا ، وأنشأت تقول : « خبرينى بالله عليك أيتها
العزيرة .. خبرينى بالله عليك .. إذا كان ما تقولين حقاً فأنتى لأودسيوس
أن يلتقى وحده كل هؤلاء ؟ وأنى لواحد أن يهزم فيلقاً من مائة أو يزيدون ؟ »
فقال الموضع : « لعمرك ما رأيت كيف حدث هذا الأمر ، ولكنى سمعت

بأذني هاتين أنين القمل ... لقد كننا جميعاً جالساً داخل القصر ، وفرائصنا ترتعد من العرق ، وكانت الفواقد كلها مغلقة بأمر سيدي ، حتى أقبل تليماك فدعانا إلى البهو ، حيث رأينا أودسيوس واقفاً بين الرمم ، وهو الآن يطهر البهو من أدرانهم بالنار والكبريت ؛ والمدفأ يتأجج بلظي كالجسيم ، ولقد أرسلني لأدعوك إليه حتى يفرح بك ، ويطمئن قلبك ، بعد طول العذاب » وكانت العجوز تتكلم وهي ما تنقطع عن الضحك والمرح ، فقالت لها بنلوب : « أيتها المرضع العزيزة لا يقتلك الفرح والصخب .. تالله إنه لن يفرح بأودسيوس اليوم أحد كما أفرح به أنا وولدي تليماك .. هذا إن كان ما قلت حقاً ... على أنني لا أصدق ... لا جرم إنه إله كريم أقبل لينتقم لنا من هؤلاء العراييد جزاء ما أنزلوا بنا من هوان فأبادهم جميعاً ... أما أودسيوس فلا ! لقد قضى أودسيوس وقفى أودسيوس إلى الأبد ! » فقالت يوريكليا : « ألا تزالين غير مصدقة يا طفلي (!) العزيزة ؟ ألا فاسمعي ! هالك دليلاً آخر ؛ بينما كنت أغسل قدمي الرجل الفقير اللاجئ ، تحسست يداي ندبة في ساقه ذكرتني بالندوب التي أحدثها الخنزير البري في ساق سيدي أودسيوس ، فلما كشفت عنها تبينتها ، وتأكدت أنه هو ، وأردت أن أصيح بك لأخبرك ، وأزف إليك البشرى . لكنه أطبق يده على فمي فلم أستطع أن أنبس ... تعالى ! هلمى معي الآن وانظري بعينيك لترى إن كنت كاذبة ، تعالى جعلت فداك ! » وانطلقتا معاً ، وأطافت الذكريات برأس بنلوب ، ولم تدر ماذا عساها فاعلة إذا كان ما أنبأت به المرضع حقاً ... فلما دخلتا البهو جلست بنلوب على مقعد كبير

قريب من المدفأة ، ثم طمعت تحديق بصرها في أودسيوس ، وكان جالسا وظهره إلى عمود من عماد البهو ، وعيناه تبحثان في الأرض ، وكأنه كان ينتظر أن تتكلم بنلوب قبل أن يفوه هو بكلمة ... بيد أنها لم تنبس ، بل كانت ذاهلة شاردة ، تنظر إليه مرة فتوشك أن تعرف فيه بعلمها الحبيب ولكنها كانت إذا نظرت إلى سرقه وخرقه ، والأشمال التي لا تستر بعض جسمه الهائل عجب ، وتولاها الدهش ، وانعقد لسانها فما يكاد يبين .

وقال نليك آخر الأمر : « أماء ! اشد ما تحجّر قلبك وغلظت كبذك ! لم لا تهضين فتعاقى أبى !! أية زوجة ينحبس لسانها كما انحبس لسانك ، فما تكلم زوجها الذي آب من سفر سنين كلها أشجان وكلها أحزان ، وكلها آلام متصلة ومتاعب تنوء بحملها الجبال ! » فقالت أمه تجيبه : « تالله يا بنى لقد ذهلت عن نفسي وإني انى تيه فساأ كاد أين ... ولكن إذا كان حقاً أودسيوس ، فإن لنا علامات هي سر ذات بيننا ، ولا يعرفها أحد سوانا » فتبس أودسيوس وقال : « لاعليك يا بنى ! دعها فستستبين حقيقتي حين أخلع هذه الأسمال » ثم انتحى وولده ناحية ، وأسر إليه أنهما ينبغي أن يتهيأ لما عسى أن يكون من تألب الإيثاكيين عليهما وشغفهم لما كان من قتل ساداتهم ، وما يتوقع من قيامهم بثورة عامة لا تنقى ولا تذر للانتقام من القاتل ... وذكر أودسيوس أنهما يجب أن يقيميا في البهو فيأخذنا مثل ما كان العشاق يأخذون فيه من قصف وعبث ومجانة ...

وحسب المارة أن بنلوب قد اختارت بعلمها من بين الأمراء ... « فهي لم تعد

تطيق الوحدة ، ولا تحتمل الترمّل ، ولا تقوى على حياة الآمال الكواذب التي
تجرت عُصصها مدى عشرين عاماً» أما أوديسيوس فقد مضى فاستحم وتضمخ
بأحسن الطيوب ، وأضفى عليه من كل سارى وفوفٍ موشي ، ثم تنزلت مينرفا
فنفخت فيه من روح الشباب ، وسكبت في عروقه من دماء الفتوة ،
ومسحت بيديها الكريمتين على وجهه المجد ذى الأسارير ، فأشرق وتألق ،
وهذلت شعره على كتفيه غدائر فاحمة كقطع من الليل البهيم . ثم إنه
انطلق إلى الهو فجلس تلقاء بنلوب وأنشأ يقول : أيتها الزوجة المعجبة !
أما والله لقد ركبت الآلهة بين جنبيك قلباً ليس كقلوب النساء ... وأى
امرأة تنتبذ من زوجها مكاناً قصياً كما تنتبذين يا بنلوب ... بعد إذ عاد
إليك من تجوال عشرين سنة كلهن قلاقل وأهوال ... يوريكليا ! هلى
فامهدى لى فراشاً بيديك الضعيفتين ، مادام الحديد البارد الذى خلق
منه قلبها لا يلين ! « ومع كل هذا فقد كان الريب يربن على فؤاد
بنلوب ، فقالت تختبره : « مولاي ! إني وأيم الحق لا معجبة ولا بى خيلاء ،
ولكنى أذكر أحسن الذكر كيف كنت يوم همت بك سفينتك الجبارة
إلى طروادة ... يوريكليا ! إذهي أيتها الموضع فأحضرى سرير زواجنا من
الخدع ، واجعلى عليه الوسائد والحسانات ليسترىح عليه مولاك كما أهرك »
وعجب أودسوس لما تكلمت به زوجته ، فقال : « إنك يا زوجتى تمزقين
نيط قلبي بما تقولين ! أنى لأحد ما من العالمين أن يحرك سريرى بله
أن يحمله ، إن لم تكونى قد أطلعت على سره ؟ لقد صنعت مخدعى
واتخذت سريرى فى جذع الزيتون الهائلة ... فهل لا يزال سريرى فى

موضعه ثمت ، أم أن أحداً قطع الجذع العتيد واحتمل السرير إلى مكان بعيد ؟ » وهنا ، مادت الدنيا برأس يفلوب ، وتأكدت أن الرجل زوجها من غير شك ، خفق قلبها خفقاناً شديداً ، وانطلقت تعدو نحوه ، ثم طوقت عنقه بذراعيها ، وراحت تبكي وتنتحب ، وتقول له : « لا تنقم عليّ إداً يا أودسيوس ، ولا يحزنك أنني لم أعرفك منذ أول نظرة .. أواه أيها العزيز ! لقد قضت الآلهة أن نفترق وأن نتعذب كل هذه السنين ، وما كان من شكى فهو أثر من احتراسى خشية أن يخذعنى أحد فيدعى أنه أنت ، ويزخرف على ويهرج حتى ينالنى بالخداع والخب ... ولكن مادمت قد ذكرت لى سر الخدع والسرير والزيتونة ، وهو ما لا يعلمه أحد غيرى وغيرك وغير يوريكيا ، فالآن فاهناً ، ولأهناً أنا ، وليطمئن قلبى ... قلبى الوفى الذى أردته إليك كآخر عهدك به ، لا ينطوى إلا على حبك ، ولا يضم غير الوفاء لك ... » وعانقها أودسيوس ... وضم إلى صدره صدرها ... والتف حول عنقه ذراعاها البضتان البيضاوان — وجد عاجهما الناعم الأملس حول كاهله ، ووقف أودسيوس على شاطئ الدكرى كما يقف السباح المتعب المنهوك على شاطئ اليم وقد بلغه بعد جهد ، فأعضاؤه متراخية ، وأعصابه موهونة ، وقلبه حقيق ، وروحه نشوى وذراعاها مع ذاك معلقة بالشاطئ وقد سُمرت فيه ... وقال بعد لآى :

« والله يا زوجتى العزيزة إنا ما بلغنا بعد نهاية أشجاننا وأحزاننا ، وإن أماننا لأمدأ بعيداً وهو ما أخرجتنبأ لى عنها السكاهن تيريزياس حينما

رحلت إليه في هيدز ، وإني لا أدري ماذا يكون من أمرى ... ولكن
... لا ... لنفطلق الآن إلى نخدعنا العزيز الطاهر فإن بي حاجة إلى
الراحة والإستجمام ... وإن بي لشوقاً مبرحاً ونزوعاً شديداً إليك » .
فقالته بنلوب : « الخدع الطاهر النقى معد في أيما لحظة أردت يا أودسيوس
العزيز ... بيد أنك أثرت شجني وفرغت شجوى بما ذكرت عما يتربص
بنا من هم جديد ، فهلا ذكرت لى ماذا زعم لك تيريزياس فى العالم
الآخر ؟ إني مشوقة إلى ما قال ، فاذكره بحق الآلهة عليك » فأجاب
أودسيوس « عمرك الله لم تسألين عن أمر إن يبد لك يسوك ؟ ! ولكن
لا ضير ... سأذكر لك ما نبأنى به تيريزياس » ثم وجم قليلا وقال :
« لقد أشار أن أحمل مجدافا عظيما على كاهلى ، ثم أنطلق مهاجراً إلى
ممالك نائية وأصقاع سحيقة ، حتى أكون فى قوم لم يسمعوأ عن البحر
قط ، ولم يروا فى حياتهم مجدافاً ولا سارية ، فإذا لقيت أول من يسألنى
عما أحمل ، وهل هو مذراة مما ينسف به القمح ، غرست المجداف فى
الأرض ، ثم تقربت إلى إله البحار نپتيون الجبار بقرايين تمحو ما بينى
وبينه ، وتعقد بيننا أواصر السلام والوثام ، كما تقربنى إلى أعوانه
الآخرين من آلهة الماء ، فإذا فعلت استرحت من لأواء الحياة ،
ونأت عنى أرزاؤها ، وعدت إلى شعبى وإليك ، وإلى ولدى وقصرى
فعمشت بينكم بسلام ، حتى يأتينى الموت ، هادم اللذات ، من أعماق
البحر ، ولكنه سيكون موتاً طيباً لا مخوفاً ولا مرهوباً ، بل سكرة

بين أمانةٍ ونعاس . بعد إذٍ الجسم موهون ، والقلب فارغ ، والرأس
مشتعل والروح سالية قالية » .

وهكذا ظل الحبيبان المشوقان يتحدثان قطعاً من الليل ، بينما كانت
المرضع وخادمة أخرى تمهدان الفراش على ضوء المشاعل ... ثم أقبلت
الوصيفة فذهبت تمشي بين أيديهما إلى الخدع ، وفي أيديهما المشعل المقدس
يفيض نوراً ولألاء كما أفاض منذ عشرين سنة ...

ولهما ظلام الليل ، وسِتْرُ الهوى ... وسكن البهو بعد باضج بالعزف
والقصف ، وهذا القصر في سدول السعادة .

أوديسيوس يصل إلى إيثاكا

وهتف هرمن بأرواح القتلى فهممت ، ثم أشار إليها بعصاه فسحر الكرى مُقلها ، ثم أشار كرة أخرى فأهرعت في إثره كما تهرع الخفافيش في إثر دليلها .

وانطلق حبيب الآلهة فعبر عباب البحر المحيط ، وعبرت الأرواح الهائمة في إثره ، وجاز صخرة لوكيديا ، وبوابة الشمس الخالدة ، ثم انطلق ، والأرواح الهائمة من خلفه ، في تيه الأحلام ، وعبر بها في مروج أسفوديل ذات الأشباح ، حيث لقي القتلى أرواح ذويهم وأبطالهم من رجال هيلاس الذين سقطوا تحت أسوار طروادة ... وهناك ... وقفوا طويلا يتناجون ، وكلم ابن بليوس قائد الهيلانيين أجا ممنون ورثا له ، فكلمه أجا ممنون وتحسر عليه ، ورأوا روح بتركولوس حبيب أخيل زعيم الميرميدون ، وروح أخيل نفسه ، وروح أجا كس العظيم ... وعرف أجا ممنون روح أمفيديون العاشق المحروب الذي قتله أوديسيوس فيمن قتل من عشاق بنلوب ، فكلمه ، وكله أمفيديون فقص عليه ما كان من مأساتهم الغرامية وما كان من أوبة أوديسيوس المفاجئة واختلاطه بهم في صورة فقير شحاذ ... إلى آخر القصة الدامية المشجية التي انتهت بقتلهم جميعاً ... وما كاد يفرغ حتى بدا العجب في محيا القائد أجا ممنون وطفق يثنى على وفاء بنلوب ، وشجاعة صديقه أوديسيوس ، ثم راح ينعى (م - ١٩)

على زوجته الآئمة كليتمنسترا ما كان من غدرها ، وتدير غيلته مع حبيبها الفاسق إيجستوس ...
وهكذا انتهت الأشباح الآئمة إلى ظلمات هيدز ... إلى مملكة
پلوتو ... حيث تلقى جزاءها العادل من مخالف سيربيروس الحادة
وأظفاره القواطع .
هذا ما كان من أمر تلك الفئة الباغية .

أما ما كان من أمر أودسيوس فقد استيقظ في بكرة اليوم التالى ،
واستيقظت معه پنلوب السعيدة ، وهب من فراشه فارتدى ملابسه ،
ووضع عليه سلاحه ، ثم أمر زوجه ألا تخاطب من الناس إنسياً حتى
يعود ، وأن تغلق عليها أبواب القصر ، لأنه منطلق إلى أبيه لينزف إليه
البشرى بنفسه . ودعا إليه تليماخوس ليصنعه ، وليصنعه الراعيان
الخلصان الوفيان ، بعد إذ يسبغ كل منهما عليه دروعه ، ويستعد
بسلاحه .

وانطلق الأربعة يطوون شوارع المدينة التى خيم عليها الصمت دون
أن يشعر بهم أحد من أهلها ، حتى بلغوا الخلاء ، وما زالوا يذرعونهم حتى
كانوا عند المزرعة المصون الناضرة ، وهناك ؛ نظر أودسيوس بعينين
مشوقتين ، وقلب ملتاع خفيق ، إلى البيت الصغير الذى يؤوى أباه
الضعيف الشيخ ، حيث يقضى أيامه فى أمى ليس بعده أسى ، ويجتر
همومه فى صمت كصمت الموتى ، ويزرف دموعه فى قنوط وسكون ...
لا يراه أحد ، ولا يشكو به إلى مخلوق ، إلا هذه المرأة العجوز الحيزبون

التي تخدمه في رضى ، وتسهر عليه في حب له ، وإشفاق من أجله ...
 وكان ليرتس ، الأب الحزون ، يتلهى بالعمل في بستان قريب يشذب
 شجيراته ، ويهذب زهيراتة ، فأمر أودسيوس ولده وراعييه أن يبقوا
 في المنزل ليعدوا غداء فاخراً ، وشواء سمينا ؛ لأنه يحب أن يلتقى أباه
 في البستان وحده ...

وانطلق أودسيوس إلى البستان ، فوجد الفلاحين قد انصرفوا إلى
 أعمالهم ، ووجد أباه يجوس خلال الأشجار كالشبح ، ويهوى بفأسه
 فيحتفر حولن ، وهو بين الغينة والغينة يصلح من لباسه الخشن الذى
 اتخذه من جلد عنز ، كما اتخذ منه قفازيه وجوريه ... ووقف أودسيوس
 تحت كثرة باسقة وطفق ينظر إليه ، ويقلب فى السنين الطوال
 التى يرزح تحتها عينيه ، ثم يتعجب للقلب الكبير الذى صمد لحدائ
 الزمان ولأواء الأيام فلم ينصدع ولم يهن ، وإن كان بعض حزنه لتنوء
 منه الجبال .

وانبجس الذمى من عيني أودسيوس ، وانهمر على خديه الحزينين ،
 وأوشك أن يمضى نحو أبيه فيأخذه فى حضنه ، ويفجأ بالبشرى القاتلة ،
 لولا خيفته على تلك الشيوخة المتداعية أن تنقض حين لا تحتمل النبأ
 العظيم ... نبأ عودة قطعة القلب والكبد بعد يأس دام عشرين عاماً ...
 لهذا آثر أودسيوس ألا يفعل ، وآثر أن يلتقى أباه كرجل غريب جواب
 آفاق ، ويحدثه ، ليعلم ما فى قلبه ، فذهب إليه ، ووقف عن
 كذب بكامة :

— «أيها الشيخ : ويكأنك لا علم لك بأمر هذا الزرع ، وإن أثمر
بستانك وآتى أكله ! حقاً ، إني لا أرى عشباً في الأرض ، ولا شجرة
إلا وهي مثمرة ، ولا زهرة إلا وهي مسفرة نامية ، وما ذاك إلا لسهرك
عليها . بيد أنه لن يسوءك إن لاحظت أنك تعنى بهذا البستان أكثر
مما تعنى بنفسك ، مع ما أنت فيه من تقادم السن ولقحة الشمس ووطأة
المرض ... وما أحسب مولاك إلا قاسى القلب عليك ، قليل الاحتفاء
بك والتوجع من أجلك ، مع مالك من سياء النبل ، ومظاهر الملوك ؛
فما كان أحجبى بك — وأنت في هذه السن — أن تستحم وتضمخ
وتنام ملء عينيك ، لا يزعجك عمل ، ولا تتوذك أكلاف الحياة !
ولكن قل لى بالله عليك أيها الشيخ ، لمن تنصب كل هذا النصب ،
وبستان من هذا ؟ خبرنى ! لا تخف على أيها الأب ، فلقد لقيت من
سألته فلم يأبه بى ولم يُنْ عسألنى ... ولقد ذرعت الرحب حتى وصلت
هذه الأرض ، إيشاكا ، لأنى كنت أقدم فيما مضى من الزمان فأحل ضعفاً
على أمير عزيز فيها ، وما أعرف إن كان لا يزل حياً يرزق ، أو مضى
لا قدر الله إلى هيدز ! ولقد كان هذا الصديق يزورنى فى وطنى فأكرم
مشواه كما يكرم مشواى ، ولقد كان يحدثنى الأحاديث عن أبيه ليرتس
ابن آذرياس ... وما أنس لا أنس أيام كان يحمل إلى الهدايا فأردها
إليه أضعافاً مضاعفة ، من ذاك أننى نفحته مرة بسبع بدر من خالص
الذهب ، وبجمالة من فضة مزدانة بأفواف الزهر ، واثني عشر صداراً ،
واثنى عشر دثاراً ، ومثلهن من أكرم البسط ، وشيء كثير من ثياب

القائم والسنبجاب ، ثم أهديت إليه أربع جوارٍ كنُس أبكارٍ اختارهن بنفسه ، مثقفات مهذبات ، يتخايلن في الخز ، ويرقلن في الديماج .

وازدحمت الدموع الحِرار بكل الذكريات المشجبة في عيني الرجل الشيخ ، وقال يجيب أودسيوس : « أيها الأخ لقد بلغت منك ، فهذه هي إيتا كا ... بيد أنها — وأسفاه ! — نهب مقسم بين فئة باغية ظالمة لا تخضع لقانون ولا تعرف شريعة . أما صديقك فوا أسفى عليه ...

ويا ألف أسى على هداياك ! من لك به اليوم ليردها عليك أضعافاً مضاعفة يا صاح ! ولكن قل لى بربك واصدقنى : منذ كم سنة لقيت صديقك التاعس ، الذى هو ابنى ! ؟ إيه ... ! له الله ! ما أحسب إلا أن السمك قد اغتذى به ، أو أنه غدا يوماً جزر السباع وكل نسرقشع !

أواه عليك يا أودسيوس يا ولدى ! هكذا قضيت ولم أذرف على ثراك عبرة ، ولم تكتحل عينا أمك قبل أن تموت برؤياك .. ولا ينلوب ! ولا ينلوب أيضاً كانت إلى جانبك لتغمض بيدها أجفانك ... ولكن ...

ولكن قل لى أيها الأخ من أنت ، ومن أى البلاد قدمت ؟ وابن من من الكرام الأ كابر ؟ وفى أى الرفاق وصلت إلى إيتا كا وفى أى السفائن ؟ أم وصلت بك إحدى الجوارى المنشئات ثم غادرتك فى إيتا كا ؟ » .

وقال أودسيوس وهو يلفق ما يقول : « أما من أنا ... ف ... أنا إبىريتوس بن أفيداس بن بوليمون من أمراء أليباس ، من أعمال صقلية ، ولقد هبت على سفينتى عاصفة هوجاء فدفعتنا نحو بلادكم وألقينا المراسى فى مينائكم ... » ولقد لقيت أودسيوس لآخر مرة منذ خمس سنوات ،

وقد افترقنا وكلنا أمل أن نلتقي لتبادل تذكارات المحبة وهدايا الصداقة والوفاء والود .

وانعقدت سحابة مظلمة من مرارة الحزن فحجبت الضوء عن عيني ليرتس ؛ ثم إنه أهوى إلى الأرض فقبض قبضات من التراب وراح يحشوها على رأسه ، وبين أنيننا مؤلماً . ولم يحتمل أودسيوس أن يرى أباه في هذه الحال ، بل كاد صدره ينشق من حسرة عليه ، فهرول وأخذه ملء ذراعيه وجعل يضمه إلى صدره ويقبله ويقول : « أبتاه ! أبتاه ! هو أنا ذا ! أنا أودسيوس عدت إليك بعد عشرين عاما فافرح وهدئ روعك ، ولتنته آلامك ، وإليك أحسن البشريات ! لقد قتلت أعدائي العشاق جميعا . قتلتهم في بيتي ، وانتقمت لك ولي ولبنلوب ! »

بيد أن ليرتس وقف ذاهلا عن نفسه ، ثم نظر إلى ولده وقال : « إن كنت حقاً ولدى أودسيوس ، فهات برهانك الذي يقطع شكى ! »

فقال أودسيوس : « ألا تصدق ! إذن فانظر إلى الندوب الخالدة التي أحدثها في ساقى خنزير القلاة إذ أنا حدث يا أبى ! ألا تذكر يوم كننا على جبل رناسوس ، وكان جدى أوتوليكوس معنا ثمة ، وكان يتحفنى بالهدايا واللهى ؟ وهالك دليلا آخر يوم مشيت معك في هذه الحديقة ورجوتك أن تجعل بعض هذه الأشجار باسمى ، فشيت معك ، ورحت أنت تسميها لى بأسمائها ، فجعلت لى ثلاث عشرة كثرة ، وعشر تفاحات ، وثلاثين تينة ، وخمسين صفا من الكروم الناضرة التي كان يزرع القمح بين عرائشها والتي كانت تتدلى منها العناقيد من كل لون ! »

وانجباب الشك عن فؤاد ليرتس ، فأخذ ولده بين ذراعيه المرتجفتين وراح يضمه ويقبله ، ويصعد في صدره الرحب القوى أنفاسه ، حتى إذا وهنت قواه أرسله ، وأخذ يحدثه فيقول : « يا للآلهة ! يا أرباب السموات الخالدة في شعاف الأولمب ! أهكذا قضيت آخر الأمر أن ينصب جام غضبك وحم نغمتك على هؤلاء الكفرة الفجرة ! ولكن ! لشد ما أخشي أن يتألب الجمهور علينا ، فيهرعوا إلى هنا ، ويطلبوا تارذويهم . فتبسّم أودسيوس وقال له يطمئنه : « لا عليك يا أبى ... هلم الآن فلنذهب إلى بيتك الجميل ، فلقد أرسلت تلياك ثمة ومعه الراعى ، ويومايوس الوفى ، ليعدوا لنا طعاماً سريعاً حفيفاً » .

وأعد الطعام ، ومزجت الحمر ، وذهبت الخادم العجوز فأعدت سخّاماً لسيدها الشيخ ، ثم ضمخته وأضفت عليه ملابس نظيفة .. وتنزلت مينرفا الكريمة فمشت بيديها الإلهيتين على جسم ليرتس فتدفق الشباب في عروقه ، وعاد إليه رواؤه وحسن سمته ، فلما خرج من الحمام تعجب أودسيوس وقال له : « تالله يا أبت إني لا أشك في أن بعض الآلهة قد رد إليك صباك . وخلع عليك مبردة الشباب من جديد ! ! » .

ولم يكن عجب ليرتس بأقل من عجب ولده ... « تعاليت يا چوف ! وتقدست يا مينرفا ! وسما حدك يا أبوللو ! لقد كسوتمونى نضرة الشباب التى كانت لى يوم ملكت مدينة تريكوس بمعونة السيغالينيين الشجعان ! أواه لو قدّر لى أن أقف إلى جنبك أمس يا بنى ، ليكون لى شرف مجالدة الأوغاد الذين قتلت ، إذن ، لحظيت بكوكبة منهم أخرج أديم الأرض

بدمائها ، فأشفي منهم حرّداً في صدرى ، وغلاً في حشاشتى ! » .
وأكلوا هنيئاً وشربوا مريثاً ، ثم جلسوا على الأرائك متقابلين ...
وكانت الخادم العجوز قد انطلقت إلى المزارع فدعت كبير الفلاحين
دوليوس ، فأقبل في رجاله الذين كدّهم العمل وأنهكتهم المثابرة ... فلما
رأوا ما ارتد إلى سيدهم من شبابه ، وهذا الرجل الغريب الذى يجلس
بين العائلة المقدسة ، وقموا مسبهوين مشدوهين ، لا يعرفون ماذا يقولون ...
وحدجهم أودسيوس ، ثم بدأ يكلمهم فى لطف وخبث ويقول : « اجلس
أيها العجوز دوليوس فكل أنت ورجالك ... فليس ثمة متسع لدش
أو عجب ... اجلس قبل كل شيء فاملاً بطنك وبطارن رجالك ... لقد
انتظرناكم طويلاً ، لكنكم استأنيتم ! » ولكن سرعان ما عرف دوليوس
مولاه حين سمع صوته ، فأقبل عليه ، وتناول يديه ، وطقق يغمرها بالقبل
الباكىة ويقول : « أوه يا مولاي ! هكذا والله تستجيب السماء ! لقد طالما
جأرنا ولقد طالما دعونا فلها الثناء إذ ردتك إلينا ! فعش واسلم وسروا بتهيج ...
ولكن .. هل علمت الملكة بقدوم مولاي ؟ ألا ننطلق من فورنا فنزف
إليها البشرى ؟ » .

وطمأنه أودسيوس ، فجلس الرجل مبتهجاً مسروراً ، وجلس أبناؤه
معه ، وأخذوا فى أكلمهم وشرا بهم ، وأخذ أودسيوس يلاطفهم ويداعبهم ..
وهكذا عاد الحبور مرة أخرى إلى بيت ليرتيس !

وقرع آذان الناس فى المدينة ما كان من قدوم أودسيوس ، وما

حاق بالأمرء المعاميد من نسكة على يديه الجبارتين ، فأهرعت جموعهم
 إلى قصره صاحبة ناعبة ، ثم انطلقوا إلى حيث كدست أجساد القتلى
 فحرق كل قتيله ، وأرسلت جثث الغرباء إلى ذويهم في أوطانهم في سفن
 الصيادين من كل فج لتُحرق ثمة ... واجتمعوا بعد ليتشاوروا بينهم
 فيما ينبغي أن يكون ... فهض يوبيتيس والأسى يزلزل جوانحه وأنشأ
 يقول : « أيها الرفاق ! لقد كان هذا الرجل الطاغية حراً دائماً
 عليكم فلم يصبكم منه إلا الشر ، ولم تثمر لكم فعاله إلا الندامة ! فلقد
 ساق شبابكم وخيرة أبطالكم إلى طروادة المشثومة حيث قتلوا أجمعين ،
 وهاهوذا ينقلب اليكم اليوم ليذبح ساداتكم وذوى الصولة فيكم... فهاجوا إذا
 ورؤا رأيكم فيه قبل أن ينطلق إلى بيلوس فيطالب العون عليكم ،
 وتصبحوا على ما قصرتم نادمين ! إنا إن لم نشأ راضحاً بآنا فأى عار يسمنا
 وأى خزي يصمنا يا قوم ! وأية حياة هذه التي تحيونها بعد ما حل بكم من
 هوان ومذلة ... نخير لكم أن تذبحوا أنفسكم فترحلوا إلى هيدز مع أرواح
 قتلاك وإن تكونوا على ذلك من الآسفين ! » ثم جلس وهو يتصدع
 من الحزن على صاحبه أنتينوس الذى كان أول ضحايا أودسيوس ...
 وقام ميدون المنشد التاعس فقال : « أيها المواطنون أعيرونى آذانكم !
 تالله إن أودسيوس لم يرم سهامه إذ رمى ، ولكن بعض الآلهة كان يرسم
 له وينافح عنه ، ولقد رأيته بعينى هاتين فى صورة منطور ، ووالله ما هو
 منطور ، ووالله لقد كان يمشى بين يديه ههنا وههنا فيراع العشاق وتفرع
 قلوبهم ويسقط بعضهم فوق بعض فتأخذهم سهام أودسيوس ويروى

من دمائهم سيفه ! » وما كاد يفرغ ميدون ، وكان فيهم أمينا صادقا ،
حتى طارت ألوانهم وامتقت وجوههم ، ونظر بعضهم إلى بعض ، وادّاروا
طويلا ، ثم وقف هاليتير بطلهم القديم بن مسطور ، وكانت له دراية
بكشف أستار الماضي والحاضر والمستقبل ، فصعّر خده وقال : « أيها
الإخوان ! يا أبناء إيثاكا ! إسمعوا وعوا ! تالله لقد طالما مهدتم للفتنة ،
وإنها لثمرة أنتم غارسو شجرتها وأنتم اليوم جُنتها ... أتذكرون يوم
رجوتكم فألحقت عليكم في الرجاء أنا وصاحبي ميدون هذا ، أن نذهب
فنمنع القصر من شبابكم ، ونصون عرض أودسيوس من أبنائكم ،
ونصرفهم عن ولده وزوجه ومتاع هذه الحياة الدنيا ، فأبيتم أكبر الإباء ،
ورفضتم أقبح الرفض ، وجعلتموها فتنة كنت أستعيز بالآلهة منها ؟ !
فعلام تغلى سراجل صدوركم يا قوم ؟ وفيم ائتمركم بالرجل وقد ثأر لعرضه ؟
ألا فاسمعوها كلمة مخلصه أسديها إليكم ... الرأي ألا تذهبوا ، وألا تجعلوها
فتنة لاتصين الذين ظلموا منكم خاصة ، بل اقعدوا ههنا آمنين ، ولا تكونوا
كالذي سمي إلى حتفه بظلفه ، وأبطأت عليه المنايا فسعى قدما إليها ! »
وما فرغ حتى زجر القوم وتصايحوا به ، وضجوا من كل مكان ... ثم
إنهم سمعوا إلى شيطان يوبيتيس ففرعوا إلى أسلحتهم ، وأسبغوا عليهم
من دروعهم ، وانطلقوا إلى المدينة فنظّموا فيها صفوفهم ، وأقاموا يوبيتيس
قائداً منحوساً عليهم ، وما جعلوه كذلك إلا ليلقي حتفه بيد أودسيوس ،
وتعجل روحه إلى النار !

ومضت مينرفا إلى سيد الأولمپ ، چوڤ العلى فوقفت ببابه تقول :

« أبتاه ! أَيْنَ عن سريرتك ، واكشف عن مكتوم قلبك ومكنون نفسك ! هل يحل على هذه الفئمة الظالمة غضبك ، أم أنك مانحها محبتك ، ومحضها بحمايتك ؟ » فعبس من قولها وأنشأ يجيب : « وفيه هذا التساؤل يا ابنتي ؟ ألم تقدرى أنت أن يعود أودسيوس إلى وطنه فيذبح بيديه أولئك العتاة الطغاة ، ويريح وجه الأرض من خباياهم ؟ ليكن ما تشائين ! اصنعى ما بدا لك ... ولكن نصحى أحضك إياه يامينرفا ! مادام أودسيوس قد ثار لنفسه من أعدائه ، فليكن السلام على الأرض ، وليحل الأمان في ربوعها ، وليتقاسم الملاء على الود والصفاء ، وليحكم أودسيوس بين الناس بالعدل ... وعلينا نحن أن ننزع ما في صدورهم من غل فينسوا سخائمهم ، ويطرحوا ثاراتهم ، ثم لتكن لهم من أنفسهم أَمَنَةٌ ، ولتجر البركات عليهم أجمعين ، وليصبحوا بحولنا أصفياء متحابين »

ورفت مينرفا من السموات العلى إلى إيثاكا .

وفرغ أصحاب أودسيوس من أكلهم فأمرهم أن يتحسسوا آثار القوم ، فانطلق أحد أبناء دوليوس إلى المدينة فرأى من استعداد أهلها ما رأى ، وجاء إلى مولاه على عجل فقال له : « مولاي ! لقد تسلح الإيثاكيون وهم موشكون أن يقدموا إليك ! » فنهض أودسيوس فأدّرع ، وأدّرع أبوه وابنه وخادماه وأبناء دوليوس الستة ، وأدّرع دوليوس كذلك ، وأدّرع الفلاحون الآخرون ، وحل كل سلاحه ، وبرزوا إلى الطريق وفي مقدمتهم أودسيوس .

وبدت مينرفا في صورة منظور وفي طيلسانه ، فلما رآها أودسيوس

فرح واستبشر ، والتفت إلى تليماك فقال : « أى بنى عليك أنت أن تحمينا اليوم فقد عرفت ما خاض أبوك من معامع ، وسنرى من يحارب خيراً من صاحبه اليوم ! » فقال تليماك يجيبه : « اطمئن يا أبى فسترى كيف يحمى العسلوج فرعه ، وكيف يشب الفرع على أصله . تالله ان أفضحك فيما وكلت إلىّ يا أبى ، ولن يخيب رأى أهلى فى ! » وفرح الوالد بمقالة ابنه ، وشكر للآلهة وأثنى عليها .

واقتربت مينرقا من ليرتيس ، وهى لا تزال فى صورة منظور ، فقالت له : « أوه أيها الجد الوقور ! صلّ لمينرقا وابتهل ، وتوسل إلى جوف ، أن يمنحك القوة والجلد ، ثم اجمم بحر بقلك على يوپيتيس فروّها من دمه ، فالسقاء كلها معك » ولمسته بيدها فتدفق شبابه فى قلبه ، وكان جيش الأعداء قد اقترب منهم فطار ليرتيس إليهم برمحه ، وأقصد يوپيتيس بضربة فى صدره ، فخرج سنان الرمح يلمع من ظهره ، ورأى أودسيوس ذلك فطار إلى الملأ بسلاحه ورماحه ، وانقض تليماك فى إثره ، وهجم الآخرون فى إثر تليماك ، ولم يطل القراع ، فقد فزع الأعداء واختلط نظامهم ، فولوا الأدبار ، ولكن هيهات ! لا نجاة اليوم ! فلقد سد عليهم أودسيوس ورفاقه الطرق ، وأخذوا عليهم المسالك ، فهم فى ضيق ، وهم ذاهلون !

وهتفت ابنة جوف العذراء بأودسيوس ورجاله تقول : « السلام عليكم أيها المحاربون ! السلام ! السلام ! قبل أن تجرى دماؤكم أنهارا ! » ثم بدت مينرقا فى صورتها الإلهية المقدسة فارتعدت فرائص القوم ،

وتخاذلوا فيما بينهم ، حتى أصحاب أودسيوس ! لقد ارتجعت أعصابهم
وعصف الذعر بسواعدهم ، وكادت سيوفهم ورماحهم تنثر على الأرض...
ولم يعبأ أودسيوس ، بل هجم كالنمر على القوم المنهزمين يود لو يصعقهم ،
وطفق يرق ويرعد ، ويزأر بصوته المدوى العظيم ، فغصب سيد الأولمب ،
وأرسل إحدى صواعقه نديراً من لدنه إلى مينرقا ، فمجلت إليه ذات
العيمن الزبرجديتين ، وزجرته عن الناس وهي تقول : « لا يا أودسيوس !
لا يا ابن ليرتس النبيل ، لا يجدر هذا بماضيك ! ضع حداً لهذه المحزنة
المروعة أو تجلب عليك غصب جوف العلى ! » .

وخبّت أودسيوس ، وسرّت مينرقا ، وعقد منظور الصلح بين
العريقين ، ودخل الناس في السلم كافة ... !



استدراك

نرجو أن نستدرك على قصة طروادة ، بمناسبة ظهور شقيقتها هذه ،
عما سقط سهواً أثناء الطبع من الإشارة إلى أول الإلياذة التي تبدأ بتلك
النزاع العقيم الذي شجر بين أجاممنون وأخيل من جراء الفتاتين ، والذي
يجرى ذكره في الصحيفة الثالثة بعد المائة من قصة طروادة .

الفهرس

صفحة

٤		بين مينرفا وتلياك
١٦		تلياك يجادل العشاق
٢٩		تلياك يسائل نسطور عن أبيه
٤٢		العشاق يتآمرون
٦٤		أوديسيوس يبحر من جزيرة كاليسو
١٣٠		أوديسيوس يروى قصته
١٤٩		رحلة أوديسيوس إلى العالم الثاني
١٧٠		تمام قصة أوديسيوس
١٨٦		أوديسيوس يصل إلى إيثاكا
٢٠٢		مع الراعى
٢١٦		عودة تلياك
٢٣٠		أوديسيوس يلتق تلياك
٢٣٧		أوديسيوس فى قصره
٢٤٧		أوديسيوس ينشاجر مع شحاذ
٢٦٣		نذير من السماء
٢٧٨		الانتقام الهائل
٢٨٥		پنلوب .. وأخيراً .. پنلوب
٢٩٣		أوديسيوس يصل إلى إيثاكا

(مطبعة الرسالة — شارع السلطان حسين — حابدين)

للؤلف :

١ - أساطير الحب والجمال عند الإغريق

٢ - قصة طروادة

٣ - الأوديسة

٤ - إغنيوس والمسرح اليوناني

(تحت الطبع)

Source: www.bibalex.org



**Thanks to
assayyad@maktoob.com**

To PFF: www.al-mostafa.com